

أشهر الجواسيس

- عائلة كاملة من الخونة !!
- هذه قصتي مع زوجي الجاسوس !!
- هذا الرجل يتجسس على هتلر !!
- اليهودي البائس: رجل بسبعة أرواح !!
- كيم فيلبي الجاسوس المزدوج اسمه لا ينسى !!
- جواسيس يساوون ثقلهم ذهباً !!
- الشاب المصري الذي وقع في شباك الموساد !!
- عبدالله يهوزا جاسوس من اليمن !!
- الجاسوسة الفاتنة ماتا هاري !!



مكتبة ابن سينا

دكتور أيمن أبو الروس



مكتبة ابن سينا

للنشر والتوزيع والتصدير

٧٦ شارع محمد فهيد - جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣


وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية:
مكتبة الساعى
الرياض ت: ٤٢١٥٦٣٦٠ - فاكس: ٤٢١١٤٣٤٠
فرع جدة - تليفون: ٦٥٣٢٠٨٩


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة

الجاسوس ... هو شخصية غير عادية ، لما يتميز به من صفات لا تتوافر للكثيرين ، وهى بمثابة السلاح الذى يذلل به كثيراً من العقبات ، فيجعله ينفذ مهمته بنجاح .. ومن أهم تلك الصفات : الذكاء والدهاء وحُسن التصرف وأيضاً الرغبة فى التفوّق وحب السيطرة ، أما بالنسبة للنساء ، فتوافر الجمال هو صفة أساسية لنجاح المرأة الجاسوسة فى مهمتها ...

وفى رأيى ، أنه غالباً ما يكون وراء « الجاسوس » ، إلى جانب تميزه بهذه الصفات ، دوافع أخرى نفسية قد هيّأته للقيام بهذا العمل ، والتى قد ترجع جذورها ، فى كثير من الأحيان ، إلى فترة طفولته ونشأته الأولى . فمن استعراض حياة بعض الجواسيس ، مثل سيدنى ريلى ، كما سيتضح ، يبدو أن الدافع لانجذابه للعمل بالجاسوسية ، يرجع إلى تلك الصدمة النفسية التى عانى منها أثناء طفولته ، حين أدرك أنه ليس ابناً شرعياً لأبويه ..

كذلك ، من خلال استعراض حياة الجاسوس كيم فيلبى ، يبدو أن المعاملة القاسية التى لاقاها فيلبى من والده أثناء طفولته كانت هى الدافع لانجذابه للعمل بالجاسوسية ، بعد ذلك ، وفى

كلتا الحالتين ، اعتقد أن العمل بالجاسوسية كان يحقق لكل منهما رغبة داخلية فى الانتقام مما لاقى كل منهما أثناء طفولته .

لكن ، لايزال هناك بعض الملامح الخاصة فى شخصية الجاسوس ، والتى تجعله فريسة سهلة لأجهزة مخابرات الدول الأجنبية التى تسعى إليه لتجنّده إلى صفها ، من هذه الصفات : البُعد عن الله وعن العقيدة الدينية ـ الطموح الزائد للمال والثروة ـ التخلى عن المبادىء والقيم ، وربما كانت هناك أيضاً ظروف أخرى ، مثل إدمان المخدرات أو المرور بأزمة مالية ...

وفى هذا الكتاب يبدو لنا أيضاً ، من خلال استعراض حياة الجواسيس ، الدور الفعّال الذى تلعبه الجاسوسية فى حياة الدول المختلفة ، وعلى الأخص روسيا وأمريكا ، حيث يبدو واضحاً مدى قوة المنافسة القائمة بين جهاز المخابرات الأمريكية (CIA) وجهاز المخابرات السوفيتية (KGB) فى اقتناص كل منهما لأكبر قدر من المعلومات السرّية عن الآخر ومعرفة ما يدور بداخله ، ومن المؤسف ، بل ومن الطبيعى أيضاً ، أن عملية التجسس هى الطريق الأساسى للوصول لمثل هذه المعلومات ، ويدل على ذلك ، استخدام الأقمار الصناعية فى كل من البلدين للتجسس على الآخر ، بل وأحياناً على العالم بأكمله ـ كما سيتضح . هذه الوظيفة التى تحاول كل من الحكومة الأمريكية والحكومة السوفيتية إسدال الستار عليها ...

فالجاسوسية ، فى الوقت الحالى ، لم تعد عبارة عن تجسس

فرد على جماعة ، بل صارت ، إلى حدٍ ما ، تجسس دول بأكملها على دول أخرى أو ربما على العالم بأكمله ، مما يعطى الإحساس بأننا نعيش فى عالم مملوء بالجواسيس من حولنا ..

تمنياتى بوقت طيب .

دكتور أيمن الحسينى أبو الروس

الإسكندرية فى جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ
يناير سنة ١٩٩٠ م

إعداد الجواسيس

◀ تعريف الجاسوس :

يمكن تعريف الجاسوس على حسب ما جاء فى « اتفاقية لاهاى » ـ المادة ٢٠ : بأن الجاسوس هو الشخص الذى يعمل فى الخفاء أو تحت شعار كاذب ، ليحصل على معلومات عن العمليات العسكرية لدولة محاربة بهدف إيصالها للعدو .

وكما يعمل الجواسيس فى وقت الحرب ، فهم يعملون أيضاً فى وقت السلم ، بهدف الحصول على معلومات لتعزيز جبهة الدولة التى يتجسسون لحسابها فى حالة نشوب حرب جديدة ، كالحصول على معلومات عن تطور الأسلحة الحربية فى الدول الأخرى ، وما وصلت إليه من تكنولوجيا حديثة . وأيضاً من أجل تقوية الصراع القائم بين الدول على القواعد الاستراتيجية ، والسيطرة على مناطق النفوذ ، والاستفادة من الاضطرابات السياسية فى بقاع العالم المختلفة ، كمشكلة فلسطين ومشكلة جنوب أفريقيا ، عن طريق دس الفتن والمؤامرات السياسية ، لخدمة مصالحها السياسية والاستراتيجية .

لكن عقاب جاسوس الحرب يختلف عن عقاب جاسوس السلم ، فالتجسس أثناء الحرب عقابه الإعدام ، أما التجسس أثناء السلم فعقابه السجن لمدة معينة .

◄ *صفات الجاسوس :*

ومن أهم ما يجب أن يتحلى به الجاسوس حتى ينجح فى مهمته هو الذكاء وحسن البديهة والفراسة ، فبهذه الصفات يستطيع أن يلتقط المعلومات بسرعة ، ويحلل الأمور ، ويستخلص النتائج .

كذلك فلاتصافه باللباقة وحسن التصرف أهمية خاصة حين تتأزم الأمور ويبقى عليه أن يختار بين الموت والحياة . هذا إلى جانب ضرورة إلمامه الجيد بلغة البلد الأجنبية التى يقوم فيها بمهمته ، وأيضاً معرفته لعادات وتقاليد الناس فى هذا البلد . كذلك ينبغى أن يتصف أى جاسوس بقوة الذاكرة بحيث يستطيع « حفظ » الوجوه وتسجيل المعلومات فى رأسه دون أن ينسى منها شيئاً . وقبل كل هذه الصفات ، يجب أن يتحلى الجاسوس بالشجاعة وحب المغامرة .. فلا قيمة لأى صفة من الصفات السابقة ، إذا شعر الجاسوس ولو لمرة واحدة بالخوف أثناء مهمته .

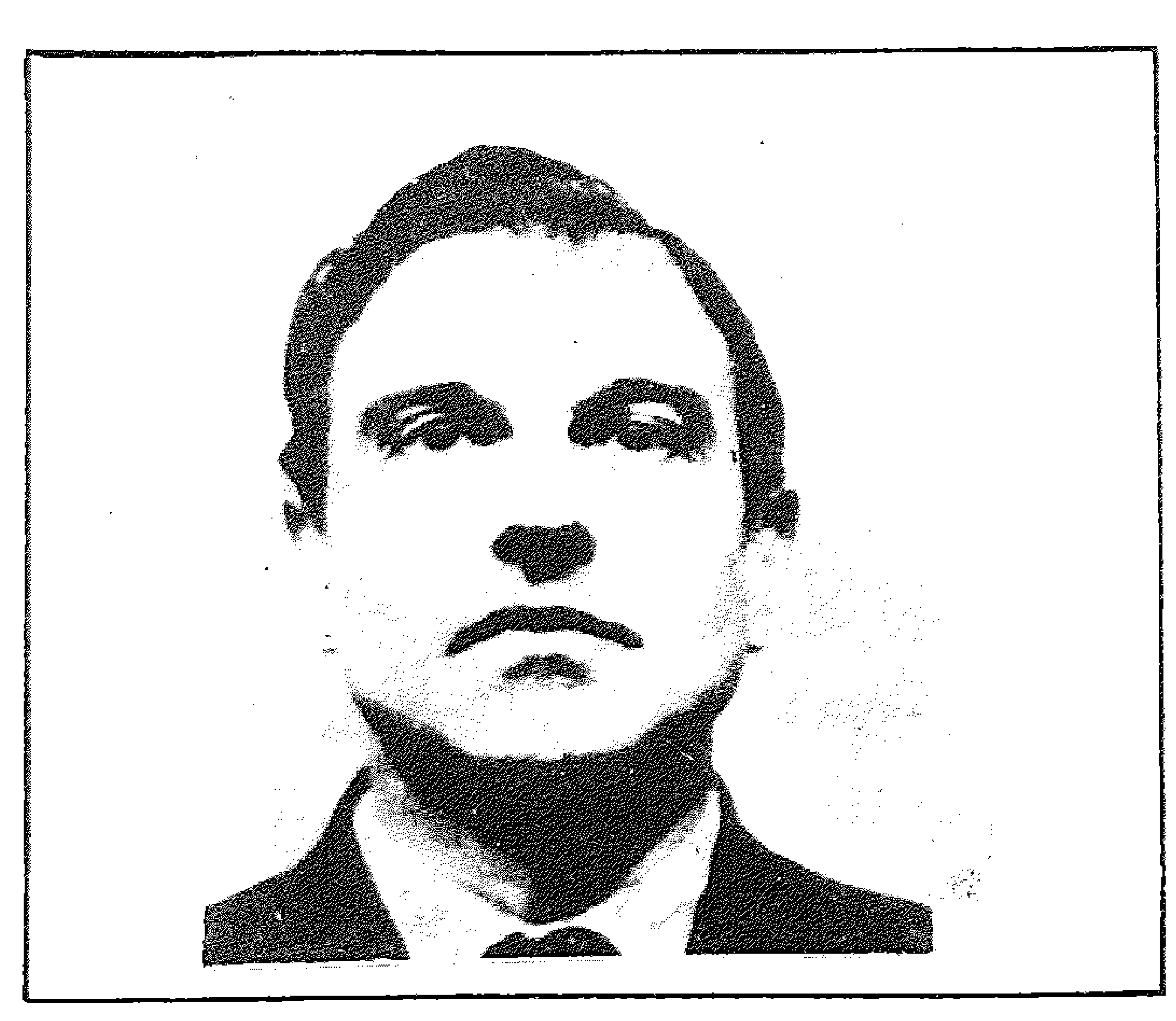
◄ *الجاسوس المزدوج :*

الجاسوس المزدوج ، هو الجاسوس الذى يعمل لحساب دولتين فى وقت واحد (جاسوس بوجهين) .. وهو أذكى وأخطر أنواع الجواسيس ، فلا يمكن أن ينجح فى هذه المهمة سوى الشخص الذى يتصف بالذكاء والمكر الشديدين حتى يستطيع أن يكسب ثقة الطرفين ، ويخدع كل منهما فى نفس الوقت . وغالبا ما تكون حياة الجاسوس المزدوج هى رهن لأى خطأ بسيط قد يقع فيه دون قصد ، لكن ما يحققه من مكاسب كبيرة من هذه « اللعبة » الخطرة يجعله لا يبالى حتى بحياته فى سبيل ما يحصل عليه من أموال من كلتا الدولتين .

◀ أمثلة للجاسوس المزدوج :

جورج بليك :

ومن أشهر وأنجح من قام بدور الجاسوس المزدوج هو « جورج بليك » ، فكان دبلوماسياً إنجليزياً وعميلاً للمخابرات البريطانية فى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ، لكنه فى نفس الوقت كان شيوعياً وقام بالتجسس لحساب روسيا لفترة طويلة . وفى سنة ١٩٦١ ، ألقت بريطانيا القبض عليه ، وصدر عليه الحكم بالسجن لمدة ٤٢ عاماً بتهمة التجسس على انجلترا لحساب الدول الشيوعية . لكنه استطاع الهرب من السجن إلى روسيا .. ولا يزال يعيش فى روسيا حتى الآن ..



جورج بليك ـ الجاسوس المزدوج

◀ الكولونيل كالدين :

الكولونيل كالدين .. هو أشهر جاسوس مزدوج أثناء الحرب العالمية الأولى . وقد قام بمهمة الجاسوس المزدوج بعلم بلده روسيا . فعلى الرغم من عدم تقبّل الروس لفكرة الجاسوس المزدوج ، لكنها اضطرت إلى الاستعانة به كجاسوس مزدوج لتحصل على بعض المعلومات الهامة عن تحصينات الجبهة الألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى .

فسافر كالدين إلى ألمانيا ، ولم يخف حقيقة عمله كضابط روسى ، لكنه علل سفره إلى ألمانيا بهروبه من البوليس السياسى الروسى ، واستطاع أن يكسب ثقة الألمان بعد أن أفشى أسماء بعض الجواسيس الروس فى ألمانيا ، لكنه مقابل ذلك استطاع أن يقوم بمهمته على أكمل وجه ، وأن يقوم بجمع كل المعلومات التى طلبها منه الروس عن الجبهة الألمانية ، وأن يقدم لبلده روسيا خدمة جليلة ساعدتها أثناء الحرب .

◀ مدارس الجاسوسية :

بدا واضحاً أثناء الحرب العالمية الثانية أن الجاسوسية لها دور هام وخطير فى مجرى الأحداث ، فبدأ الاهتمام يتزايد منذ ذلك الوقت بالجاسوسية . فخصصت الدول الكبرى ، فى الخفاء ، ميزانية ضخمة من ملايين الدولارات تنفقها كل عام خدمة للجاسوسية ، وتندرج هذه المصروفات تحت بنود مختلفة مثل بند النفقات العسكرية أو الوظائف السياسية . وتحولت الجاسوسية مع الوقت إلى علم وفن ، فأنشئت مدارس فى الدول الكبرى لتعليم

الجواسيس ، وإعدادهم إعداداً جيداً ، حتى يحققوا من خلال عملهم أعلى درجات النجاح .

ومن مدارس الجاسوسية الشهيرة : المدرسة السوفيتية ، والأمريكية ، والألمانية ، والإنجليزية ... وأكثرها انتشاراً هى المدارس السوفيتية ، نظراً لاهتمام روسيا البالغ بتعزيز قوتها ضد القوة الأمريكية .. فكانت الجاسوسية هى إحدى الوسائل الهامة لهذا الغرض .

وفى هذه المدارس ، بصفة عامة ، يتدرب الجاسوس على كيفية استخدام وسائل التجسس المختلفة مثل الشفرة والحبر السرى وكاميرات التصوير السرية ، ويتدرب كذلك على استخدام الأسلحة والذخائر .. ومنها الذخائر الخفية ، كأقلام الحبر التى تحمل متفجرات ، وما إلى ذلك . كما يتلقّن الجاسوس العديد والعديد من النصائح والإرشادات حتى يتوّج عمله بالسرية التامة ، ويمضى فى مهمته دون أن يثير أدنى شك فيمن حوله .

◄ *المدرسة السوفيتية :*

الروس هم أشد الدول حرصاً على الاهتمام بالجاسوسية وتدريب الجواسيس[1] ، ويدل على ذلك وجود مدارس كثيرة للجاسوسية فى مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتى ويبلغ عددها عشرة مدارس .

---

(١) برع المواطن الروسى فى ظل المبادىء الشيوعية الهدامة فى التجسس على مواطنيه ، بل وعلى أهله وعشيرته ، مما أكسبه مهارة يحسد عليها فى هذا المجال !!

وكل مدرسة تختص بلغة معينة وبجزء معين من العالم ؛ فمثلاً فى مدرسة «كتايسكايا» ، يتم إعداد الجواسيس للتجسس على الصين . وفى مدرسة «ڤوستوكزنايا» يتم إعداد الجواسيس للتجسس على آسيا والشرق الأوسط .

لكن أشهر هذه المدارس هى المدرسة التى توجد فى جاسزينا ، والتى يتم فيها تأهيل الجواسيس للتجسس على الدول الناطقة بالإنجليزية . وهى مدرسة تقع على مساحة كبيرة جداً ، ويقال إنها تحتوى على نماذج مشابهة لنماذج الحياة فى الدول الغربية . فتحتوى مثلاً على فنادق وسيارات مماثلة للطابع الأمريكى ، وتحتوى على بارات مماثلة للطابع الإنجليزى . أى أن الجاسوس فى هذه المدرسة يتدرب على الجاسوسية وكأنه يمارسها بالفعل فى الدولة الأجنبية . كذلك يرتدى الجواسيس ملابس الدول الغربية ، ويتعاملون مع بعضهم بأسماء غربية .

وقد تخرّج من هذه المدرسة جواسيس كثيرون منهم «كونون مولودى» و «رودلف أبل» .

◀ المدرسة الألمانية :

الألمان هم من أكثر الشعوب التى اهتمت بالجاسوسية ، فوضعوا لها النظم والقوانين وأصبحت علماً كأى علم من العلوم الأخرى . وتتميز المدرسة الألمانية للجاسوسية بالدقة المتناهية ، ويظهر هذا بوضوح من خلال الإرشادات التى يتلقاها الجواسيس فى مدارس التجسس الألمانية .. وفى المقطع التالى جزء مما يتلقنه

الجواسيس فى المدرسة الألمانية بمدينة أنتورب .. والذى يعبر عن هذا المعنى :

« اخف أى شىء تحمله يحمل لغة ألمانيا ، حتى تشجع الآخرين على التحدث بحرية ، وتذكّر أن العميل الألمانى لا يتحدث ولا يكتب أى كلمة بالألمانية أثناء تواجده فى مهمة بالخارج » .

« تخلّص من أى خطاب أو ورقة بمنتهى الحرص والسرية ، حتى لو كنت ستلقى بها فى دورات المياه العامة . وتذكّر أن تمزيق أى ورقة وقذفها بعيداً ، لا يمحو ما جاء بها ، كذلك فالتخلص من أى أوراق عن طريق حرقها بالنار قد لا يمحو تماماً ما جاء بها ؛ فيمكن أن يؤدى فحص بقايا الأوراق المحترقة بالميكروسكوب إلى كشف بعض ما جاء بها » .

« استفد بكل شىء مهما كان تافهاً من المعلومات التى تسمعها ، ولكن لا تبدى اهتماماً بأى شىء على الإطلاق » .

ومن عيوب المدرسة الألمانية ، هو النظام الشديد والقسوة فى التدريب ، وهو نفس عيب المدرسة الروسية . ويُذكر عن المدرسة الألمانية أنها تقوم بالتخلص من الجواسيس الفاشلين فى التعليم ، بإرسالهم فى مهمات تضمن فيها القبض عليهم وشنقهم . ويطلق على الجاسوس الفاشل اسم « الجاسوس الغبى » وهو من مصطلحات هذه المدرسة .

◄ *المدرسة الإنجليزية :*

تأتى المدرسة الإنجليزية فى المرتبة الثانية بعد المدرستين الروسية والألمانية . ويوجد فى إنجلترا عدد محدود من مدارس الجاسوسية

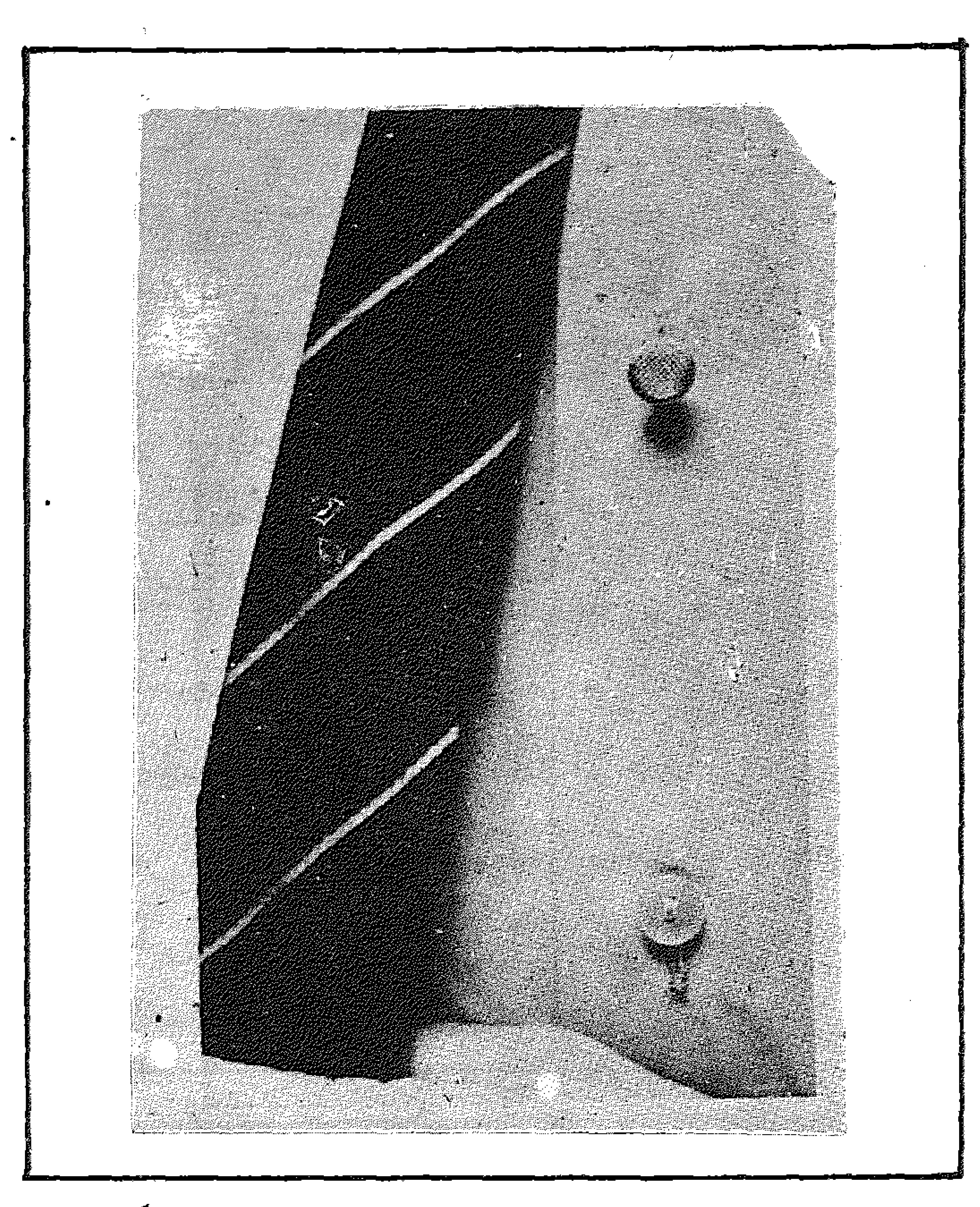
التى يقع أغلبها فى الريف الإنجليزى . ولا تمتاز المدرسة الإنجليزية بما هو جديد عن المدرستين الروسية والألمانية ، لكن ربما كان الاهتمام بالنواحى الرياضية وقوة التحمل هو من أبرز ما تتميز به المدرسة الإنجليزية . فيتلقى الجواسيس فى المدرسة الإنجليزية دروساً مكثفة عن كل الرياضات العنيفة كالمصارعة الحرة والجودو والكراتية ، إلى جانب تعليم اللغات الأجنبية ودراسة الجغرافية وفن التخريب واستعمال الذخائر .. كذلك يتدرب الجواسيس على قوة الاحتمال ، حتى يستطيعوا أن يتصدوا لكل المواقف التى قد يواجهونها فى البلاد الأجنبية ، فيقضى الجاسوس فترة فى سجن انفرادى مع حرمانه من الطعام والنوم المريح ، حتى تزداد قوة تحمله إذا ما تعرض للسجن على يد الأعداء .

◀ ***معدات التجسس :***

كل المعدات التى يستعين بها الجاسوس أثناء مهمته ، مثل أجهزة التصنّت وكاميرات التصوير ، هى معدات صغيرة الحجم حتى يسهل إخفاؤها . وانتشرت هذه النوعية من المعدات منذ الحرب العالمية الثانية ، وقد أُدخل عليها الكثير من التعديلات حتى وقتنا الحالى . ومعظم هذه الأنواع تُباع فى الأسواق دون أى قيود ، مما قد يشكل خطراً من سوء استخدامها .

ـ ***أجهزة التصّنت :***

هى أجهزة صغيرة لنقل الحديث من على بُعد . ويوجد منها نوعان ؛ نوع يحمله الجاسوس معه على هيئة قلم أو علبة سجائر أو زر قميص أو غير ذلك من الأشكال المختلفة .



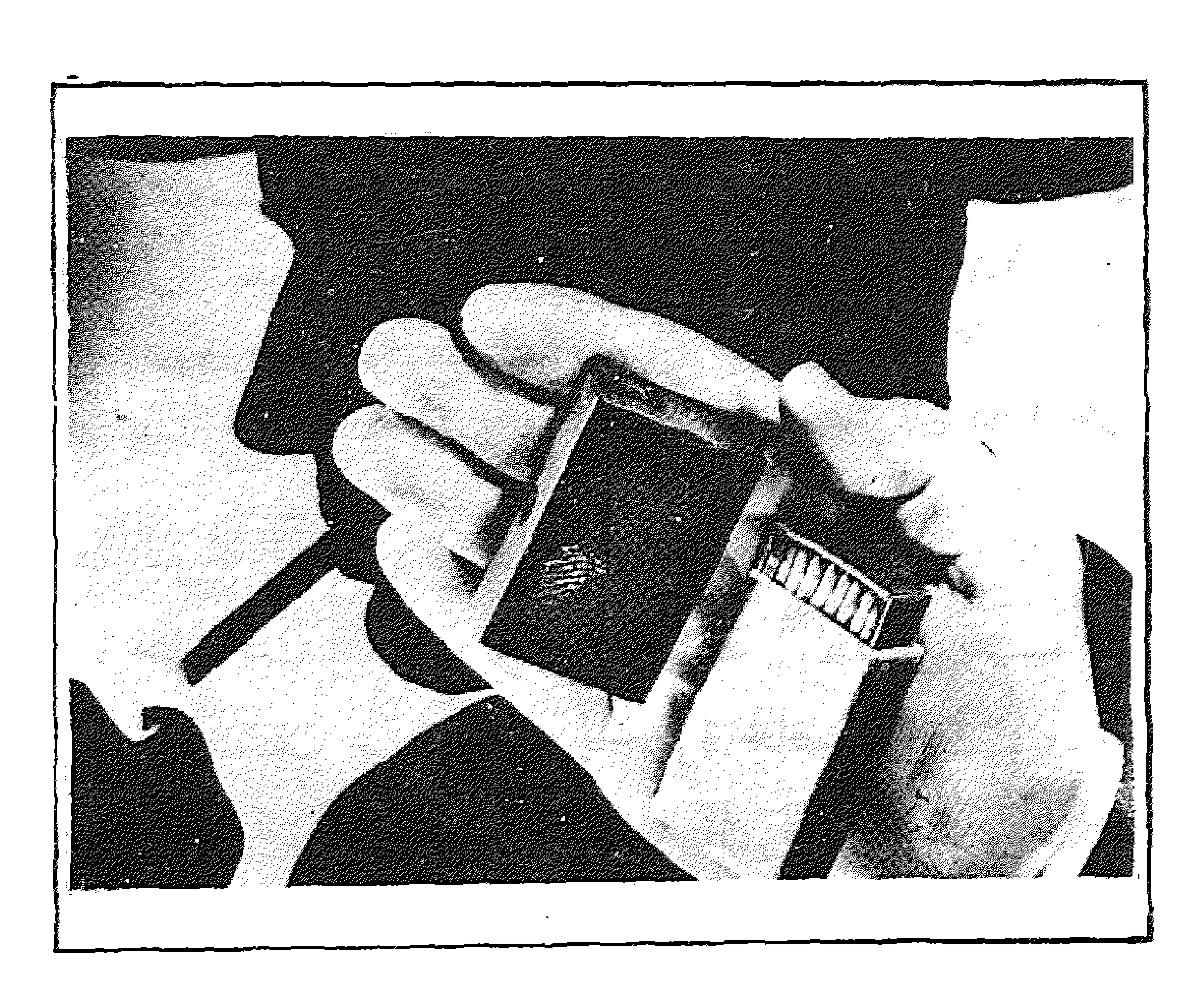
أصغر جهاز للتصنت ـ يمكن أن يحمله الجاسوس بدلاً من زر القميص (كما موضح بالصورة) .
هذا الجهاز يمكنه نقل الحديث من على بُعد يصل إلى ١٠٠ متر .

أما النوع الآخر ، فيُثبَّت فى خفاء داخل المكان المراد التصنت عليه ، مثل تحت المكتب أو على الحائط ... لكن يعيب هذا النوع أنه يمكن الكشف عن وجوده بأجهزة خاصة لذلك ، مثلما يحدث داخل السفارات . حيث يقوم رجال الأمن بالكشف عن مثل هذه الأجهزة من وقت لآخر داخل أماكن الاجتماعات السرية ، وذلك باستخدام جهاز « لمسح » المكان ، يقوم بإصدار صوت معين فى حالة تواجد أحد هذه الأجهزة .

هذا النوع من أجهزة التصنت كان السبب فى الكشف عن « فضيحة ووترجيت » ، التى أدت إلى عزل الرئيس الأمريكى السابق نيكسون . حيث قام بعض رجال نيكسون بإخفاء عدد من هذه الأجهزة داخل مقر الحزب الديمقراطى للتصنت على ما يدور داخله أثناء فترة الانتخابات .

ـ كاميرات التصوير :

يوجد أحجام وأنواع مختلفة من كاميرات التصوير التى يستخدمها الجواسيس . أصغر هذه الأحجام يمكن إخفاؤها داخل علبة السجائر أو حتى داخل ولاعة السجائر . وبعض هذه الأنواع يمكنها التقاط الصور فى الظلام التام .

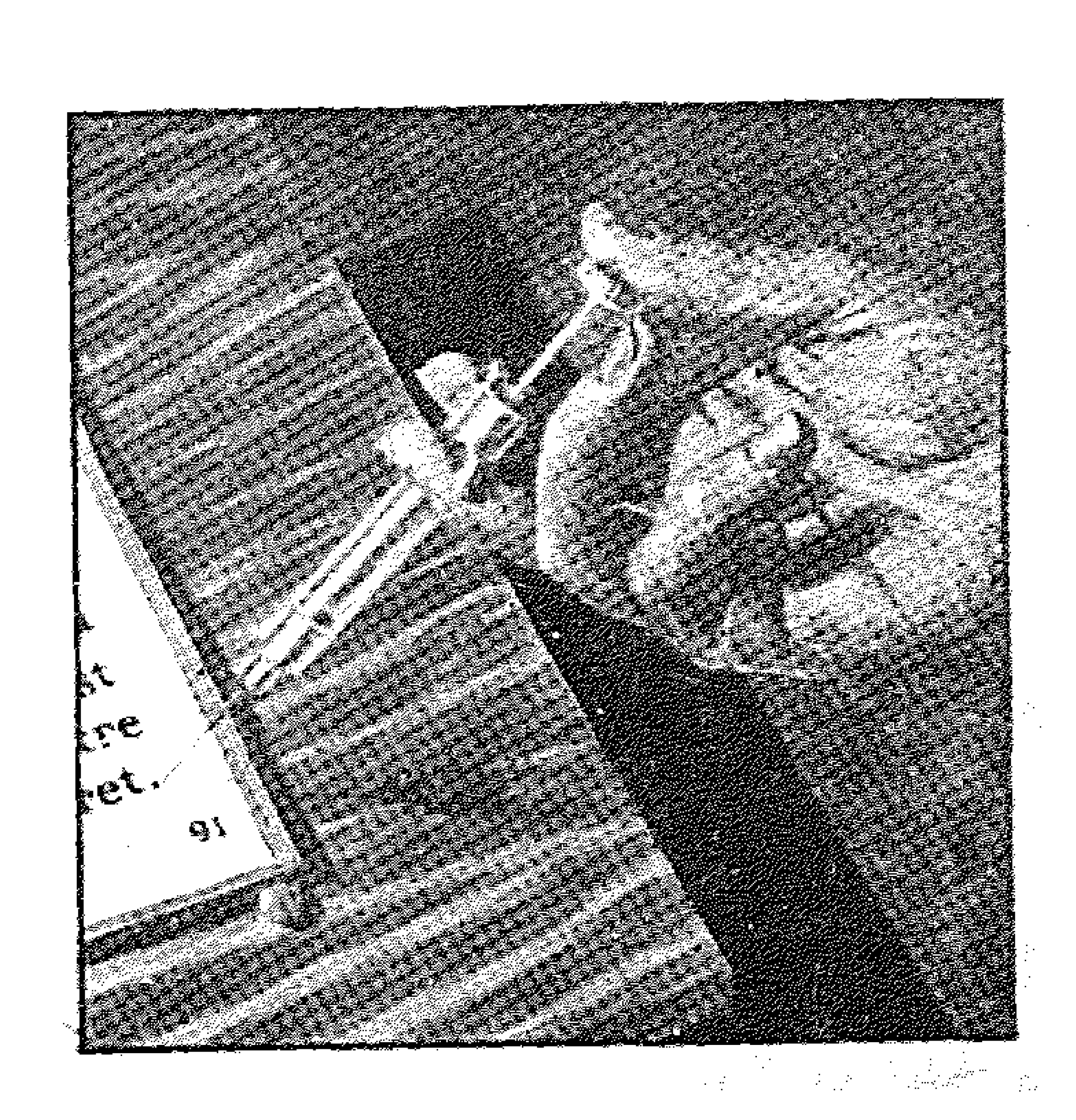


كاميرا صغيرة فى حجم علبة الكبريت ، لالتقاط الصور السرية .

أفلام التصوير (Microdots) :

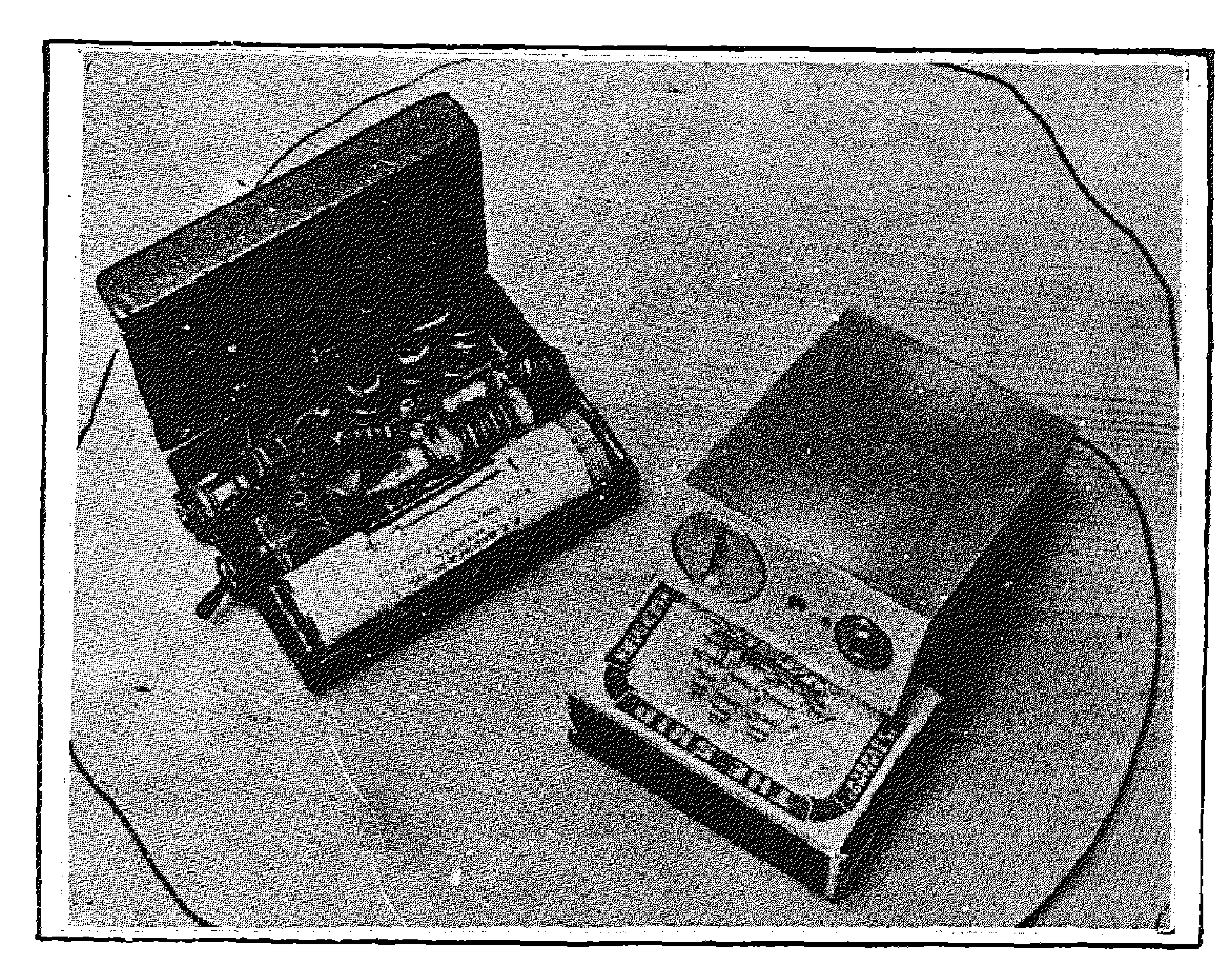
ميكروذْتس .. هى أفلام صغيرة جداً خاصة بعمليات التجسس ، وبالغرم من حجمها الصغير يمكنها أن تحمل عدداً كبيراً من الكلمات ـ مثل عدد الكلمات الموجودة فى صفحة كاملة من هذا الكتاب .

كيف يتم تجهيز هذه الأفلام ؟ . يقوم الجاسوس بتصوير المستند المطلوب بالكاميرا السرية . ثم يقوم الجاسوس أو أحد الخبراء بعد ذلك بتصوير الصورة مرة أخرى لتصغير حجمها . ثم يُعاد التصوير أكثر من مرة حتى يتم اختزال حجم الصورة ، لتصبح فى النهاية فى حجم « نقطة » تظهر معالمها تحت الميكروسكوب . يقوم الجاسوس بعد ذلك بحمل هذه النقطة بواسطة « سرنجة » خاصة ، ثم يلصقها ضمن الكلامْ الموجود بأى كتاب ، ليحمل الكتاب بعد ذلك عائداً إلى بلده .. وهناك يتم تكبير الصورة وتحميض الفيلم .



ـ أجهزة اللاسلكى :

ويوجد منها أشكال وأحجام مختلفة ، وقد يصل حجم أصغر الأجهزة إلى حجم علبة الكبريت . ولكن كلما صغر حجم جهاز اللاسلكى كلما صغر مجاله .



جهاز لاسلكى (استقبال وإرسال) ، وهو من الأحجام المناسبة لعمل الجواسيس .

ـ الحبر السرّى :

الكتابة بالحبر السرى هى كتابة خفية ، بمعنى أنك تكتب ولا تظهر أى كلمات .. كأنك لا تكتب .

وعادة تتم المراسلة بالكتابة السرية ضمن خطابات عادية يبعث بها الجاسوس إلى عنوان معين فى الدولة الأجنبية التى يعمل

لحسابها ، قد يكون عنوان شركة ، يسألها عن بعض المنتجات ، أو عنوان صديق له ، يسأله عن أحواله . ويكون هذا العنوان فى الحقيقة هو عنوان مستعار لأعوان الجاسوس فى الدولة الأجنبية .. فيقوم الجاسوس بكتابة المعلومات السرية بين سطور هذا الخطاب ، فلا تظهر الكتابة على الإطلاق .

وفى وقت الحرب أو فى حالة وجود شبهة حول فرد معين ، يقوم مراقبو الخطابات بالكشف عن الخطابات بمادة كيماوية معينة تُظهر الكتابة بالحبر السرى . وعادة يتم فحص ما بين السطور فى جزء من الخطاب ، فإذا ظهرت لهم كتابة سرية ، يقوم المراقبون بفحص كل الفراغات الموجودة بين السطور .

◀ مثال :

عزيزتى عبلة ..

أرجو أن تكونى بخير وصحة جيدة ،

لم يصلنى منك خطابات منذ فترة ،

كيف أحوال الدراسة ؟ أنا فى

أعلنت حالة الطوارىء بين القوات فى سفاجة .

انتظار عودتك لإتمام الزواج ...

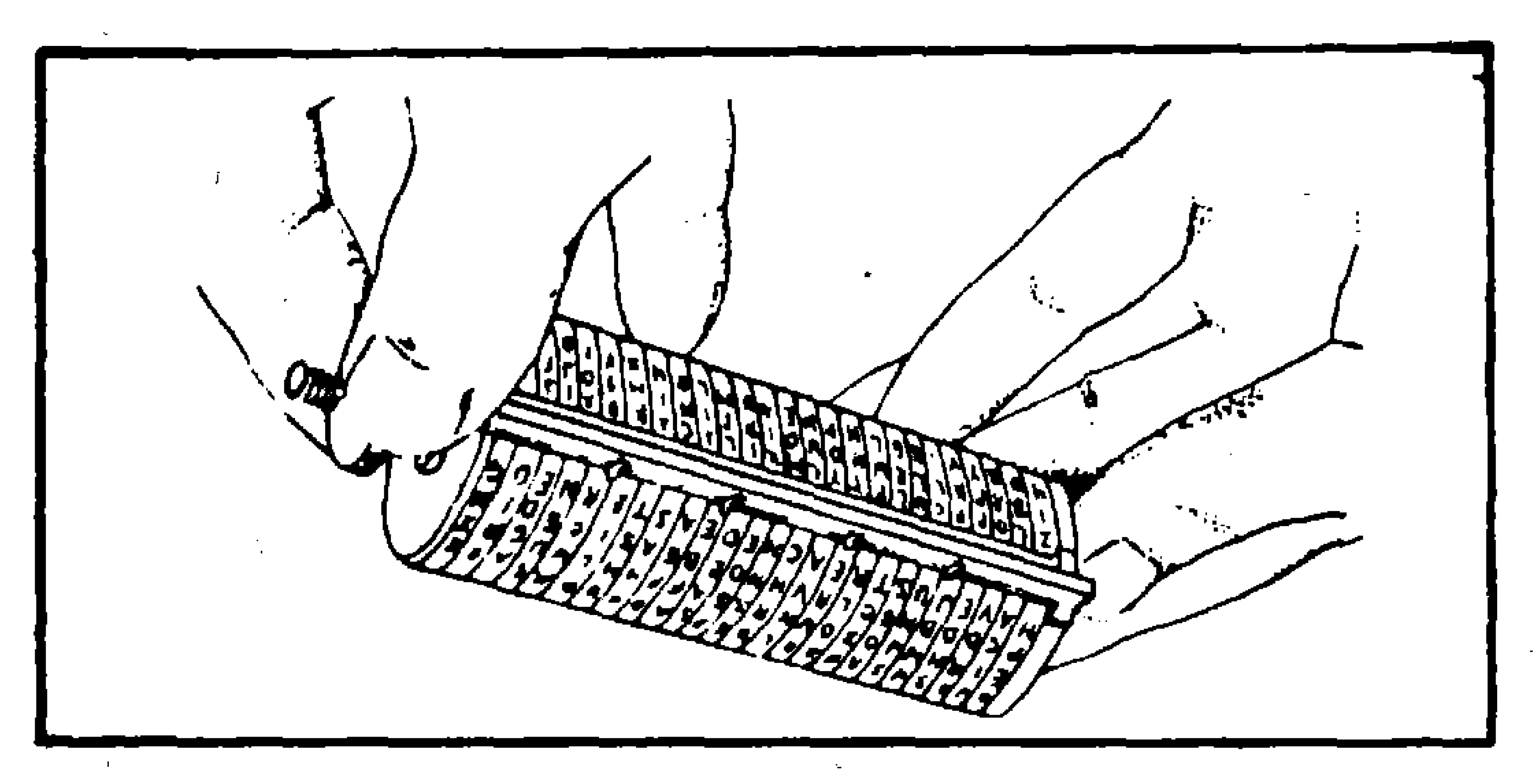
(عن فيلم الصعود إلى الهاوية)

أجهزة الشـفرة :

توماس جيفرسون ـ الرئيس الثالث للولايات المتحدة ـ هو أول من ابتكر جهازاً للشـفرة ، وكان ذلك فى القرن الثامن عشر ، وهو نفس فكرة جهاز الشـفرة الذى يستخدمه الجيش الأمريكى حتى الآن .

وجهاز الشـفرة ببساطة هو جهاز يقوم بإعادة صياغة الرسائل بحيث تدل على الأسرار المراد تبليغها . فيتم تغذية الجهاز بالرسالة ، فيقوم بإعادة صياغتها وإخراج رسالة أخرى بمضمون جديد ، وذلك وفقاً لترتيب معين للحروف الهجائية داخل جهاز الشـفرة ، وباستخدام كلمات أو كلمة معينة هى « مفتاح » الجهاز ، وهى كلمة سرية للغاية .

وبالطبع لا يستطيع الجاسوس أن يحمل معه جهاز الشـفرة أثناء مهامه خارج البلاد ، لكنه يستعيض عنه بكتيب صغير يقوم بعمل الجهاز ، فيساعده هذا الكتيّب على كتابة الرسائل السرية وطريقة الكشف عنها بصورة تقريبية .



اسطوانة جهاز الشفرة الذى يستخدمه الجيش الأمريكى ، وهى مشابهة لنفس فكرة جهاز الشفرة الذى ابتكره توماس جيفرسون . يحتوى كل صف من صفوف الحروف المتوازية على سطح الأسطوانة ، على ٢٥ حرفاً هجائياً ، تُعبّر عن ملايين الكلمات .

ـ الاستعانة بالصحف اليومية فى الجاسوسية :

من الوسائل التى يلجأ إليها الجواسيس فى بعض الأحيان لنقل المعلومات السرية هى الصحف اليومية ! وهى أبسط طريقة لنقل المعلومات ، وفيها يقوم الجاسوس بنشر برقية معينة فى الصحف تحمل معنى معيناً متفقاً عليه بين الجاسوس وأعوانه . فمثلاً قد ينقل الجاسوس خبرا ما بنشر جملة ، متفق عليها ، فى الصحف ، مثل :

صديقى ألبرت

أتمنى لك الشفاء التام

المخلص روبرت .

كانت هذه الطريقة لنقل المعلومات منتشرة أثناء الحرب العالمية الثانية . مما دعا المراقبون إلى قراءة الصحف اليومية بإمعان لعلهم

يتصيدون جملة او برقية قد توحى بشكلها العام بنقل خبر معين إلى الأعداء .

▶ *الراديو .. وسيلة أخرى للجاسوسية :*

يلجأ الجواسيس فى بعض الأحيان إلى الاستعانة بالإرسال الإذاعى لبث المعلومات عن الدول الأجنبية ، وبطريقة خفية من خلال أحاديث عادية ، أو إرسال برقيات التهانى وما إلى ذلك .

لذلك كانت برامج الراديو الأجنبية تسمع وتراقب جيداً أثناء الحرب العالمية الثانية لئلا تنطوى على تعليمات إلى الجواسيس ، أو معلومات يقوم بنقلها تحت ستار الإذاعة البريئة .

▶ *الحقيبة الدبلوماسية .. وسيلة مأمونة لنقل الأسرار :*

كانت ولازالت الحقيبة الدبلوماسية هى إحدى الوسائل المأمونة لنقل كل أنواع المحظورات عبر حدود البلاد ، فاستخدمت فى الجاسوسية على نطاق واسع لنقل المستندات والوثائق السرية خارج البلاد . بفضل تمتع صاحبها بحصانة دبلوماسية تمنع تفتيش حقيبته الدبلوماسية .

▶ *خطأ الجاسوس يساوى حياته ..*

على الرغم من الجهد الكبير الذى تبذله مدارس الجاسوسية لتخريج جواسيس مهرة يعملون بمنتهى الحرص والدقة ، إلّا أن مهمة الجاسوس ، مهما اتصف بالمهارة والذكاء ، لا تزال مهمة شاقة ؛ فأى خطأ يقع فيه الجاسوس مهما كانت بساطته يمكن أن يفتضح أمره ويودى بحياته .

والأمثلة على ذلك كثيرة .. فكم من جواسيس مهرة استطاعوا القيام بأصعب العمليات ، لكنهم راحوا ضحية لأخطاء بسيطة وتافهة .. كهؤلاء الجواسيس :

● فى الحرب العالمية الأولى ، كان يقوم اثنان من الجواسيس الألمان فى ميناء بوتسموت بإنجلترا بإرسال معلوماتهم السرية عن القطع البحرية إلى متجر سجائر فى روتردام بهولندا ، عن طريق طلب شراء بعض أنواع « السيجار » ، فمثلاً : إذا طلبا من المتجر إرسال خمسة آلاف سيجار من نوع « هافانا » ، وثمانية آلاف سيجار من نوع « كوبا » .. كان معنى ذلك تواجد ٥ بوارج و ٨ طرادات فى الميناء فى الوقت الذى كتبت فيه البرقية .

وعلى الرغم من نجاح تلك الحيلة فى توصيل المعلومات ، إلّا أن الجاسوسين قد وقعا فى خطأ تافه ، فقد فاتهما أن البحارة الإنجليز قلّما يدخنون « السيجار » .. فكان إرسال برقيات من ذلك النوع لأكثر من مرة ، فيه ما يدعو للشك والريبة . وبالفعل استطاع « الرقيب » على الرسائل أن يكشف تلك الحيلة بعد أن لاحظ أنهما قد طلبا من « السيجار » خلال فترة قصيرة ما يكفى لأكثر من عام ...!

● جاسوس ألمانى آخر استطاع أثناء الحرب العالمية الأولى أن يقوم بمهمته بنجاح ، لكنه وقع فى خطأ بسيط بعد أن وصل إلى الشاطىء الإنجليزى بغواصته . فبعد أن نَزَل من الغواصة ، وسار بعيداً عن الشاطىء ، أراد أن يغادر تلك المنطقة بسرعة . فرأى مجموعة من الدراجات المنتظرة أمام أحد الفنادق ، فقام بسرقة دراجة منها ، ليمضى بها بعيداً عن مكان مهمته . لكن على الرغم

من أن ذلك الجاسوس كان يتكلم الإنجليزية بطلاقة ، ويحمل معه بطاقة شخصية مزيفة بمنتهى الدقة ، وعلى الرغم من نجاحه فى مهمته بمهارة وذكاء ، لكنه فاته شيء فى منتهى البساطة ، كان كفيلاً بأن يفتضح أمره .. ذلك أنه عندما سار بالدراجة نسى أن السير فى انجلترا يكون على اليسار بدلاً من اليمين ، بخلاف ما هو متبع فى معظم دول العالم .. فبعد أن سار مسافة قصيرة بدراجته ، قبض عليه بوليس المدينة ، فانكشف أمره أثناء التحقيق فى تلك « المخالفة » البسيطة لقواعد المرور ..

● تم القبض على عدد كبير من الجواسيس أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية بسبب أخطاء لغوية بسيطة ، على الرغم من إجادة الجواسيس للغة البلد الأجنبى إجادة تامة .. وغالباً كان السبب فى تلك الأخطاء اللغوية هو الاضطراب أو عدم التركيز التام .

فمثلاً : عندما أنهى الجاسوس الإنجليزى فى ألمانيا مهمته بنجاح ، وطلب من بائع التذاكر تذكرة للتوجه إلى اسكتلندا . أراد بائع التذاكر أن يتأكد من طلب المسافر ، فعندما سأله : « هل تريد التذكرة إلى اسكتلندا ؟ » .. أجاب الجاسوس الإنجليزى على السؤال بكلمة « نعم » باللغة الإنجليزية بدلاً من اللغة الألمانية بسبب اضطرابه أثناء مغادرة ألمانيا فكان ذلك كفيلاً بافتضاح أمره فى ذلك الوقت العصيب أثناء الحرب العالمية الثانية ...



جونى ووكر

الجاسوس الذى تزعّم أفراد عائلته ، فى أحدث وأغرب قصة ، للتجسس على أمريكا



مكالمة تليفونية
تكشف عن أكبر عملية تجسس شهدتها أمريكا

◄ بوسطن ـ مكتب التحقيقات الفيدرالى :

فى ١٧ نوفمبر ١٩٨٤م . دقّ جرس التليفون فى مكتب التحقيقات الفيدرالى بمدينة بوسطن ، وجرت هذه المكالمة :

ـ ألو .. أنا باربرا ووكر ، أريد أن أتحدث إلى الضابط المسئول .

ـ لحظة واحدة ياسيدتى ، سيتحدث معك ولتر برايس ..

ـ ألو .. أنا برايس ، هل من خدمة أؤديها لك ؟ .

ـ لدىّ اعتراف خطير ، أريد أن أصرح به ..

ـ تفضّلى ياسيدتى .

عند ذلك ، سكتت باربرا للحظات ، ثم استجمعت قواها مرة ثانية لتصيح فى عصبية قائلة :

ـ زوجى السابق ، جونى ووكر ، هو جاسوس روسى .. هل تسمعنى ؟ .. جاسوس روسى .

على الرغم من تلك المفاجأة ، لم يهتم برايس كثيراً بما سمعه ، ثم أنهى المكالمة فى هدوء ، وعاد لاستكمال ما كان فيه !.

فلم يكن من السهل على برايس أن يصدّق جدِّية كل ما يتلقاه

من مكالمات ، خاصة مثل تلك المكالمة ، فعلاوة على أن صوت باربرا كان يدل على أنها فى حالة سُكرٍ واضح ، كان الدافع لهذه المكالمة ، كما فسرّه برايس ، هو مجرد محاولة انتقام زوجة من زوجها السابق لأى سبب من الأسباب ، بادعائها الكاذب عليه . وربما كان أيضاً رد فعل برايس ناتجاً عن الثقة الزائدة التى تتمتع بها المخابرات الأمريكية . لكن لم يكن تفسير برايس لتلك المكالمة فى محلّه ، فقد كان زوج باربرا السابق هو فعلاً جاسوس روسى ، يعمل لحساب روسيا منذ سنوات طويلة !..

لم تجد باربرا أمامها إلّا مُعاودة الاتصال مرة أخرى ببرايس ، فاتصلت به ثانية وثالثة ، ولكن دون جدوى ، فلم يكن الرجل ليصدّق حقيقة ما ادّعته باربرا بأى حال من الأحوال ، على الرغم مما ذكرته باربرا من بعض « التفصيلات » لإثبات اشتغال زوجها بالجاسوسية .

وأخيراً سألها برايس هذا السؤال حتى يحسم الموقف ، « هل هناك شاهد آخر يؤكد ما تدّعينه ؟ » . فردت باربرا قائلة : « نعم .. هناك ابنتى لورا ، المقيمة بنيويورك » .

فى مساء اليوم التالى ، اتّصل برايس تليفونياً بلورا ، التى أكدّت له صحة ما ادعته أمها ، وأعلنت أيضاً عن رغبتها منذ فتر طويلة فى الإبلاغ عن أبيها ، بالاتفاق مع أمها .

والآن ، بعد أن تأكد برايس ــ إلى حد ما ــ مما ادّعته باربرا كان عليه أن يبدأ فى بحث هذه القضية فى أسرع وقت ممكن

ففى اليوم التالى ، استقل برايس سيارته متوجهاً لمنزل باربرا ليسمع منها كل التفاصيل ..

●○●○●○

كانت باربرا ، البالغة من العمر الأربعين عاماً ، فى انتظار قدوم برايس ، حسب الميعاد المحدد .

كانت تبدو خائفة ... متوترة ، فقد خيّل إليها أن كل بوليس المدينة سيأتى مع برايس للقبض عليها ، بعد ذلك البلاغ الخطير . لكن ، سريعاً مازال خوفها بعد أن حضر برايس إليها بمفرده ، وأحست عند لقائه بشىء من الطمأنينة .

جلست باربرا إلى برايس ، ووضعت أمامها زجاجة الفودكا ، مشروبها المفضل ، وتناولت أول كأس ، ثم بدأت تحكى له عمّا أخفته فى قلبها لسنوات طويلة ، عاشتها فى قلق وخوف مع زوجها السابق ، جونى ووكر ، العميل الروسى ، بطل أكبر وأخطر قصة جاسوسية شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية ..

○●○●○●

هذه قصّتى مع زوجى الجاسوس !!

◀ باربرا .. والفودكا .. والذكريات الأليمة !..

قالت باربرا : « تزوجت ووكر فى سنة ١٩٦٣م بعد قصة حب عنيفة ، كنت فى ذلك الوقت فى التاسعة عشرة من عمرى ، وكان ووكر لا يزال ضابطاً صغيراً فى البحرية الأمريكية بمدينة بوسطن .

عشنا معاً أجمل سنوات العمر ، كان ووكر كل شىء فى حياتى ، كان زوجاً مخلصاً .. حنوناً إلى أقصى حد . ومضت بنا الحياة ، واتسعت أسرتنا الصغيرة بقدوم أبنائنا الأربعة مارجريت ولورا وسينثيا وميشيل .. كنا أسرة سعيدة ، بالرغم من دخلنا المادى المتواضع ، نحيا حياة هادئة بسيطة فى منزلنا الصغير على شاطىء المحيط فى كاليفورنيا » .

عند ذلك الحد ، لم تتمالك باربرا نفسها ، فراحت دمعة وراء دمعة تتدلى على خدّيها ، بعدما ارتسمت أمام عينيها ذكرى تلك الأيام الغالية . ومضت فترة قصيرة من الصمت لم تستطع باربرا خلالها استكمال الحديث ، فحاول برايس تهدئتها حتى استطاعت أن تتمالك نفسها من جديد ، وامتدت يدها لتملأ كأساً آخر من الفودكا ، راحت تشربه بسرعة فى مرارة وألم ، ثم عادت لاستكمال الحديث قائلة :

« لم يقنع أبداً ووكر بحياتنا البسيطة الهادئة ، فكان دائم التفكير فى جمع المال والثروة بشتى الطرق . كان عقله يعمل ليلاً ونهاراً فى التخطيط لأكثر من مشروع ، حتى استطاع أن ينجز أحد هذه المشاريع ، فجمع كل مالدينا من أموال ، واستعان أيضاً بقرض من البنك ، حتى استطاع أن يستأجر قطعة أرض صغيرة أقام عليها ملهى ليلى باسم « بامبو سناك بار » . لكن ذلك المشروع لم ينجح ، كما تصوّر ووكر ، ولم يف بقيمة الديون وقيمة الضريبة المقررة ، على الرغم من أننا جميعاً كنا نعمل فى الملهى بمنتهى المهارة والحرص على اجتذاب أكبر عدد من الرواد . حتى أن ووكر ، للأسف ، كان يدفعنى فى كثير من الأحيان إلى ملاطفة الزبائن بشتى الطرق !! حتى أستطيع أن أحصل منهم على أكبر قدر من المال !!..

انتهى الأمر بفشل المشروع ، فأغلق الملهى ، بعد أن خسر ووكر جزءاً كبيراً من أمواله . حاولت أثناء تلك الفترة تهدئة ووكر ، ومحاولة إقناعه بما لدينا من حياة كريمة لا ينقصها شيء ، لكن للأسف ، كان فشل ذلك المشروع صدمة كبيرة لووكر لم تدفعه أبداً إلى الاستسلام ، بل على العكس زادته إصراراً وعناداً فى السعى للمال بشتى الطرق » .

◄ *خيانة فى منزل الزوجية !*

« لم تمض على تلك الواقعة سوى عدة شهور حتى أحسست بووكر يتغير تدريجياً : فصار دائم التوتر .. قلقاً .. مشغول الذهن باستمرار ، كأنه يخفى شيئاً ما بداخله . وتغيرت معاملته لنا جميعاً

فلم يعد يحتمل أى كلمة ينطق بها أحد من أبنائه ، أما بالنسبة لى فصار ووكر شخصاً آخر غير ذلك الرجل الذى أحببته وتزوجته ، فكان دائم الشجار ، قاسياً فى معاملته لى إلى أقصى حد .

وزادت دهشتى من سلوك ووكر ، حين قام بشراء منزل آخر غاية فى الفخامة فى نورفُلك بفرجينيا ، وانتقلنا جميعاً للإقامة فى ذلك المنزل الأنيق ، دون أن يدرى أحد منا من أين جاء ووكر بالمال الكافى لشراء ذلك المنزل !

ومنذ ذلك اليوم ، الذى انتقلنا فيه للإقامة فى المنزل الأنيق ، تغيرت تماماً علاقة ووكر بى ، فعشت معه ما يقرب من عشر سنوات ، قبل أن يتم الطلاق ، كزوجين غريبين تماماً عن بعضهما . بل لم يكتف ووكر بذلك ، فتعرّف أثناء تلك الفترة على فتاة صغيرة وجميلة كانت ترافقه باستمرار ، والأغرب من ذلك أنه كان يأتى بها إلى المنزل ، وينفرد بها تماماً عنا جميعاً !.

◀ ***أنت جاسوس .. خائن .. جبان ..***

« لكن لم تدم دهشتى طويلاً مما انتاب ووكر ، وأخلَّ بعلاقاتنا الأُسرية الحميمة .

ففى أبريل سنة ١٩٦٨ ، بدأ ينكشف لى أول خيط مما خبّأه عنى ووكر لأشهرٍ عديدة .

كان ووكر خلال تلك الفترة ، ومنذ فترة طويلة سابقة ، يعمل فى موقع حساس للغاية فى البحرية الأمريكية ، فكان يعمل ضابطاً

فنياً بالغواصات النووية . وبالتحديد الغواصة « تورسث » ، وعلى قدر ما استطعت أن أعرف من ووكر فيما مضى ، تُعد هذه الغواصات هى أقوى سلاح أمريكى يمكن توجيهه لأى خطر سوفيتى قد يهدد البلاد .

ففى أحد أيام ذلك الشهر ، راودتنى فكرة ، وهى أن أبحث فى غرفة المكتب الخاصة بووكر عن أى شيء قد يدلّنى عن مصدر الأموال الطائلة التى صارت تتدفق عليه مرة واحدة . فبينما كنت أبحث فى مكتبه ، وجدت أحد الأدراج مغلقاً بإحكام ، لكننى استطعت فتحه ، فوجدت بعض الصّور والرسومات اليدوية التى تشير إلى أشكال هندسية ميكانيكية تختص ببعض أنواع المحرّكات . ووجدت أيضاً رسالة بين الأوراق كانت تحمل شيئاً من هذا المعنى « نشكرك على المعلومات السابقة ، ونودّ أن توافينا بالمزيد عن rotor » ، ودهشت من تلك الكلمة الأخيرة ، فلم أفهم المقصود بها تماماً ، لكنى استطعت أن أعرف بعد ذلك معناها ، فهى تشير إلى الجزء المحرِّك للغواصة . كذلك ، استوقف انتباهى أثناء فحص بعض الأوراق ، وجود خريطة كبيرة لبعض الأشكال الهندسية ، كُتب عليها من أعلى « من فضلك تخلّص من الورقة بعد الاطلاع عليها » .

وزادت دهشتى حين وجدت بين محتويات الدرج جهازاً صغيراً يشبه جهاز اللاسلكى ، استطعت أن أعرف بعد ذلك ، أنه جهاز من نوع خاص لإرسال واستقبال الرسائل بطريقة خفية تعتمد على الشفرة ، بحيث لا تستطيع أى جهة التقاطها . إلى

جانب الأشياء السابقة ، وجدت أيضاً ظرفاً بداخله ٢٠٠٠ دولاراً ، وبعض الصور والرسومات الهندسية الأخرى .

لم أحاول أن استمر فى البحث أكثر من ذلك ، خوفاً من أن يعود ووكر على غفلة ، فاكتفيت بما وصلت إليه من معلومات ، وحاولت لعدة أيام متتالية أن أجد تفسيراً لمعنى هذه الأشياء التى عثرت عليها ، ولم أصل فى النهاية إلّا لشىء واحد يقنعنى ، وهو أن ووكر يعمل بالجاسوسية .

لم أشأ أن أصارحه فى تلك الفترة بما اتضح لى ، حتى يتأكد الأمر لى تماماً ، لكنه أثناء إحدى مشاجراتنا العنيفة ، صرخت فيه قائلة « أنت لا تساوى شيئاً .. أنت جاسوس خائن .. جبان ، لقد عثرت على كل شيء ؛ الصور والأوراق والنقود والجهاز » . فثار ووكر كالوحش ، وصفعنى على وجهى بقوة ، وألقى بى على الأرض ، ثم هددنى قائلاً : « نعم أنا جاسوس ، وإياك أن تنطقى لأحد بكلمة واحدة . فكّرى جيداً فى مصيرك لو دخلت السجن ، ستبقى أنت المسئولة الوحيدة عن أولادك الأربعة » .

◀ ماذا أفعل ؟

« مرت بى الأيام بعد تلك الليلة فى حيرة وقلق وعذاب ، لم أذق فيها طعم النوم إلّا بعد أن أشرب وأشرب ، فصارت « الفودكا » هى وسيلتى الوحيدة للنسيان وللنوم .

لم أدر ماذا أفعل ؟ ، فلو أبلغت عن زوجى ، سيضيع مستقبل أسرتنا الصغيرة ، ولو التزمت الصمت ، فكيف لى أن أتحمل

وحدى هذه التجربة الأليمة ؟؛ كيف لى أن اسكت وأنا أرى زوجى يخون وطننا الغالى ، الذى أكن له كل الحب والولاء ؟، فأنا مدينة لأمريكا بالكثير والكثير ، وكثيراً ما ارتسمت أمام عينى فى تلك الفترة صورة كانت تشعرنى بالحزن البالغ وتأنيب الضمير ، هذه الصورة هى صورتى أنا وزميلاتى من زوجات الضباط البحريين حين كنا نقوم بزيارة بلدان العالم المختلفة من خلال رحلات متتالية كانت تنظمها لنا البحرية الأمريكية ، وياله من تقدير كبير كنا نلقاه من المضيفين لنا فى تلك البلاد ، مما جعلنا نفخر بوطننا وبجنسيتنا الأمريكية ، فكيف لى أن ادنّس هذا الوطن الذى رفع رأسى وحافظ على كرامتى وكيانى ؟.

●○●○●○

مرّت بنا السنون سنة وراء سنة والحال هو الحال ، وكَبُر أبناؤنا الأربعة ، واحترت .. هل أصارحهم بحقيقة عمل والدهم ، أم احتفظ بهذا السر وحدى حتى أحافظ على حبهم ، واعتزازهم به ؟

◀ *سر الحقيبة السوداء ..*

على أى حال ، كانت الأيام كفيلة بأن تكشف لهم تدريجياً عما أخفيناه عنهم لسنين طويلة ، فلم يعد هناك مفر إلّا مصارحتهم ، بعد أن لاحظوا بعض الأفعال المريبة التى كان يقوم بها والدهم من وقت لآخر ، والتى تتفق مع طبيعة عمله المريب .. كجاسوس .

ففى كثير من الأحيان ، كان يخرج ووكر من المنزل فى ساعة متأخرة من الليل ، وهو يحمل حقيبة سوداء فى يده ، ثم يعود مرة

أخرى للمنزل بعد حوالى ساعة بدون الحقيبة . وفى اليوم التالى ، يحدث العكس ، فكان يخرج بدون حقيبة ، ثم يعود للمنزل حاملاً حقيبته ! فى الحقيقة أن ذلك الأمر قد حيّرنى أنا شخصياً ، فلم يصارحنى به ووكر ، لكننى أدركت جيداً حقيقة ما كان يفعل ، حين أمضينا معاً بضعة أسابيع فى واشنطن دى . سى ، فاصطحبنى معه مرتين بالسيارة فى وقت متأخر من الليل إلى مكان مهجور بإحدى ضواحى المدينة ، وفى كل مرة ، كان ووكر يتوقف بالسيارة فى مكان محدد ، حتى تظهر له إشارة ضوئية كانت تنبعث من بعيد وسط الظلام الحالك ، وفور ذلك مباشرة ، كان يخرج ووكر من السيارة حاملاً حقيبة صغيرة ، ثم يضعها على الأرض بالقرب من مكان السيارة .

كانت هذه «العملية» هى إحدى الطرق التى اتّفق عليها ووكر مع شركائه لتسليم المعلومات المطلوبة واستلام المبلغ المتفق عليه . فكان يخرج ووكر فى المرة الأولى بحقيبة ممتلئة بالمعلومات المطلوبة ، ثم يذهب مرة ثانية فى اليوم التالى لنفس المكان ليأخذ حقيبته مرة أخرى ولكن بعد أن تكون قد امتلأت بالنقود .

كذلك ، مما استرعى انتباه الأبناء كثرة تغيّب والدهم عن المنزل لفترات طويلة على غير عهدهم به . فكان كثير السفر ، يسافر غالباً بشكل فجائى ، ويغيب بالأسابيع عن المنزل .

وكان ووكر يعلل ذلك دائماً بإنجازه لبعض المهام العاجلة التى تتعلق بعمله كضابط بحرى » .

◀ عائلة جديدة من المافيا !

« فى النهاية ، لم يكن أمام ووكر إلّا مصارحة أفراد الأسرة بحقيقة عمله المريب . لكنه حاول أن يعزز من موقفه بشتى الطرق ، ولكن دون جدوى ، فقال إنه يقوم بالفعل بإرسال معلومات إلى السوفييت عن الغواصات النووية ، لكنها معلومات غير مفيدة على الإطلاق ، كما أن كثيراً منها معروف للجميع ولا يحتاج إلى إخفاء . لكن لم يقتنع أحد بما ذكره ووكر ، واعتبروه فى النهاية يعمل بالجاسوسية . وتأكد الجميع من ذلك عندما أعلن ووكر بعد ذلك عن رغبته فى أن تكون عائلته كواحدة من عائلات المافيا ، يتعاون أفرادها جميعاً مع بعضهم ، ولا ينطق أحد منهم للآخرين بأى كلمة مما يدور بينهم .

وبالفعل ، أصبحت عائلتنا شبيهة بعائلات المافيا ، كما أراد ووكر . فعلى الرغم من أن خبر اشتغال ووكر بالجاسوسية كان صدمة كبيرة لجميع أفراد العائلة ، لكنه بعد أن هدأت الأمور ، شعر بعض أفراد العائلة بالانجذاب لفكرة العمل بالجاسوسية لما تجلبه من أموال كثيرة ، فانضموا إلى صف ووكر . بينما ظل البعض على موقفه ، متمسكاً بحب الوطن ، كارهاً تماماً شخصية ووكر ، وما يقوم به .

وهكذا انقسمت عائلتنا منذ ذلك الوقت إلى عائلتين صغيرتين ، قررت كل منهما أن تسلك طريقها فى الحياة بعيداً عن الأخرى . فانضم لعائلتى بناتى الثلاث ، لورا وسيثيا ومارجريت ، ورحلنا جميعاً من فرجينيا إلى منزل أسرتى فى سكوهيجان وبدأ كل

منا يبحث عن عمل حتى نستطيع تكوين حياة جديدة . أما ابنى ميشيل ففضل الإقامة مع ووكر ، حيث كان متعلقاً به إلى أقصى درجة ، وكان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت الرابعة عشر . وحاولت أكثر من مرة أن يأتى ميشيل للإقامة معنا بعيداً عن والده ، خوفاً من أن يؤثر عمل ووكر على مستقبله ، لكنه كان يرفض دائماً ، وفضّل الإقامة مع والده . وفى اعتقادى أن أرثر ، الأخ الأكبر لووكر ، قد انضم منذ تلك الفترة للعمل مع ووكر ، لكنى لست متأكدة تماماً من ذلك .

وبدأت علاقتى الزوجية تنقطع تدريجياً بووكر ، حتى طُلِّقت منه فى سنة ١٩٧٣ » .

◀ ***هذه هى الأسباب*** ..

« منذ ذلك الوقت حتى الآن ، وبالرغم من بُعدى عن عالم الجاسوسية الملىء بالخوف والتوتر ، والذى عشت فيه سنوات طويلة أتوقّع نهايتنا بين فترة وأخرى ، حين يدق بابنا رجال المخابرات ، إلّا أن خوفى على ابنى ميشيل ، قد زادنى حيرة وتوتراً خاصة وأن ميشيل البالغ من العمر الآن الثانية والعشرين ، قد التحق هو الآخر بالبحرية الأمريكية ، ويعمل الآن على حاملة الطائرات الشهيرة « نيميتز » . فإنى أخاف كل الخوف أن يضمه والده للعمل معه بالجاسوسية ، فيقضى على مستقبله هو وزوجته راشيل ، التى تزوجها منذ فترة قصيرة » .

عند ذلك الحد ، توقفت باربرا عن الحديث ، وتناولت كأساً آخر من الفودكا ، وهو الكأس السابع لها خلال الحديث ، ثم التفتت إلى برايس ، وعيناها ممتلئتان بالدموع ، قائلة له : « إن

خوفى البالغ على ابنى ميشيل ، يامستر برايس ، هو من أهم الأسباب التى دفعتنى للإبلاغ عن زوجى السابق ووكر . فميشيل ليس كغيره من الشباب ؛ فهو طيب القلب جداً ، وقور للغاية ، وكان دائماً موضع إعجاب أساتذته بالمدرسة ، الذين توقعوا له مستقبلاً باهراً .. » .

لكن فيما يبدو أن باربرا كان لديها أسباب عائلية أخرى ، حيث استطردت بعد ذلك قائلة ، وهى تمسح دموعها : « أما السبب الآخر الذى دفعنى للإبلاغ عن ووكر فهو رغبتى فى الانتقام منه .. من أنانيته .. من قسوته .. من سفالته ... من كل يوم عشته مع ذلك الخائن الذى ضيّع شمل أسرتنا ، وجعلنا فى النهاية أسرة مشبوهة .. مفككة الأطراف ، حتى أن حفيدى الصغير ، كرسيتوفر ، ابن ابنتى لورا ، قد حرمها زوجها السابق ، مارك سيندر ، من رؤيته ، إذا لم تسارع بالإبلاغ عن والدها ووكر ، حتى تحمى العائلة من أى شبهة قد تحوم حول أحد من أفرادها بسبب أعمال والدها المخلّة بالشرف .

لكن لا يزال هناك سبب آخر لا يقل أهمية عما ذكرت من أسباب ، وهو حبّى لهذه الأرض التى ولدت عليها ، وكبرت عليها .. حبى لأمريكا » .

وانتهت باربرا من حديثها .

●○●○●○

◀ هل هذا معقول ؟!

بعد هذه الحكاية التى لم يتوقع برايس سماعها على الإطلاق ، امتلأ وجهه بالدهشة ، وجال بخاطره لعدة دقائق كل ما روته باربرا محاولاً أن يتبين مدى صحته . فليس من السهل أن يصدق اشتغال ووكر بالجاسوسية خلال هذه السنوات الطويلة التى وصلت إلى ١٦ سنة تقريباً ، دون أن ينكشف أمره ، وخاصة أنه يعمل بموقع حساس للغاية ، فمن المعروف أن العاملين بمثل هذه المواقع يتم اختيارهم بدقة ، ووضعهم تحت المراقبة من فترة لأخرى أثناء عملهم !!

◀ جهاز الكشف عن الكذب :

وانصرف برايس من منزل باربرا ، وهو لا يزال مندهشاً مما سمعه ، لكن على أى حال ، كان عليه ، سواء صدّق أو لم يصدق ما قالته باربرا ، أن يبدأ فى مراقبة ووكر لإثبات خيانته للوطن . لكنه رأى كذلك أن هناك خطوة أخرى يجب أن تتم وهى اختبار صحة ما ذكرته باربرا وابنتها لورا بجهاز كشف الكذب .

تمّ ذلك الاختبار فى أسرع وقت ممكن ، وبالفعل نجحت باربرا ولورا فى اجتياز الاختبار ، فكان كل ما روته باربرا صادقاً مائة فى المائة ، بناء على ذلك الاختبار .

والآن لم يبق سوى مراقبة ووكر وإثبات التهمة عليه .

وكانت كلمة « ويندفلير » هو الاسم الكودى لتلك العملية التى قادها الضابط جاك وجنر ، من جهاز المخابرات الأمريكية ، للقبض على ذلك الجاسوس الخائن .. جونى ووكر .

عمليـة «ويندفلـير »

◀ ***العملية رقم (١) لجهاز المخابرات الأمريكية :***

أصدر الرئيس العام لمكتب التحقيقات الفيدرالى (FBI) ، ويليام ويبستر ، تعليماته بإعطاء الأولوية لعملية ويندفلير ، وأن يبذل الرجال كل ما فى وسعهم لنجاح هذه العملية .

وقد شارك فى عملية ويندفلير مجموعة من الرجال بلغ عددهم حوالى المائة ــ يتبعون لثلاث جهات مختلفـة هى مكتب التحقيقات الفيدرالى فى بوسطن ، ووكالة المخابرات الأمريكية (CIA) فى فرجينيا ، وجهاز المخابرات التابع للبحرية الأمريكية . وقد قاد تلك المجموعة أكثر من قائد ، كان على رأسهم جميعاً الضابط جاك وجنر من جهاز المخابرات الأمريكية .

◀ ***بدء التحريات :***

بدأت المجموعة عملها بالتحرى عن جونى ووكر ، البالغ من العمر الثامنة والأربعين عاماً ، على أوسع نطاق ؛ فتحروا عنه فى بلدته القديمة ، تشارلستن ، وفى مدرسته الثانوية ، سانت باتريك ، وفى بلدته الحالية ، نورفك بفرجينيا ، إلى جانب تحرياتهم المكثفة عنه طوال فترة عمله بالبحرية الأمريكية .

وجاءت نتيجة التحريات تشير إلى شخصية لها هذه الصفات :

● إنسان وطنى جداً !! (كانت هذه الصفة هى القناع الذى تخفّى ووكر وراءه طوال فترة عمله بالجاسوسية) .

● لا يعتقد كثيراً فى الأديان السماوية ، ويكره أشد الكره ديانة الكاثوليكية ـ المسيحية .

● يهوى الموسيقى ، ويجيد العزف على البيانو .

● قوىٌّ الشخصية ، وله قدرة كبيرة على إقناع الغير بما يؤمن به ، حتى لو كان على خطأ .

● يميل إلى المغامرة والمجازفة ، وربما كان ذلك سبب عشقه للعمل بالغواصات النووية .

● محب جداً لعمله ، ومحبوب من رؤسائه .. هذه الميزة هى التى جعلته يترقى بسرعة فى عمله ، ويصل إلى أهم وأدق المناصب .

● دائم القراءة والاطلاع ، وعلى قدر كبير من الإلمام بالسياسة .

● فضولى جداً فى مجال عمله ، فدائماً « يحشر » نفسه فى كل شىء حتى يعرفه معرفة كاملة ، كما كان دائم الاطلاع على الكتب العلمية ، سواء التى تتعلق بتخصصه فى الغواصات أو التى تتعلق بتخصصات أخرى فى العلوم البحرية .

● يميل إلى السخرية والمرح وكثرة الابتسام (فيما يبدو أن كثرة تبسّمه هى عادة لديه) .

● كان على علاقة وطيدة بزملائه القدامى فى مدرسته العليا ،

ويميل أيضاً إلى توطيد علاقته مع بعض سكان مدينته ـ ذوى الثراء والنفوذ .

● شديد الطموح للمال والثراء ..

● محب جداً للحفلات والسهرات ، وكان يظهر ذلك بوضوح فى أعياد الميلاد والحلاوين (أحد الأعياد الأمريكية) .

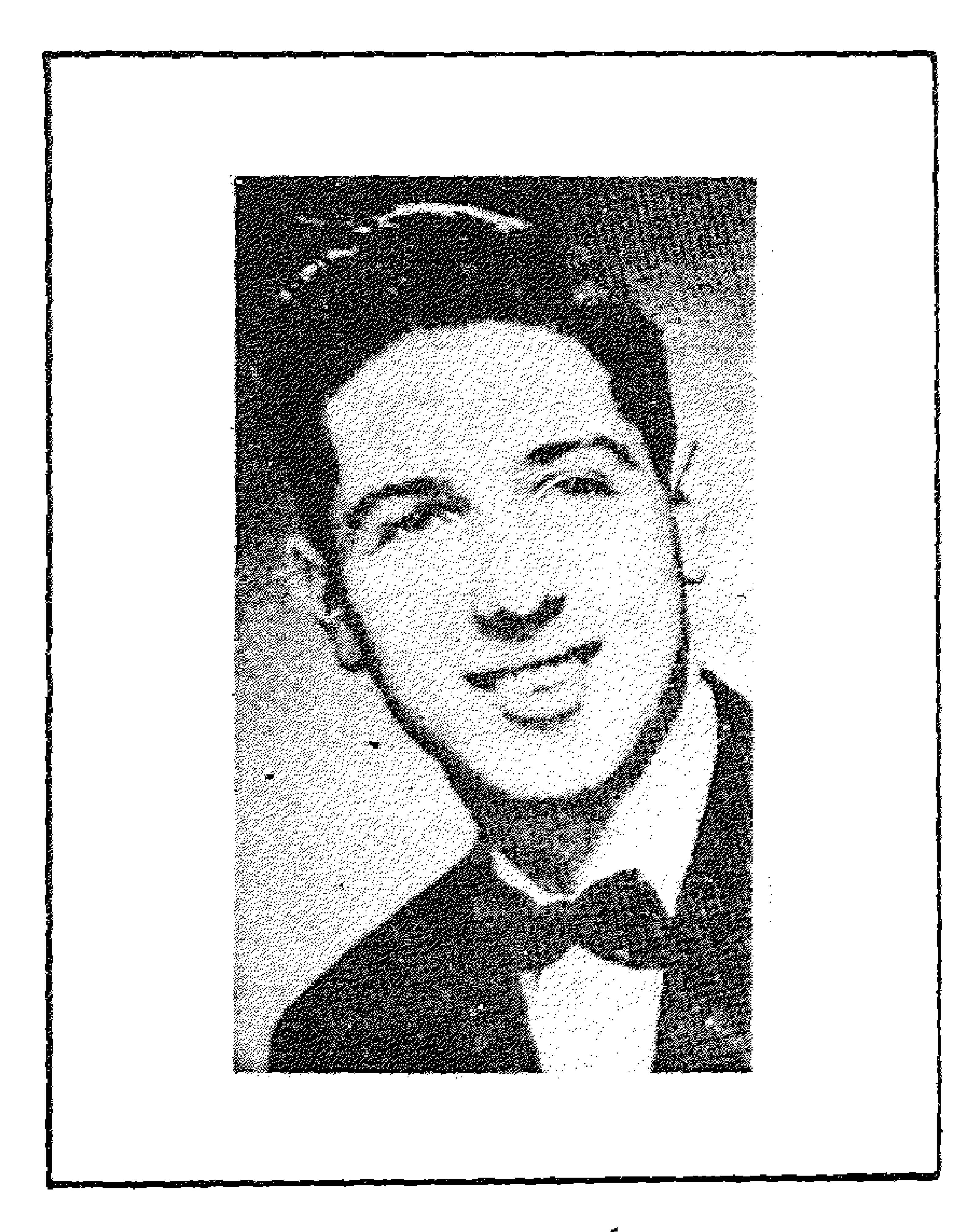
● كان شكله بصفة عامة يتميز بشىء من الغموض بسبب لحيته القصيرة ، ونظرة عينيه الغريبة التى تطل من وراء نظارته ، وملامح وجهه التى تميل إلى الجنسية التركية أكثر من الجنسية الأمريكية .

● كان كثير السفر إلى فيينا والمكسيك .

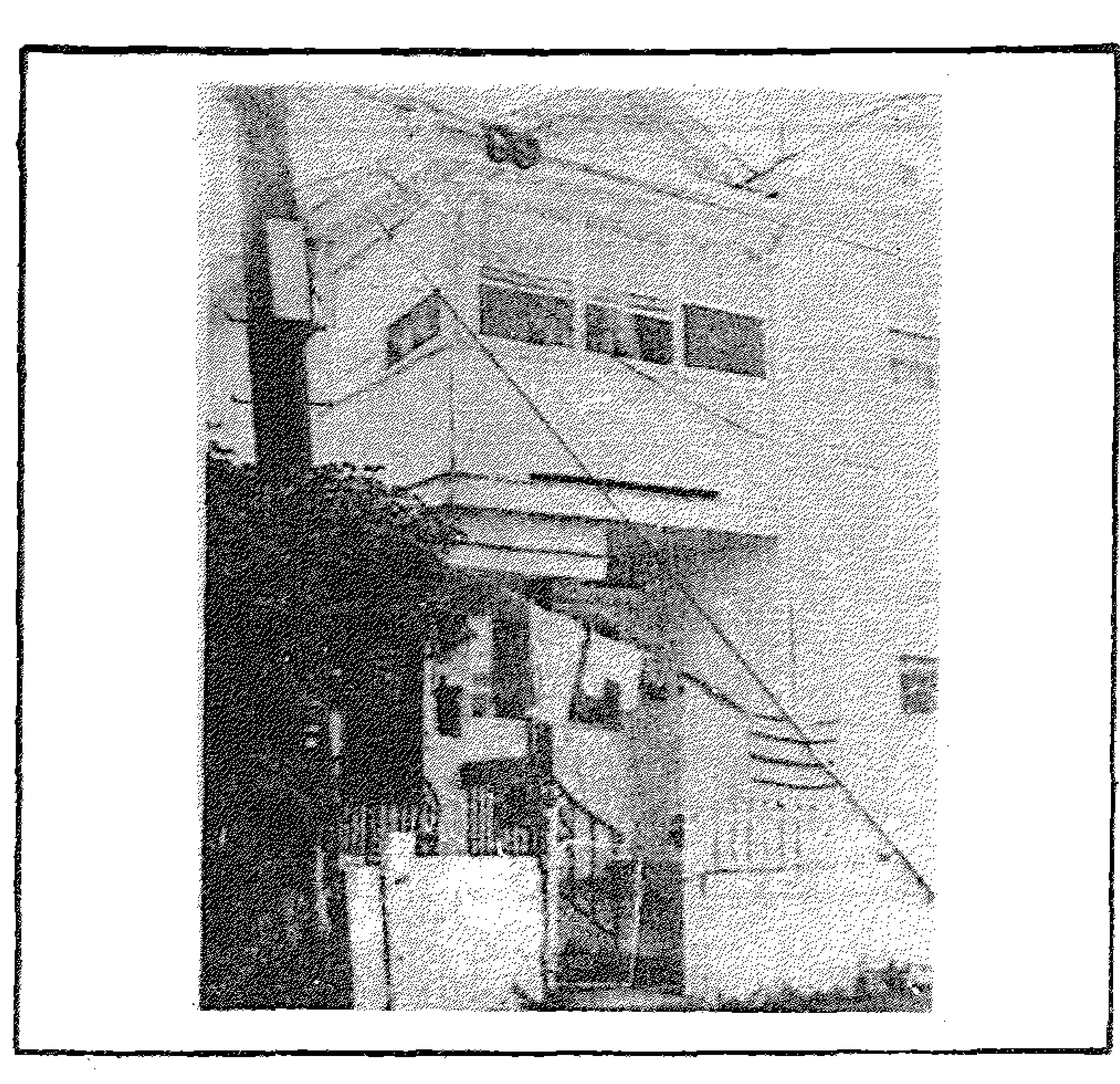
(كان لهذه المعلومة على الأخص مدلولاً كبيراً عند رجال المخابرات ، فهم يدركون من خلال خبرتهم أن كثيراً من اللقاءات المشبوهة تتم غالباً فى مثل هذه البلاد ، مما جعلهم يعتقدون أن ووكر كان يقابل شركاءه الروس فى هذه البلاد) .



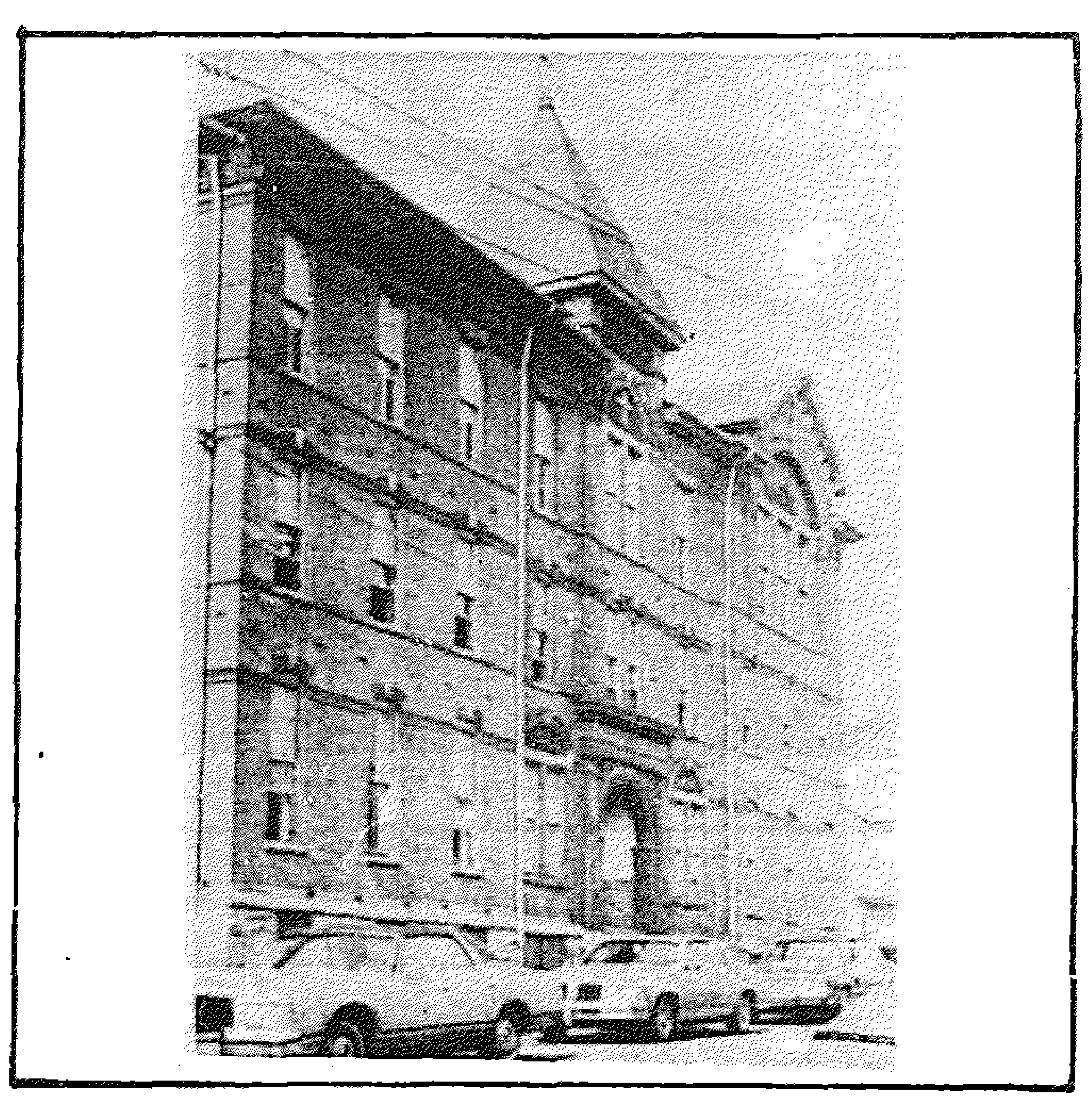
صورة حديثة للجاسوس جونى ووكر



صورة لجونى ووكر أثناء دراسته بالمدرسة الثانوية



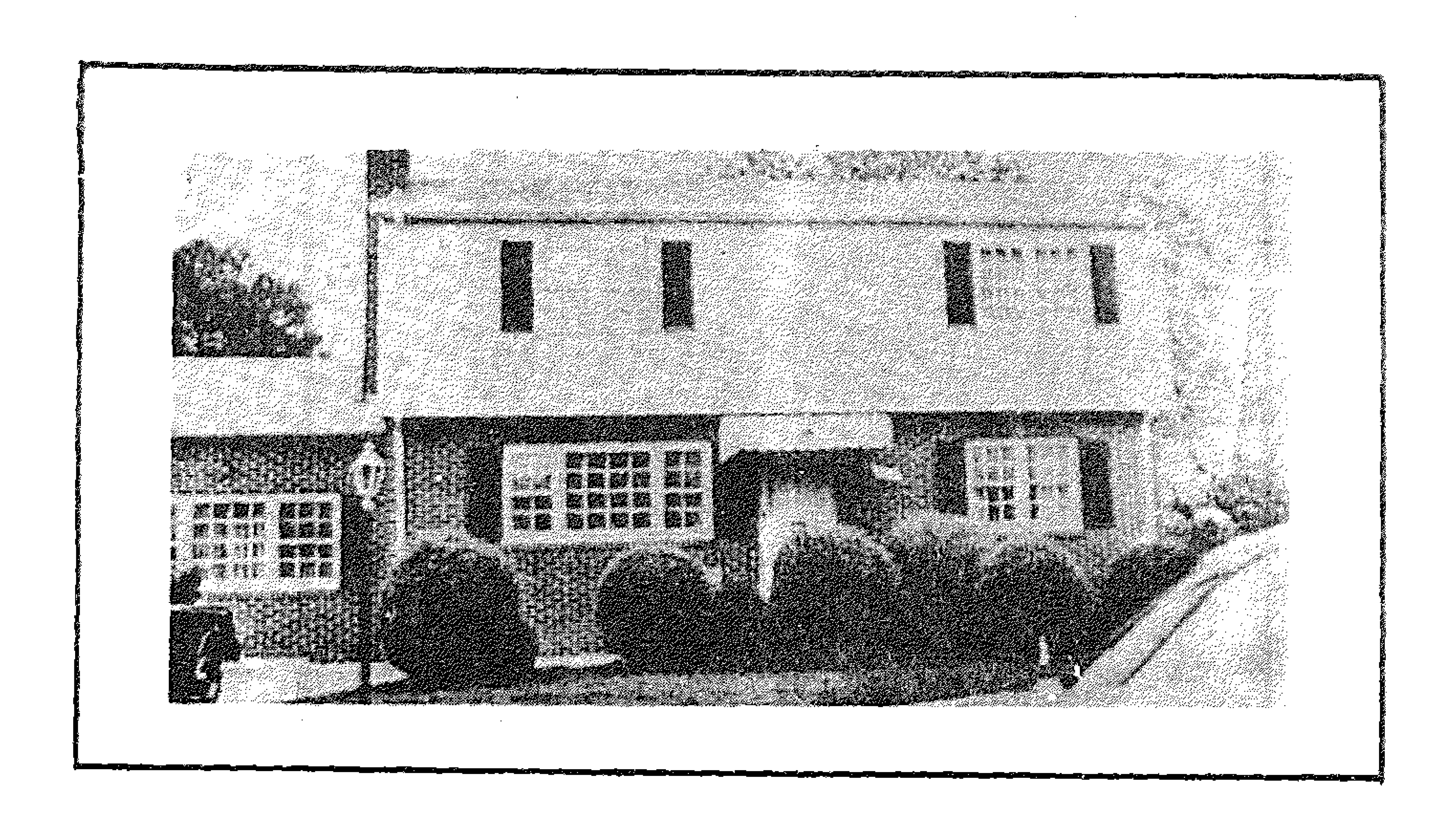
المنزل الذى عاش فيه جونى ووكر طفولته مع أخيه أرثر ، فى سكرانتن ـ بنسلفانيا ـ موطن رأسه ، والذى اكتسب بعض الشهرة السياحية .



المدرسة الثانوية الكاثوليكية ، سانت باتريك ، التى التحق بها جونى ووكر وأخوه أرثر



بامبو سناك بار .. الملهى الليلى الذى امتلكه جونى ووكر فى تشارلستن ، والذى تحوّل الآن إلى مكتب بريد .



صورة للمنزل الأنيق الذى امتلكه جونى ووكر فى نورفلك ـ فرجينيا .

◀ ***وكالة خاصة لأعمال الجاسوسية !!***

أمّا الشيء المؤسف حقاً ، الذى استطاع رجال المخابرات الكشف عنه ، فهو أن ووكر قد توسّع فى مجال عمله إلى حد كبير . فدلت التحريات أنه امتلك مكتباً خاصاً به فى نورفك فى أحد الأبنية المطلّة على شاطىء فرجينيا ، وأن ذلك المكتب ، فى أغلب الظن ، هو بمثابة وكالة لأعمال الجاسوسية !. كما أن ووكر قد ضم للعمل معه فى هذه الوكالة مجموعة من الأفراد ، هم فى الغالب بعض أفراد عائلته ، لكن لم تتضح صفتهم الحقيقية لرجال المخابرات فى ذلك الوقت . ومن المؤسف أيضاً أن ووكر كان يمارس أعماله المريبة فى ذلك المكان منذ أكثر من عشر سنوات حتى تلك السنة التى بدأت فيها عملية ويندفلير ، سنة ١٩٨٥ ، وفى خفاء تام عن رجال المخابرات !!

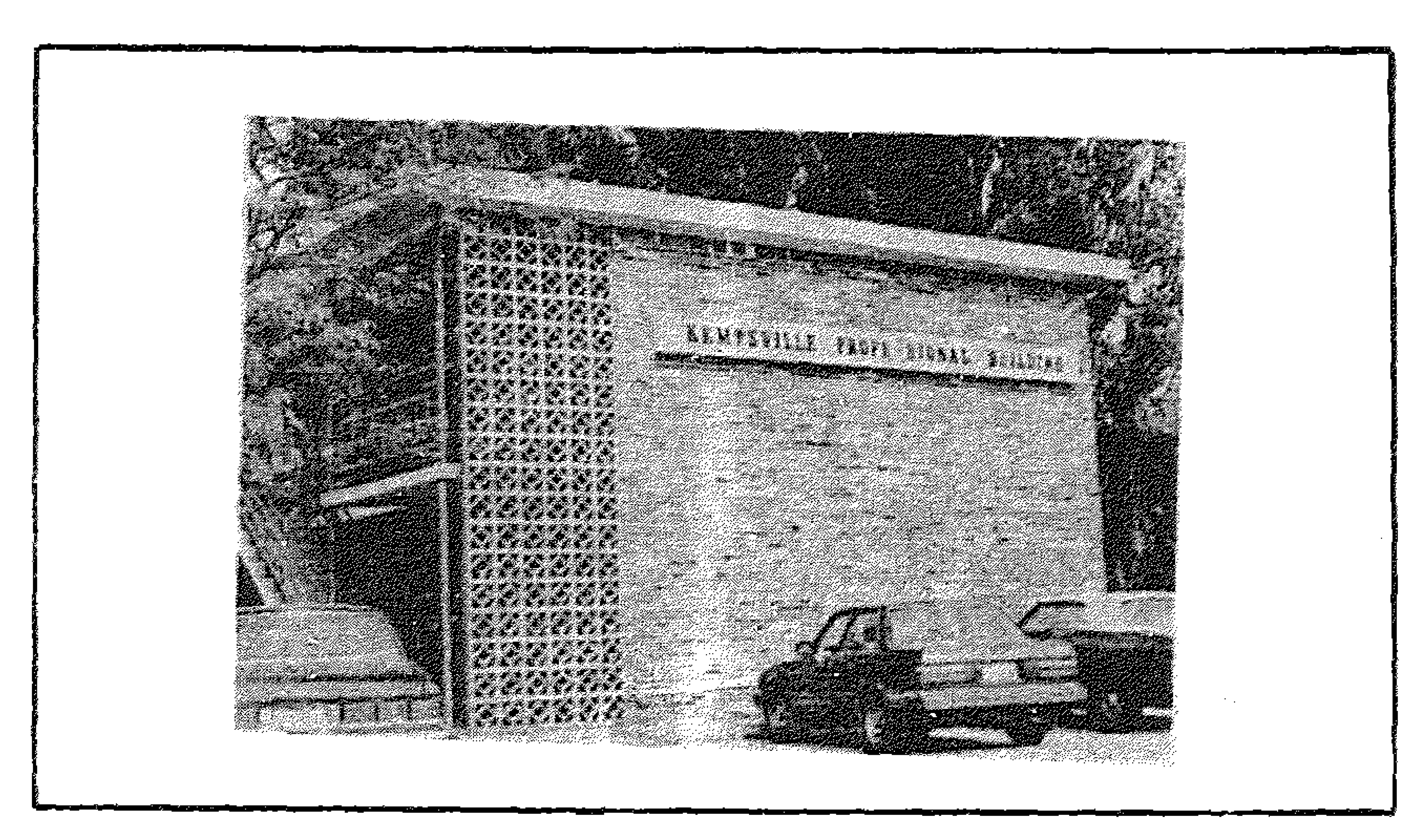
◀ ***مراقبة ووكر :***

بعد الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن حياة ووكر ، بدأ رجال المخابرات يستعدون لتنفيذ الخطوة التالية ، وهى تشديد الرقابة على ووكر حتى يتأكدوا تماماً من اشتغاله بالجاسوسية ، ثم إلقاء القبض عليه متلبسا بجريمته هو وأعضاء شبكته .

كانت خطة المراقبة تستهدف أساساً مراقبة المكان الذى استأجره ووكر على شاطىء فرجينيا للقيام بأعماله المرِيبة .

فقام رجال المخابرات باستئجار شقة فى نفس المبنى ، وقاموا بتجهيزها للقيام بنشاط زائف ، فكانت الشقة تحمل لافتة ، كُتب

عليها « شركة المقاولات العامة » . كما قاموا أيضاً باستئجار شقة أخرى فى المبنى المجاور لذلك المبنى ، حتى يتمكنوا من مراقبة ما يدور فى مكتب ووكر من على بعد .



صورة للمبنى الذى أقام فيه جونى ووكر وكالة خاصة لأعمال الجاسوسية .

قام أيضاً رجال المخابرات بمراقبة تليفون ووكر فى العمل وفى المنزل ، وقاموا بتسجيل كل مكالماته التليفونية .

◀ ***الغموض .. الإثارة .. الدهشة !***

بالرغم من الفترة الطويلة التى قضاها رجال المخابرات فى مراقبة مكان عمل ووكر وتسجيل معظم مكالماته التليفونية ، فلم يحصلوا على أى معلومات مفيدة تؤكد لهم اشتغاله بالجاسوسية ، وتمكنهم من إدانته وإلقاء القبض عليه . فكان ووكر حريصاً جداً على سرية ما يقوم به ؛ فكانت مكالماته التليفونية بعيدة تماماً عن أى شىء قد

يتعلق بعمله بل فى بعض الأحيان ، كانت معظم أسماء الأشخاص التى ترد عبر الحديث هى أسماء مبهمة تماماً ، فكان يرمز لكل اسم بحرف واحد من الحروف ، مثل « "D" قال إنه لن يحضر اليوم ... » ، وهكذا . علاوة أيضاً على بعض السمات الخاصة بووكر ورجاله ، والتى كانوا يستخدمونها كثيراً أثناء الحديث ، مثل بعض العبارات التى قد نسمعها فى بعض الأفلام البوليسية كعبارة « العملية فى النملية ، والفيل فى المنديل » ، فكانت حياة ووكر كجاسوس ، هى فعلاً فيلم سينمائى ملىء بالغموض والإثارة والدهشة . كذلك ، كان لووكر تصرفات غريبة لاحظها رجال المخابرات ، فكان أحياناً يظهر فى بعض الأيام « بباروكة شعر » أثناء انتقاله من المنزل إلى العمل دون سبب واضح لهذا التغيّر . كما اتضح لرجال المخابرات أن ووكر قد امتلك قارباً خاصاً وطائرة هليوكوبتر كان يستخدمها فى بعض انتقالاته ، وبالرغم من تتبع رجال المخابرات بحرص لووكر أثناء بعض تلك الانتقالات ، فلم يستدلوا على أى خيط يمكن أن يساعدهم فى مهمتهم .

وقد بدا واضحاً لرجال المخابرات أن حياة ووكر الجاسوسية كانت تسير فى إطار محكم للغاية بحيث لا يستطيع أحد النفاذ خلاله ، وأن ووكر كان لديه إلمام كبير بالحيل الجاسوسية ، وأيضاً بأى حيلة قد يلجأ إليها رجال المخابرات للكشف عما يفعله — وفى أغلب الظن أنه قد اكتسب هذه المهارة بفضل ما تعلّمه وما اتفق عليه مع شركائه الروس أثناء لقاءاته المتعددة بهم فى فيينا والمكسيك ، وأيضاً بفضل ما تعلمه فى البحرية عن الأجهزة الإلكترونية وأجهزة استقبال وإرسال الإشارات .

◀ من هم شركاء جونى ووكر ؟

أما بالنسبة لشركاء ووكر فى العمل وعلاقاته الشخصية ، فقد دلت تحريات رجال المخابرات أن علاقة ووكر فى العمل كانت تنحصر أساساً فى أربعة أشخاص كانوا دائمى التردد على مكتبه ، وهم : ابنه ميشيل ووكر ، وأخيه أرثر ووكر ، وأحد أصدقاء ووكر هو جيرى ويتورث ، وصديقة ووكر الخاصة وهى باميلا كارول .

◀ ميشيل ووكر : (الابن الجاسوس)

بدا لرجال المخابرات أثناء مراقبة ووكر أن ظن زوجته باربرا كان فى محله ، فكان ميشيل ووكر ، البالغ من العمر الثانية والعشرين فى ذلك الوقت ، هو موضع اشتباه كبير بالنسبة لهم لعدة أسباب ، أولها أنه يعمل أيضاً فى البحرية الأمريكية وفى عمل حساس للغاية بالنسبة لسرية العمل ، فكان ميشيل يعمل فى ذلك الوقت على حاملة الطائرات « نيميتز » فى عمل كتابى ، فكان يقوم بكتابة التقارير والرسائل التى يمليها عليه رؤساؤه ، فهو لا شك قد صار ملماً بالكثير من أسرار العمل من خلال تلك المهنة .

أما السبب الثانى ، فهو أن ميشيل وزوجته راشيل كانا يتمتعان إلى حد ما بشيء من الثراء والحياة الرغدة الميسورة ، مما لا يتفق مع دخل ميشيل من عمله بالبحرية . أما السبب الثالث ، والأهم ، فهو أن ميشيل كان متعلقاً بوالده إلى درجة كبيرة ، كما جاء على لسان باربرا ، مما يدعو إلى احتمال أن جونى ووكر قد نجح فى التأثير على ابنه حتى ينضم للعمل معه ويستفيد من مركز ابنه

الحساس فى الحصول على معلومات هامة عن البحرية الأمريكية خاصة بعد أن استقال جونى ووكر من عمله منذ عدة سنوات .

فمن السهل جداً أن ينجح ووكر فى التأثير على ابنه ، بفضل ما اتصف به من شخصية قوية وقدرة كبيرة على الإقناع ، وأيضاً بفضل حبّه الطاغى للمال والثراء الذى قد يجعله يُضّحى بأى شىء حتى لو كان ذلك الشىء هو حياة ابنه أو شرف زوجته . أو أمن وطنه !!..

◀ ***أرثر ووكر : (الشقيق الجاسوس)***

هو الأخ الأكبر لجونى ووكر ، والذى كان يعمل أيضاً ضابطاً بحرياً بالغواصات النووية ، وبالتحديد الغواصة النووية « تورسك » .

وقد اتضح لرجال المخابرات من مراجعة سجل أرثر فى العمل أنه ضابط مثالى جداً فى عمله ، وهو موضع تقدير وإعجاب من رؤسائه فى العمل ، مما دعاهم إلى الاعتقاد بأنه لا علاقة لأرثر بما يفعله أخوه ووكر ، وأن ووكر قد أراد استغلال اسم أخيه فى أعماله حتى يوحى للروس بانضمام عدد كبير إلى شبكته ، فيتحصل منهم على أكبر قدر من المال نظير عملياته التى يقوم بها ، إلّا أن نتائج التحقيقات التى أجريت بعد ذلك قد أثبتت غير ذلك ..

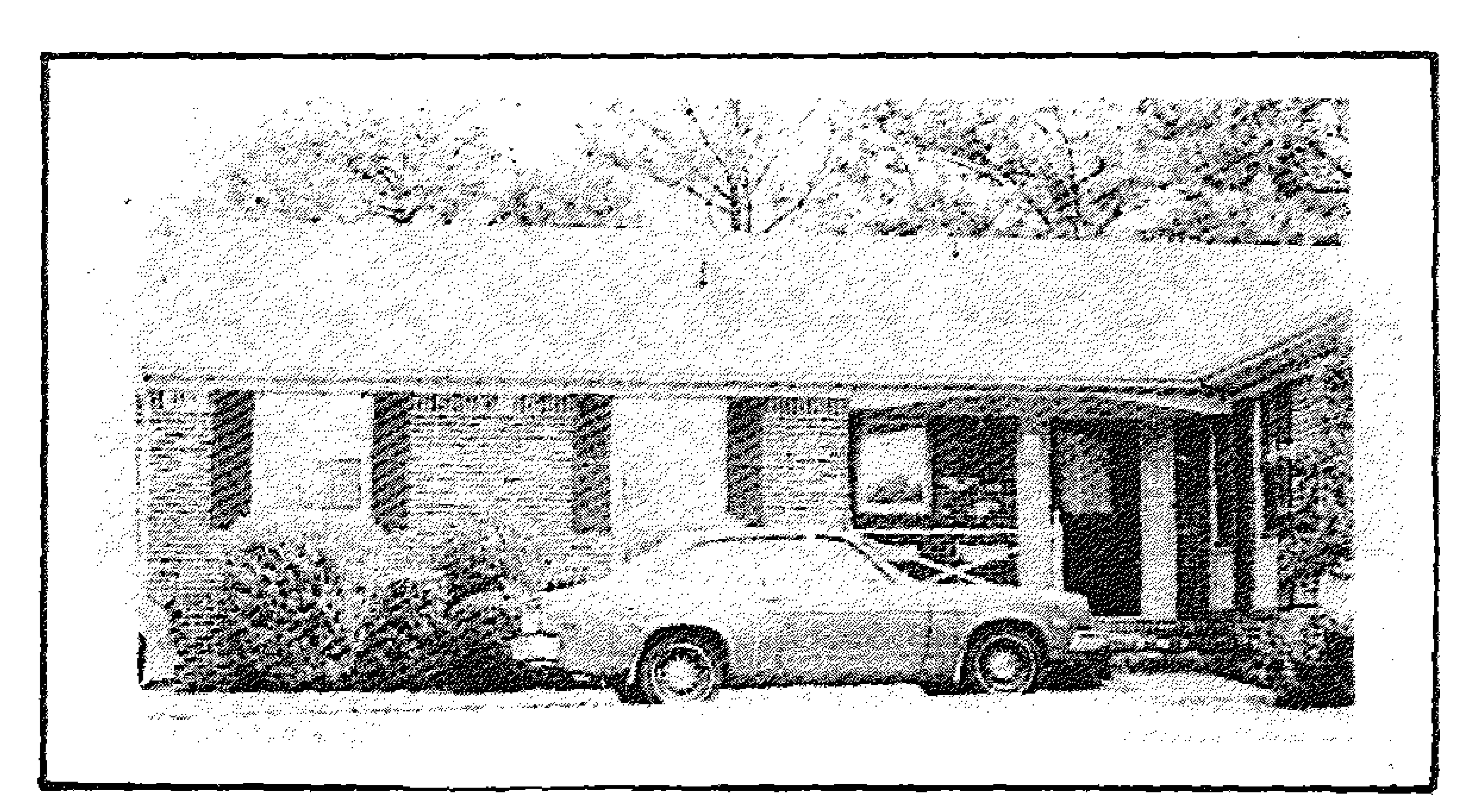
◀ ***جيرى ويتورث : (الصديق الجاسوس)***

هو صديق ووكر الحميم منذ أيام الدراسة ، وهو يصغره بثلاث

سنوات . وويتورث هو ضابط بحرى سابق كان يعمل بمجال الاتصالات البحرية ، وهو يعيش فى ديفيز بكاليفورنيا .

وويتورث كما عرف عنه رجال المخابرات هو إنسان خجول للغاية ، قليل التحدث . لكنه فى نفس الوقت كان يشارك ووكر فى جزء كبير من ميوله وأفكاره ، فكان كل شيء لديه مباح ، فهو لا يؤمن بأى مبادىء أو قيم ، وهو أيضاً ملحد لا يؤمن بالأديان ، فكان كارهاً لديانته ، مثلما كان ووكر . هذا الانسجام التام بينهما جعلهما صديقين من أوفى الأصدقاء . فبالرغم من أنه كان يعمل فى بلدة أخرى غير بلدة ووكر ، إلّا أن الاتصال بينهما كان دائماً ومستمراً .

تلك الصورة العامة التى استطاع رجال المخابرات تصورها عن شخصية ويتورث وعلاقته بووكر ، دفعتهم للاعتقاد بأن ويتورث هو بالتأكيد أحد الأعضاء الهامين فى شبكة ووكر للتجسس .



صورة لمنزل أرثر ووكر فى نورفلك ، والذى خضع لمراقبة رجال المخابرات لفترة طويلة .



يظهر فى الصورة من اليسار إلى اليمين : ميشيل ـ راشيل ـ جونى ـ مارجريت ـ باميلا كارول (عشيقة جونى ووكر) ، أثناء الاحتفال بالكريسماس ١٩٨٣ .

ويبدو جونى ووكر فى الصورة مرتدياً «باروكة الشعر»

◀ **باميلا كارول : (العشيقة الجاسوسة)**

هى الفتاة الشقراء الجميلة التى كثيراً ما شاهدها رجال المخابرات فى صحبة ووكر .

وباميلا كارول أو ب . ك هى خليط من الجمال والرقة والأنوثة ، وهى موضع إعجاب الكثيرين من شباب المدينة ، الذين أبهرهم جمالها حين كانت تخرج للاستحمام على شاطىء فرجينيا ، لكنها لم تكن تميل لأى شاب مثلها ، فكانت كثيراً ما تصرح لأصدقائها عن رغبتها فى التعرف على رجل فى الأربعينات !. وبالفعل ، جاءتها الفرصة ، وتحققت رغبتها ، حين دعاها أحد الأصدقاء لحضور حفل عيد ميلاد ووكر ، فى ٢٨ يوليو ١٩٨١ .

كانت ب . ك فى الثانية والعشرين من عمرها حين تعرفت على ووكر فى ذلك الوقت ، والذى كان عمره آنذاك الخامسة والأربعين . وعلى الرغم من أنها كانت فى سن أصغر من سن بناته ، إلا أن علاقتها بووكر قد امتدت إلى أقصى حد ، فكانت دائماً تظهر معه فى الحفلات وفى السهرات ، وأيضاً كانت ترافقه فى كثير من سفرياته إلى جزر الباهاما ، حيث كان ووكر يقضى معظم أجازاته .



ب . ك وجونى ووكر (فى زى فيدل كاسترو) أثناء إحدى
الحفلات التنكرية .

◀ *الصيد الثمين : بحار مخمور !..*

كانت باميلا تحلم دائماً بأن تكون ضابطة شرطة ، كما كانت تصرح بذلك لأصدقائها لكن لم تتحقق رغبتها القديمة فالتحقت بالبحرية الأمريكية فى وظيفة « سكرتيرة » لكنها ملت تلك الوظيفة الروتينية ، فسعت إلى وظيفة أخرى كانت تحقق لها شيئاً من رغبتها القديمة فى العمل كضابطة شرطة ، حيث التحقت باميلا بوظيفة تشبه عمل الشرطة العسكرية . فكان عملها دائماً فى الشوارع وعلى الشاطىء لاصطياد البحارين المخمورين والمخالفين للانضباط . وكانت سعيدة جداً بذلك العمل ، فكانت تفخر دائماً بأنها واحدة من ثلاثة فتيات فقط ممن يقمن بذلك العمل الجرىء والمثير !..

●○●○●○



جونى ووكر و ب . ك فى زى تنكرى (بونى وكليد) ، وهى صورة من صنع خيالهما العاشق للإثارة والمغامرات ، ويصف جونى ووكر نفسه فى هذه الصورة بالأفعى (CHAMELEON) .

ليلة القبض على جونى ووكر

◀ جونى ووكر يتأهب «لعملية» جديدة ..

مضت خمسة أشهر من المراقبة ، لم يصل خلالها رجال المخابرات إلى أى دليل يمكنهم به إدانة ووكر ، واتهامه بالجاسوسية ، حتى جاء اليوم الموعود .. يوم ١٧ مايو ١٩٨٥ ، (فيما يبدو أن رقم ١٧ هو الرقم « النحس » لووكر ، ففى يوم ١٧ نوفمبر أبلغت عنه زوجته ، واتهمته بالجاسوسية) .

فى ذلك اليوم ، استطاع ضابط المخابرات ، روبرت هنتر ، المكلف بمراقبة ووكر أثناء تلك الفترة ، أن يسجّل مكالمة تليفونية دارت بين ووكر وأرثر ، كانت تشير إلى قيام ووكر برحلة عمل إلى تشارلوت بواشنطن دى سى فى صباح اليوم التالى . وفيما بدا لروبرت هنتر أن ووكر كان مخموراً أثناء تلك المكالمة التليفونية ، التى ظهر فيها الوضوح عن باقى مكالماته ، فمما ذكره أصدقاء ووكر عنه ، أن شخصيته كانت تتغير إلى حد كبير حين يكون مخموراً .

كانت تلك الرحلة هى الفرصة الذهبية التى طالما انتظرها الرجال لتتبع ووكر ، والكشف عن خفاياه ، وها هى الفرصة قد جاءت .

منذ سماع خبر تلك المكالمة ، كان منزل ووكر تحت رقابة مشددة من رجال المخابرات ، حتى جاء اليوم التالى ، وخرج ووكر من منزله لبدء رحلته .

ففى صباح ذلك اليوم ، وفى الساعة السابعة صباحاً ، خرج ووكر من منزله يحمل لفافة كبيرة بيده ، وضعها بسيارته ، ثم توجه بالسيارة إلى محلات ماك دونالد لتناول طعام الإفطار . كان فى تعقّبه أثناء ذلك روبرت هنتر ، الذى دخل وراءه المحل وجلس على إحدى الموائد يتابعه من على بُعد ، وفى حذر شديد ، حتى خرج ووكر من المحل فخرج وراءه هنتر بعد عدة دقائق . مضى بعد ذلك ووكر بسيارته إلى الطريق السريع لبدء رحلة السفر إلى واشنطن وتبعه هنتر ورجاله فى عدة سيارات .

◄ ***مطاردة على الطريق إلى واشنطن ..***

لم يكن ووكر أبداً رجلاً سهلاً حتى يمضى بسيارته مباشرة إلى هدفه المراد ، بل كان شديد الحرص على ألّا تنجح فى تتبعه أى سيارة قد تكون فى ملاحقته من الخلف ، لذلك ، كان يتوقف بسيارته من وقت لآخر على جانب الطريق ، ثم يعود مرة أخرى للقيادة ، بل إنه عند أحد المنحنيات استطاع أن يختفى عن هنتر ورجاله بعد أن قام بالدوران إلى الاتجاه المضاد وسلك الطريق الآخر لعدة دقائق ثم عاد مرة أخرى إلى اتجاهه الأصلى ، أى دار بسيارته بشكل الحرف "U" ، ثم عاد مرة أخرى لاتجاهه الأصلى ، وهذه هى إحدى طرق التضليل الشهيرة التى يقوم بها بعض الجواسيس المهرة أثناء القيام بعملياتهم .

لكن لم ينجح ووكر فى الاختفاء عن أعين هنتر ورجاله لفترة طويلة ، فسريعاً ما استطاعت إحدى سيارات المراقبة اقتفاء أثره من جديد وتتبعه مرة أخرى . وإن كان قد ذُكر على لسان بعض رجال المخابرات أن الفضل فى تتبع ووكر من جديد ، بعد اختفائه عنهم لفترة ، كان يرجع فى الحقيقة إلى وجود مراقبة جوّية كانت تشارك فى تتبع ووكر من الجو فى خفاء ، لكن لم يشأ أحد منهم أن يذكر كيف تمت تلك المراقبة ..!

◀ *الجواسيس يفضّلون « سفن أب » !!*

بعد أن مضت سيارة ووكر من جديد إلى اتجاهها الأصلى ، ومضت خلفها بعض سيارات المراقبة ، اندهش رجال المخابرات من التصرف الغريب الذى قام به ووكر بعد ذلك ؛ فعند منطقة معينة على جانب الطريق ، قام ووكر بإلقاء علبة صفيح فارغة من علب سفن أب ، كانت تحمل علامة مميزة باللون البرتقالى !.

فسر الرجال ذلك الفعل على أنه بمثابة إشارة اتفق عليها ووكر مع الروس حتى يشير لهم بشروعه فى أداء العملية ، واقترابه من المكان المتفق عليه لتسليم المعلومات .

◀ *من هو العميل الروسى ؟*

كانت غلطة العمر التى وقع فيها رجال المخابرات أنهم التقطوا علبة الصفيح من مكانها حيث ألقاها ووكر ، فقد ذكر بعض رجال المراقبة ، بعد ذلك ، أنهم قد شاهدوا مساعد القنصل السوفيتى أليكس تكاشينكو يأتى بسيارته إلى نفس المكان الذى

ألقى فيه ووكر بالعلبة الصفيح ، وظل يجول بنظره فى أرجاء المكان ، ثم انصرف بعد ذلك بسيارته . فمن المؤكد أن ذلك الرجل هو العميل الروسى لجهاز المخابرات السوفيتية (KGB) ، والذى يعمل ووكر لحسابه . وقد ذكر أيضاً رجال المراقبة أنه قد حضر للمكان بصحبة زوجته وابنتيه بشكل يوحى بأنهم خرجوا فى ذلك اليوم - يوم الأحد - لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ، وفى الغالب أن تكاشينكو قد أراد بذلك « المظهر » تضليل أى عيون قد تلاحقه . لكن للأسف ضاعت الفرصة على رجال المخابرات ، فلو ظلت العلبة فى مكانها لأمكنهم بعد ذلك تعقّب تكاشينكو إلى أن يقوم باستلام المعلومات ، مما يدينه بالجاسوسية ويمكنهم من إلقاء القبض عليه .

◄ ذلك المكان المهجور ..

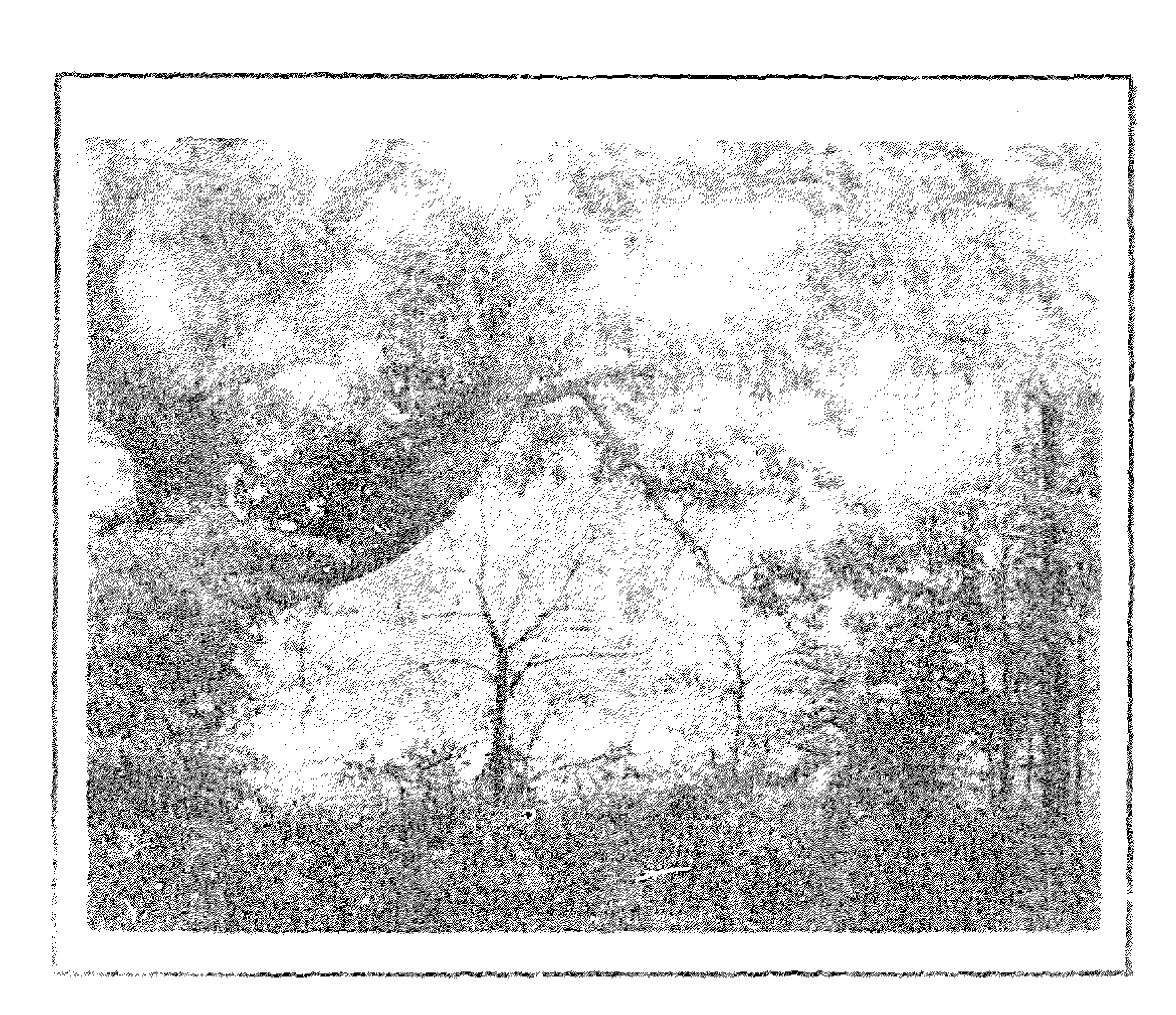
كان اعتقاد رجال المخابرات صحيحاً تماماً بشأن مدلول تلك الإشارة التى قام بها ووكر ، فبعد مسافة قصيرة ، انحنى ووكر بسيارته متجهاً إلى منطقة مليئة بالأشجار ، وخالية تماماً من الناس ، ثم توقف بسيارته ، وخرج منها حاملاً معه تلك اللفافة التى كان قد خرج بها من منزله فى الصباح .

كان تتبع ووكر أثناء تواجده فى تلك المنطقة الهادئة هو أخطر وأدق مرحلة من المراقبة ، فأى صوت ، أو أى حركة ، أو حتى أى نفس قد يحس به ووكر ، سيكون كفيلاً بفشل مهمة الرجال بعد تلك الرحلة الطويلة . لذلك ، رأى هنتر ، قائد المجموعة ؛ أن يكتفى هو وأحد زملائه بمراقبة ووكر فى تلك المنطقة ، وأعطى

إشارة لباقى الرجال بالانصراف بعيداً عن ذلك المكان .

اختبأ هنتر وزميله وراء الأشجار ، وراحا يتابعان ووكر أثناء سيره بحذر شديد ، إلى أن توقف عند شجرة ضخمة وراح يلتفت حوله فى قلق ليتأكد من خلو المنطقة ، ثم قام بفض اللفافة الكبيرة التى كان يحملها ليخرج منها فى النهاية حقيبة سوداء صغيرة .

قام ووكر بعد ذلك بوضع الحقيبة بإحكام على جذع سميك من أفرع الشجرة ، ثم مضى إلى سيارته لينطلق بها بعيداً عن ذلك المكان .



صورة للمكان الذى كان يقوم فيه ووكر بتسليم المعلومات السرية للروس ، وهو يقع على مقربة من البيت الأبيض فى واشنطن !.

لم يشأ هنتر أن يلقى القبض على ووكر فى أثناء ذلك ، فرأى أنه من الأفضل أن يظل مرابطاً بالمكان حتى يحضر الروس لالتقاط الحقيبة ، فيتعرّف تماماً على حقيقة ما يجرى .

◀ *ماذا كان بداخل الحقيبة ؟*

قام هنتر بتناول الحقيبة من على جذع الشجرة ، ثم عاد ليختبىء فى مكانه مرة أخرى ، وراح يتحرى عما بداخلها .. فماذا كانت تحتوى ؟ . كان بداخل الحقيبة ثلاثة مستندات يتكون كل منها من ست صفحات ؛ ورسالة من ثلاث صفحات كانت تبدأ بعبارة « **صديقى العزيز** » .. كانت المستندات تحتوى على أسرار بحرية من أخطر ما يكون ، فكانت تتناول بصفة عامة معلومات عن التكنولوجيا البحرية ، ووصف للقوة الدفاعية للبحرية الأمريكية ، فكانت تشمل بعض المعلومات عن أحدث القطع البحرية الأمريكية وأعدادها وأماكن تواجدها ، بالإضافة إلى معلومات أخرى عن الغواصات الذرية .

أما عن الرسالة المرفقة للمستندات فكانت توضح أن ووكر يريد من الروس زيادة أجر بعض عملياته إلى مليون دولار !! ، وذلك لاشتراك أكثر من فرد معه فى عملية جمع المعلومات اللازمة .

أما عن أسماء الأشخاص التى ذكرت فى هذه الرسالة فكانت مبهمة تماماً ، فكانت بعض العبارات تقول ، على سبيل المثال « هذه بعض المعلومات يرسلها لكم "D" ، وقد اشترك فى جمعها

أيضاً "G" » .. وهو نفس الغموض الذى بات واضحاً فى بعض المكالمات التليفونية التى قام رجال المخابرات بتسجيلها . فلم يستطع أحد أن يفسّر من هو "D" ومن هو "G" ؟. على أى حال ، اتضح لهنتر بعد قراءته للمستندات والرسالة ، أن تلك الأوراق هى دليل كاف لاتهام ووكر بالجاسوسية .

◀ **المفاجأة ..**

ظل هنتر مختبئاً فى مكانه هو وزميله فى انتظار قدوم الروس لأخذ الحقيبة ، ومضى أكثر من ساعة ، لكن لم يحضر أحد . وكانت مفاجأة لهم ، حين عاد ووكر للمكان مرة أخرى ، بدلاً من حضور الروس . بالطبع ، لم يجد ووكر الحقيبة ، ولم يشعر بالدهشة من ذلك ، فاعتقد أن الروس قد حضروا وأخذوها ، لكن سريعاً ما بدت الدهشة واضحة على وجهه حين راح يبحث عن النقود ، فلم يجدها أيضاً ...!.

اعتقد ووكر أنه ربما قد حدث تغير فى الخطة من جانب الروس ، فرأى أنه من الأفضل أن يذهب إلى الفندق ــ رامادا ــ ويأتى إلى نفس المكان مرة أخرى فى الليلة التالية ، فلعله يجد النقود ، أو لعل أحداً قد يتصل به فى الفندق ليوضح له ما حدث .

فى نفس الوقت ، قرر هنتر ورجاله أن ينتهوا من مراقبة ذلك المكان ، وأن ينتهوا أيضاً من مهمتهم تماماً ، فاتخذوا جميعاً قراراً بإلقاء القبض على ووكر أثناء تواجده فى الفندق .

●○●○●○

كمين فى فندق رامادا ..!

فى الساعة الثالثة صباحاً من اليوم التالى ، اتصل أحد رجال هنتر ، على أنه عامل بالفندق ، بحجرة ووكر ، ليخبره بضرورة النزول بسرعة إلى صالة الفندق لتعرض سيارته المنتظرة أمام الفندق لتصادم بسيط من سيارة أخرى . شعر ووكر بالشك فى أمر تلك المكالمة الغير متوقعة ، فقام يطل من نافذته على سيارته ليتبين حقيقة ما حدث ، لكن لحسن الحظ ، لم يتمكن ووكر من رؤيتها .

قرر ووكر فى النهاية أن ينزل إلى قاعة الفندق ويواجه الأمر بشجاعة ، وأن يتخلص من الإحساس بالخوف الذى طالما شعر به ، عند مواجهة مثل هذه المواقف البسيطة ، دون أى داع ..

ارتدى ووكر ملابسه بسرعة ، ودسّ مسدسه بداخلها ، ثم دخل إلى « الأسانسير » ، وهمّ بالنزول إلى قاعة الفندق ، وما أن توقف « الأسانسير » حتى كانت المفاجأة ..

لم يجد ووكر أى شىء مما تصور ، لكنه وجد فى انتظاره أثناء خروجه من الأسانسير حفنة من الرجال تجمعوا حول باب الأسانسير من كل جانب .. هم رجال المخابرات بقيادة الضابط روبرت هنتر ، الذى صاح فى ووكر فور خروجه من « الأسانسير » قائلاً :

ـ هاللو جونى ووكر .. هاللو .

فرد ووكر فى دهشة قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟

فرد هنتر بلهجة قوية قائلاً :

ـ مخابرات .. لقد انكشف أمرك مستر ووكر . عند ذلك الحدّ ، سارع ووكر بإخراج مسدسه ، لكن لم يسعفه الوقت ، فكان هنتر أسرع منه فى ذلك ، فلم يجد ووكر أمامه إلّا الاستسلام .

ـ مستر ووكر ، أنت مقبوض عليك بتهمة الجاسوسية .. هكذا قال له هنتر ، وهو يهم بوضع « الكلبشات » فى يديه . لم يدر ووكر ماذا يقول ، فأعلن عن رفضه الإجابة عن أى سؤال إلّا فى حضور محاميه الخاص .

ومن الغريب أن ووكر أثناء القبض عليه كان يبتسم ابتسامة غريبة ، خاصة عند وضع « **الكلبشات** » فى يديه ، ابتسامة لا تتفق نهائياً مع ذلك الموقف الصعب الذى يواجهه ، والتى كانت سبب دهشة رجال المخابرات . لكن مما عُرف عن ووكر أنه كان يميل دائماً إلى السخرية وكثرة الابتسام ، إلّا أن ابتسامته فى تلك المرّة كانت ابتسامة من نوع خاص جداً ..

وخرج ووكر من الفندق مكبّلاً من يديه ومحاطاً برجال المخابرات من كل جانب ، ليمضوا به داخل إحدى سياراتهم إلى مقر التحقيق ، لتبدأ جولة أخرى مثيرة تكشف لنا عن المزيد من الخفايا فى رحلة ووكر مع الجاسوسية ..

○●○●○●



ليلة القبض على أخطر جاسوس شهدته أمريكا ـ جونى ووكر ـ الذى كانت ابتسامته ، أثناء إلقاء القبض عليه ، شيئاً مثيراً لدهشة رجال المخابرات .

جولة فى منزل جاسوس

◀ ***نورفُلك ـ فرجينيا :***

فى اليوم التالى مباشرة بعد ليلة القبض على جونى ووكر ، قام رجال المخابرات بتفتيش منزل ووكر فى نورفُلك بفرجينيا فماذا وجدوا ؟

عثر رجال المخابرات على ورقة صغيرة داخل أحد الكتب كانت تحمل هذه الرموز :

F	S	K	D
↓	↓	↓	↓
جارى	**ميشيل**	**أرثر**	**جيرى**

وفى موضع آخر من البحث ، وجد رجال المخابرات ما يشير إلى اسم ووكر بحرف A .

هكذا اتضح تماماً لرجال المخابرات من تلك الرموز شخصية أولئك الأشخاص الذين عبّرت عنهم الرموز فى كل أعمال ووكر .

ولكن ، يبقى سؤال ، من هو جارى الذين يُرمز له بحرف F ؟ ، فمن خلال تحريات رجال المخابرات عن ووكر وأعوانه ، لم يظهر لهم فى الصورة شخص بذلك الاسم .

لكن اتضح بعد ذلك من خلال التحقيق أن جارى هو جارى ووكر الأخ الأصغر لجونى ووكر ، ولكن من أمٍّ أخرى . كما اتضح أن جارى لم يكن له أى علاقة على الإطلاق بما يفعله شقيقه الأكبر ، علاوة على أنه يعيش فى ولاية أخرى ، ويعمل بعمل مختلف تماماً لا يؤهله لأن يُمدَّ أخاه ووكر بأى معلومات هامة للروس . بالرغم من ذلك أُجرى لجارى عدة اختبارات وتم اختبار معلوماته بجهاز كشف الكذب ، وأثبتت النتائج بالفعل أنه كان بعيداً تماماً عن كل ما يفعله أخوه جونى ووكر .

فى الحقيقة أن ووكر كان يحاول خداع الروس باستغلال اسم أخيه جارى ووكر فى عملياته على أنه عضو من أعضاء شبكته ، فيحصل من الروس على أكبر قدر من المال .

◀ ***بيوت فخمة وأسلحة متنوعة ومخدرات فى حوزة الجاسوس !!***

وُجد أيضاً بمنزل ووكر بعض عقود الملكية التى تشير إلى ثرائه الكبير ، فقد امتلك ووكر منزلاً غاية فى الفخامة بفلوريدا ، ومنزلاً آخر بجزر البهاما ، وصلت قيمتهما إلى حوالى مليون دولار !

كما عُثر أيضاً على عدد من المسدسات والبنادق المختلفة الأنواع ، وعلى حقيبتين صغيرتين ممتلئتين بالمارجوانا ..!!

أما أهم وأخطر ما وجده رجال المخابرات بمنزل ووكر ، والذى صار دليلاً آخر لاتهامه بالجاسوسية ، هو جهاز صغير من

البلاستيك يعمل بالبطارية ، وهو فى حجم قبضة اليد ، ذلك الجهاز كان يمكّن ووكر من الكشف عن الأرقام الكودية التى يتم عن طريقها الاتصال بين الحكومة الأمريكية ومراكز القيادة البحرية لبث الإشارات والرسائل السريّة ، مما يمكنه من التقاط خط الاتصال ومعرفة الرسائل . وهى عملية شبيهة إلى حد ما بطريقة الإرسال باستخدام جهاز التلكس .

وقد ذكر الخبراء فى هذا المجال أن ذلك الجهاز الذى وُجد فى منزل ووكر هو جهاز فريد من نوعه ولا يتوفر لأى أحد فى العالم . وهو جهاز روسى الصنع ، ابتكره الخبراء الروس ، حتى يمكنهم – عن طريق ووكر – من الكشف عن أسرار التكنولوجيا الأمريكية ووسائل الدفاع الحديثة ، مما يجعلهم قادرين على التفوق على أى تقدّم أمريكى .

وفى أغلب الظن أن ووكر قد حصل على ذلك الجهاز من الروس أثناء سفرياته المتكررة إلى فيينا .

ومن المؤسف ، أن ووكر كان يستخدم ذلك الجهاز فى الكشف عن الرسائل السرية منذ أكثر من عشر سنوات ، وقد ظل يستخدمه أيضاً حتى بعد استقالته من البحرية .

إلى جانب ذلك الجهاز ، وجد أيضاً رجال المخابرات عدداً من الخرائط والرسائل التى تشرح كيفية لقاء ووكر بالروس خارج البلاد . وكانت فيينا هى دائماً المكان المفضل لذلك اللقاء السرّى خارج أمريكا .

◀ سر نتيجة الحائط !

ومن الأشياء المريبة التى شدت انتباه رجال المخابرات أثناء تواجدهم بمنزل ووكر ، هى نتيجة الحائط الموجودة داخل حجرة ووكر الخاصة ، فكانت تحمل عدداً من العلامات التى يشير بها ووكر إلى تواريخ معينة . فلم يستطع أحد منهم بسهولة أن يفسّر مدلول تلك الأيام بالنسبة لووكر . لكن كان هناك تاريخ من تلك التواريخ له دلالة خاصة عند رجال المخابرات ذلك التاريخ هو يوم ١٧ مايو ١٩٨٥ ، وهو آخر تاريخ قام ووكر بوضع علامة أمامه .

فذلك اليوم ، هو اليوم الذى توجّه فيه ووكر لإنجاز عمليته الأخيرة .. فمن ذلك التاريخ ، استطاع رجال المخابرات الكشف عن المغزى من باقى التواريخ المحددة . فكان ووكر يقوم بوضع علامة على النتيجة لتحديد الأيام التى قام خلالها بعملياته والأيام التى كان يلتقى خلالها بالروس .

فكانت هذه النتيجة هى بمثابة المؤشر الذى صنعه ووكر بنفسه ليدل به على مقدار نشاطه كجاسوس خائن أمام أعين رجال المخابرات ، دون أن يدرى .. فكانت النتيجة تشير إلى تعدد العمليات التى قام بها ، وبالتالى كانت تدل على مدى كفاءته ونشاطه الموفور فى خيانة بلده .

◀ الأب الطماع !!

وُجد أيضاً بمنزل ووكر بعض المستندات والرسائل التى تدين

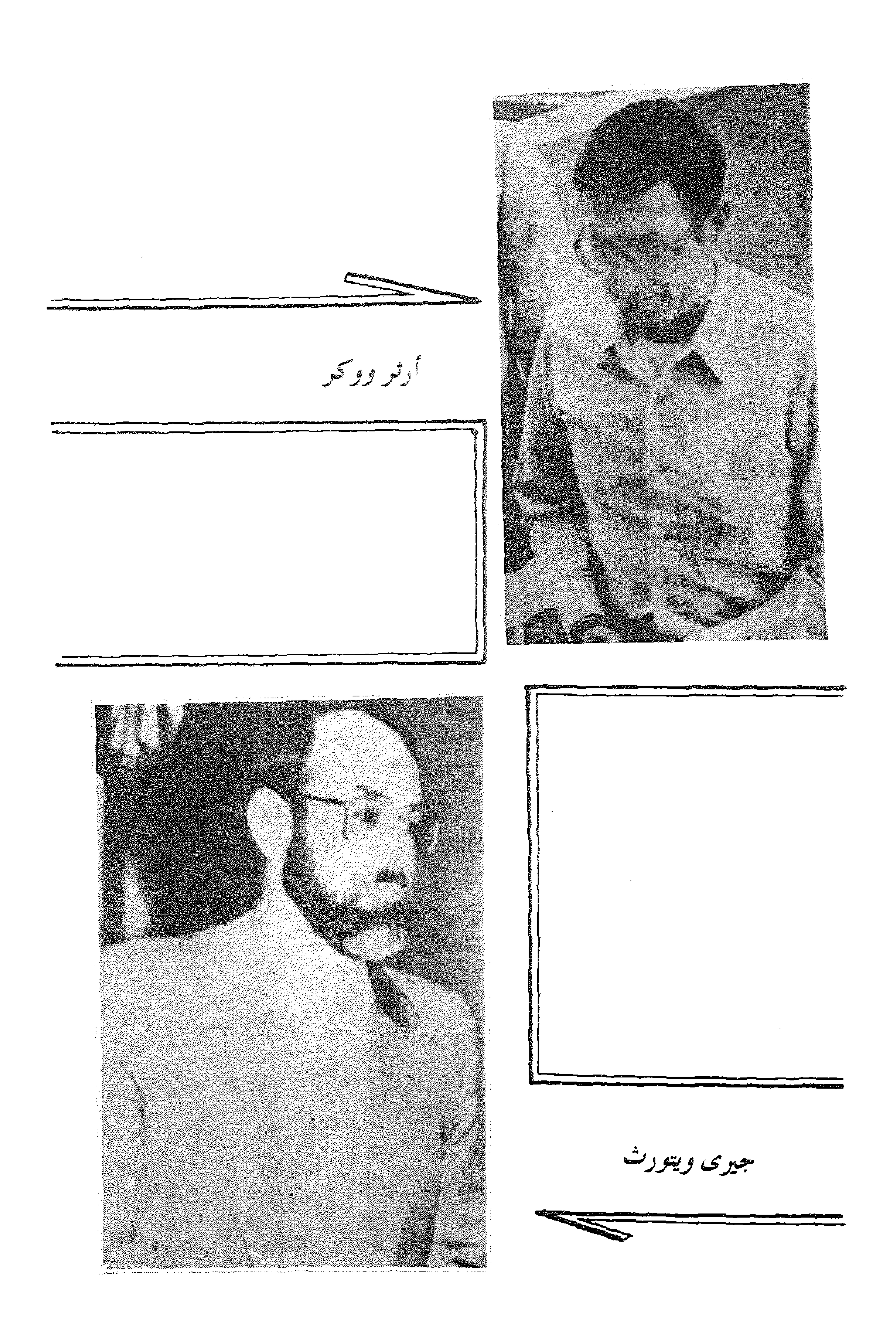
ابنه ميشيل وأخيه أرثر بشكل قاطع . فكان هناك بعض الأوراق التى تحمل معلومات غاية فى السرية عن حاملة الطائرات « نيميتز » ، مكان عمل ميشيل ، بالإضافة إلى معلومات سرية أخرى عن البحرية الأمريكية ، والتى قام ميشيل بالتقاطها من مجال عمله ، وتسليمها إلى والده حتى يبعث بها للروس .

أما أرثر ، فقد عثر رجال المخابرات على بعض التقارير التى أحضرها لأخيه ووكر والتى كانت تحمل معلومات سرية عن الغواصات النووية ، والتى استطاع أن يحصل عليها من خلال عمله كضابط بحرى بتلك الغواصات ، حتى بعد استقالته من العمل !

أما بالنسبة للرسائل التى عُثر عليها بمنزل ووكر ، فكانت دليلاً آخر لاتهام ميشيل وأرثر بالجاسوسية .

كانت تلك الرسائل موجّهة من الروس إلى ووكر ، وكانت تتضمن الحديث عن بعض العمليات والمبالغ المستحقة لووكر وشركائه عن القيام بها ، وقد رُمز لكل اسم جاء فى تلك الرسائل بنفس الحروف التى سبق ذكرها .

ومن الطريف أن مضمون تلك الرسائل كان يدل بوضوح على أن ووكر كان يحتال على ابنه وأخيه ، فلم يكن أبداً عادلاً فى توزيع المبالغ الحقيقية المستحقة لهما عن اشتراكهما معه فى العمل لحساب الروس . فكانت الرسائل تشير إلى استحقاقهما لمبالغ أكبر بكثير من المبالغ التى تقاضوها بالفعل ، والتى ذُكرت أثناء التحقيق !..



أرثر ووكر

جيري ويتورث

.. من وراء قفص الاتهام

◄ الصراع الأبدى بين روسيا وأمريكا :

أسفرت نتائج التحقيقات التى أجريت مع ووكر وأفراد شبكته عن حقائق أخرى مثيرة كانت تتعلق بالروس ، أنفسهم ، وتشير إلى حرصهم الدائم على التغلب على الأمريكيين ، والانفراد بالقمة . وكان طريق الجاسوسية هو أحد الطرق الهامة التى خاضها الروس للتعرف على الملامح الحقيقية للقوة الأمريكية ، مما يجعلهم قادرين على التصدى لها والتفوق عليها .

ولكن لا شك أن الأمريكيين هم الآخرون يسعون إلى هذا الغرض كما يسعى إليه الروس ، فالصراع على الانفراد بالقمة هو صراع دائم ومستمر بين القوتين العظميين .

◄ كيف تمّ تجنيد ووكر للعمل بالجاسوسية ؟

يقوم السوفييت من وقت لآخر بإرسال عملاء لهم إلى أماكن قواعد الغواصات الأمريكية مثل سان دييجو وميرايلاند بكاليفورنيا ، ونورفُك بفرجينيا ، وتشارلستن فى سنوث كارولينا ، وغيرها من المناطق . حيث يقوم هؤلاء العملاء ، وفى خفاء تام ، بالبحث بين العاملين فى هذه القواعد عن بعض النماذج البشرية المؤهلة للعمل بالجاسوسية ، والتى تتميز ببعض الصفات

الخاصة مثل : إدمان الخمر أو إدمان المخدرات أو إدمان « النساء » ، وغيرها من الظروف التى تجعل الفرد سهل الانقياد ، كالمرور بضائقة مالية أو المرور بأزمة نفسية معينة ، بالإضافة إلى بعض الصفات الأساسية التى يجب توافرها مثل الحب الشديد للمال والثراء ، وعدم الاعتقاد فى المبادىء والقيم .

وفور توافر من له مثل هذه الصفات ، يبدأ العميل ، أو العملاء ، فى إحكام صداقته به بشتى الطرق . ثم يقوم العميل بعد ذلك بوضع الفريسة تحت اختبار مبدئى ، حيث يطلب منه الحصول على بعض المعلومات البسيطة والمعروفة للجميع مثل ، بعض أرقام تليفونات العمل ، أو السؤال عن بعض الإصلاحات التى تمت للسفن ، وغيرها من المعلومات العادية . بعد الحصول على هذه المعلومات ، يقوم العميل بمكافأة « صديقه » بمبلغ ضخم من المال ، هو غالباً ١٠٠٠٠٠ دولار ، لإمداده له بهذه المعلومات ! ، مما يثير فى نفسه الدهشة والاستغراب ، ولا يجد تفسيراً منطقياً لهذا الأمر سوى تمتع أصدقائه الروس بالطيبة والسذاجة ، وفى نفس الوقت يبدأ فى الانجذاب للروس للحصول على مزيد من المال ، مادام هذا العمل البسيط الذى لم يكلفه أى شيء قد كوفىء عليه بهذا المبلغ الضخم ، فى حين أن عمله الشاق بالغواصات والذى يتعرض من خلاله لظروف قاسية ، علاوة عن ابتعاده عن منزله وأبنائه لفترات طويلة ، لم يحصل منه على مثل هذه المكافأة والتقدير ..

◀ *هذا الرجل يبيع « أمّه » من أجل المال !*

وجونى ووكر هو نموذج للرجل الأمثل الذى يبحث عنه الروس من وقت لآخر ، فيعدّ هو ومن شابهه « كنزاً » لكل من يريد أن يضع يده على أسرار الأمم .

فعلاوة على أنه كان يمر بضائقة مالية ، بعد أن خسر أمواله فى مشروع الملهى الليلى ، فهو أيضاً إنسان بلا مبادىء، بلا دين ، بلا ضمير ، ذو علاقات عديدة بالنساء ، إنسان يهوى المال لدرجة العبادة ، ويهوى نفسه قبل كل شىء ، وأكبر دليل على ذلك ، أنه أغرى ابنه ميشيل بالانضمام للعمل معه بالجاسوسية حتى يحصل من ورائه على قدر أكبر من المال ، دون أن يبالى بمستقبل ذلك الشاب الصغير ، بل والمؤسف أيضاً ، أنه كان يحتال على ابنه نفسه ، ولا يعطى له إلّا القليل مما يدفعه له الروس !!

وقد كان وصف جيرى ويتورث لووكر ، أثناء التحقيق ، هو وصف صادق تماماً، فقال :« إن جونى ووكر يمكن أن يبيع أمّه نفسها من أجل المال » !!

◀ *ماذا كان يريد الروس معرفته من ووكر ؟*
وما هى الغواصات النووية ؟؟

الغواصات النووية الأمريكية الحديثة هى من أقوى الأسلحة التى يملكها الأمريكيون ، وهى من الابتكارات الفريدة التى يتفوقون بها على الروس .

وقد ذكر الرئيس الأمريكى السابق ، جيمى كارتر ، أثناء تولّيه

الرئاسة «**إن القذيفة التى تحملها غواصة نووية واحدة هى قادرة على سحق أكبر عدد من المدن السوفيتية فى لحظات**» .

بل يمكن القول ، فى الوقت الحالى ، إن الدمار الذى تسببه قذيفة الغواصة النووية الواحدة يفوق بكثير الدمار الذى حققته كل الأسلحة النارية التى استخدمت فى الحرب العالمية الثانية ، بما فيها القنابل الذرية ، والتى كانت سبباً لإنهاء الحرب !..

فالأمريكيون عاكفون باستمرار على تطوير غواصاتهم النووية بأحدث الوسائل التكنولوجية حتى تبقى دائماً سلاحهم الفريد فى مواجهة أى خطر سوفيتى قد يهددهم .

والغواصة النووية الحديثة يمكنها أن تتحرك تحت المياه بسرعة تصل إلى ٤٠ عقدة ، وهى سرعة فائقة للغاية ، ويمكنها أيضاً أن تسير تحت سطح المياه فى عمق يصل إلى ٣٠٠٠ قدم ، وهى فى أثناء ذلك يمكنها أن «تتبين وتسمع» ما يدور حولها بوسائل خاصة لذلك !.

ويتم التحكم فى حركة الغواصة النووية من على بعد عن طريق تغذية أجهزتها الكومبيوترية بمعلومات معينة تختص بالسرعة المطلوبة والاتجاه والجاذبية ، إلى آخره .

كذلك يتم توجيه القذيفة التى تحملها الغواصة إلى الهدف المراد عن طريق تغذية الأجهزة الخاصة بانطلاق القذيفة بمعلومات معينة تحدد الهدف المراد وطريقة الانطلاق .

وقد بلغ عدد الغواصات النووية التى امتلكتها الولايات المتحدة فى سنة ١٩٨٥ إلى ١٥٠ غواصة ، لكن إنتاجها من هذه الغواصات فى تزايد مستمر حتى الآن . ويعتبر عددها الحالى هو أحد الأسرار الحربية .

ويعتبر كيفية تحكم الأمريكيين فى غواصاتهم النووية هو « الفجوة » التى تعانى منها التكنولوجيا السوفيتية ، فلو استطاع لروس معرفة كيفية هذا التحكم لأمكنهم التصدى لأى خطر مريكى قد تحمله إليهم هذه الغواصات ، وفى نفس الوقت أصبح بإمكانهم إنتاج غواصات سوفيتية مماثلة للغواصات الأمريكية .

لم يكن أمام الروس لمعرفة ذلك سوى طريق واحد هو طريق الجاسوسية ، والذى حاولوا من خلاله الوصول لهدفهم أكثر من مرة ، حتى نجحوا فى ذلك فى إحدى المرات ، حين التقوا بجونى ووكر ونجحوا فى تجنيده للعمل لحسابهم ، والذى أمدّهم بالكثير والكثير مما لم يحلموا به ، فأصبحوا فى الوقت الحالى على إلمام كبير بتكنولوجيا الغواصات النووية وبدأوا بالفعل ينافسون الأمريكيين فى هذا المجال ـ بفضل أكبر عملية للتجسس فى تاريخ الولايات المتحدة ، كما وصفها رجال المخابرات الأمريكيين .

◀ *إلقاء القبض على باقى أعضاء الشبكة :*

لم يبق بعد تلك المستندات التى عثر عليها رجال المخابرات فى منزل ووكر أى سبب لتأخُّرهم فى إلقاء القبض على ميشيل وأرثر

وويتورث ، بعد ثبوت إدانتهم بشكل قاطع .

فبعد تفتيش منزل ووكر ، توجهت حملة من رجال المخابرات لإلقاء القبض على أفراد شبكة ووكر الواحد بعد الآخر ، تمهيداً لمحاكمتهم . كما تم إحضار أكبر عدد ممن كان لهم علاقة بووكر وأعضاء شبكته للتحقيق معهم ، وكان فى مقدمتهم صديقة ووكر الحميمة ، باميلا كارول .

●○●○●○

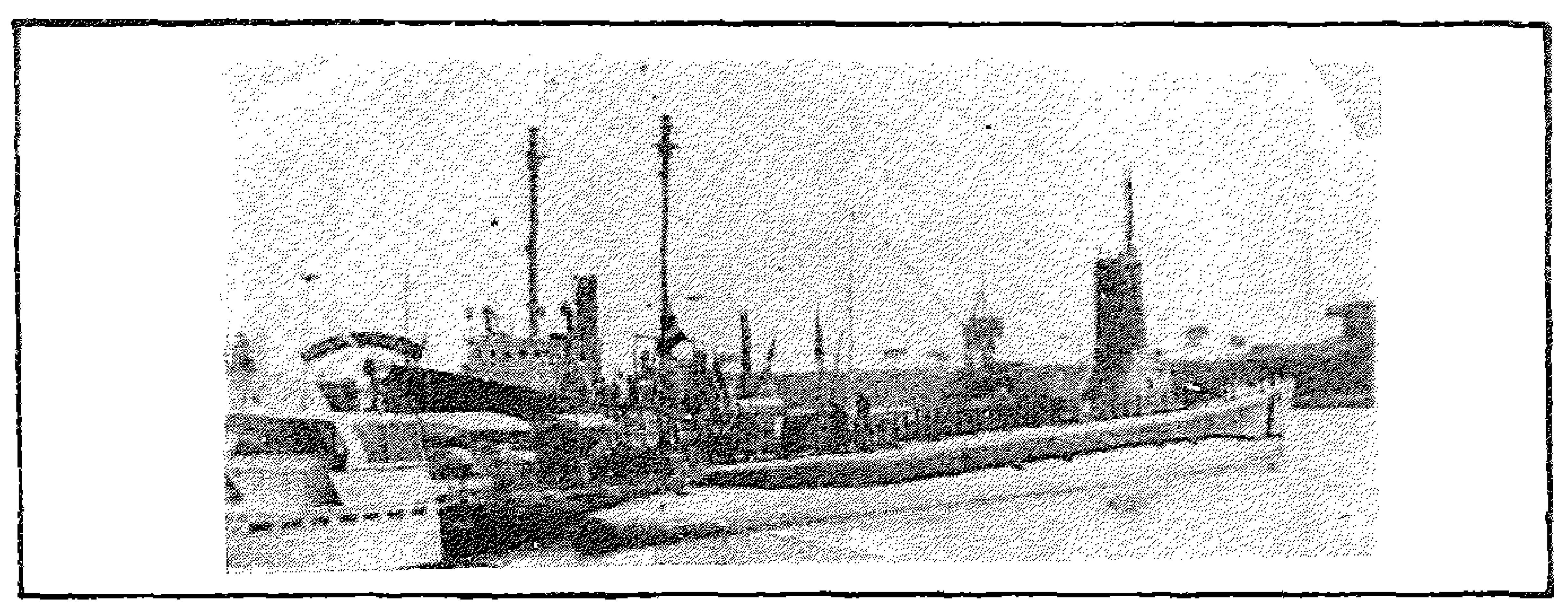
يوم ألقى القبض على أفراد عائلة جونى ووكر الجاسوسية



ميشيل ووكر



صورة لجونى ووكر (فى أقصى اليمين) مع زملائه فى العمل على ظهر الغواصة النووية سيمون بوليفار .



الغواصة النووية تورسك فى ميناء بالتيمور - وهى الغواصة التى كان يعمل عليها أرثر ووكر .

◀ التحقيق مع باقى أفراد الشبكة :

لم يستطع أحد من أعوان ووكر ، سواء ميشيل أو أرثر أو ويتورث ، أن ينفى عن نفسه الاتهام بالجاسوسية ، رغم الدفاع القوى الذى لجأ إليه محاميهم الخاص ، خاصة محامى ويتورث ، فكانت المستندات التى وجدها رجال المخابرات بمنزل ووكر بما تحمله من معلومات سرية للغاية هى دليل كاف لاتهامهم بالجاسوسية بعد أن ثبت ملكيتهم لها . ومن ناحية أخرى لم يستطع ووكر ، أثناء التحقيق معه ، أن ينفى علاقتهم بما كان يقوم به ، وإن كان قد بدأ يشعر بتأنيب الضمير بعد إلقاء القبض على ابنه ميشيل مما دفعه إلى محاولة تجاهل دور ابنه فى العمل معه بالجاسوسية ، لكن لم يغيّر ذلك أى شىء بشأن الاتهام الخطير والمؤكد الذى يواجهه الابن الشاب .

◀ الرغبة فى الانتقام :

وقد ذكر كل من المتهمين أثناء التحقيق معه تفاصيل انضمامه للعمل مع ووكر ودوره الفعال فى شبكة ووكر للتجسس ، وهى فى مضمونها تشير إلى استغلال كل منهم لمنصبه فى عمله فى الحصول على المعلومات التى كان يريد ووكر معرفتها منهم ، وتشير أيضاً إلى أن ووكر قد استغلهم جميعاً واستفاد منهم بدرجة أكبر بكثير من استفادتهم من ووكر نفسه ، فكان واضحاً من التحقيق أن ووكر كان يحتال عليهم فى المبالغ المستحقة لهم ، فكان يدعى حصوله من السوفييت على مبالغ أقل من المبالغ الحقيقية التى يحصل عليها كأجر لعملياته ، حتى يحظى هو بأكبر نصيب ممكن من المبالغ .

وكان تبريرهم جميعاً لاشتغالهم مع ووكر بالجاسوسية يشير بصفة عامة إلى مدى قوة شخصية ووكر وقدرته البالغة فى التأثير على الآخرين وانجذابهم إليه وتغيير معتقداتهم وآرائهم .

وقد أحسّ كل منهم ، بعد القبض عليه ، برغبة قوية فى الانتقام من ذلك « الأفعى » الذى غرّر بهم .

◀ *جونى ووكر .. هو حبّى الأول والأخير !*

لكن فيما يبدو أن هناك واحدة لم تشعر أبداً بتلك الرغبة ، ولم تندم أبداً على علاقتها بووكر ، تلك هى الفتاة باميلا كارول أو ب . ك ، صديقة ووكر الحميمة ، وذلك على الرغم من أنها قد صارت أحد المشتبه فيهم فى هذه القضية الخطيرة .

فقد صار واضحاً من التحقيق معها أن هناك قصة حب عنيفة قد عاشتها مع ووكر لعدة سنوات ، بالرغم من فارق السن الواضح بينهما ، وأنها لا تزال على حبّها له ، بل أنها معجبة ومبهورة بكل ما فعله !! .

فقـد قالت ب . ك أثناء التحقيق معها : « إن ووكر هو حُبّى الأول والأخير ، ولا تلوموني يا ناس على هذا الحب . فأى إنسان يعرف ووكر جيداً ، كما عرفته ، لا يستطيع أبداً أن يمنع نفسه عن حبّه والتعلّق الشديد به .

لقد كرهت الضعفاء .. كرهت أن يعتمد أحد على .. كرهت كل من عرفتهم قبل ووكر . فووكر هو الرجل الوحيد الذى أحسست معه بالحنان والأمان .

بهرتنى قوة شخصيته .. بهرتنى شجاعته ، فووكر هو آخر من يخاف . ووكر هو إنسان مَرِحٌ إلى أقصى حد ؛ يعرف جيداً كيف ينشر جواً من التفاؤل والسرور على من حوله ، لكنه كان دائماً جاداً عند الضرورة . ووكر أيضاً هو إنسان « رومانسى » للغاية ، يجيد معاملة النساء ، فقد عرف جيداً كيف يعاملنى ، فإذا به يتسلل إلى قلبى سريعاً دون أن أدرى !

لا اعتقد أننى سأستطيع أن أتخلص من حبى لووكر ، وأبدأ حياتى من جديد مع شخص آخر . لا أدرى ماذا سأفعل ، هل أنتظره حتى يخرج من السجن ؟، هل اغادر البلد بأكملها لعلّى أنساه ؟، لا أدرى .. لا أدرى » .

كان من الصعب على المحققين أن يتخلوا عن دهشتهم بعد سماعهم لما ذكرته ب . ك ، وبما أحسوه من حب جارف تشعر به نحو ذلك الخائن .. جونى ووكر ، الذى باع أهله ووطنه من أجل المال .

لكن فى الحقيقة ، أن تعلّق ب . ك الشديد بووكر كان فى حاجة إلى تفسير من أحد أطباء النفس . فقد فقدت ب . ك والدها وهى فى سن السادسة من عمرها ، فحرمت من عطف وحنان الأب لسنوات طويلة . فكان ووكر بشخصيته القوية ، والذى يكبرها بسنوات عديدة ، هو ذلك الرجل الذى كانت تحلم به ب . ك حتى يلبى رغبة دفينة فى عقلها الباطن إلى استعادة عطف وحنان أبيها ، وبالطبع فهى لا تستطيع أن تفسر حبها لووكر على هذا النحو ، بل إنها رفضت تماماً الاعتراف بذلك

الرأى عندما أثاره المحققون ، فقالت إنها لم تشعر أبداً بشيء من ذلك ، فعلاقتها بووكر كانت علاقة حب خالص بين رجل وامرأة ..

◄ اتهام ووكر فى جريمتى قتل !!

من الطريف أنه بعد الانتهاء من التحقيق مع ووكر فى قضية التجسس ، أعيد فتح التحقيق معه مرة ثانية فى قضايا أخرى . فبعد إلقاء القبض على ووكر جاء بلاغ إلى المحققين يشير إلى أن ووكر هو أحد المشتبه فيهم فى جريمتى قتل قد وقعتا منذ فترة سابقة ، حيث أن الرصاص المستخدم فى كل منهما يشير إلى نفس نوع المسدس الذى كان يستخدمه ووكر !

لكن لم يسفر التحقيق مع ووكر فى هاتين القضيتين عن أى شيء قد يعرضه للإدانة . كما اعتقد المحققون أن الضجة الكبيرة التى ثارت بعد القبض على ووكر ، قد جعلته موضع اشتباه فى الكثير من الجرائم الغامضة التى حدثت ، والتى لا علاقة له بها على الإطلاق .

◄ ضرائب بمبلغ ١,٦ مليون دولار !!

كذلك ، بعد القبض على ووكر ، تلقت المحكمة ثلاثة بلاغات متلاحقة تطالب ووكر فى مجموعها بتسديد مبلغ ١,٦ مليون دولار ، كضرائب عن أعماله الجاسوسية التى قام بها !!

◀ ووكر هو ووكر :

لكن ما قاله ووكر للصحفيين أثناء التحقيق معه كان أطرف ما ذُكِرَ ، وهو دليل واضح على شخصيته المرحة الساخرة ، إذ أعلن ووكر للصحفيين أنه إذا كان إلقاء القبض عليه قد حرمه من مبالغ طائلة كان يتقاضاها من الروس ، إلّا أنه أتاح له مصدراً آخر للكسب .

فقال إنه سيعرض قصته مع الجاسوسية لتقدّم كفيلم سينمائى مقابل أن يحصل من المنتجين على حقوق هذا العرض . لكن ووكر لم يحدد المبلغ الذى قرر أن يتقاضاه منهم ...

●○●○●○

.. وانتهى التحقيق

انتهى التحقيق ، وحكمت المحكمة على جونى ووكر بالسجن خمسة عشر عاماً ، وميشيل ووكر ، وأرثر ووكر ، وجيرى ويتورث بالسجن عشرة أعوام لكل منهم .

بقى جونى ووكر فى السجن الفيدرالى فى نورفُك بفرجينيا ، أما ميشيل فنقل إلى السجن الفيدرالى ببتسبرج بفرجينيا ، أما أرثر فنقل إلى السجن الفيدرالى فى لويسبرج ببنسلفانيا ، وتم ترحيل ويتورث إلى السجن الفيدرالى بسان فرانسيسكو .

أما باقى شخصيات « حكاية ووكر » ، فاستقر بهم الحال ، على النحو التالى :

● **ب .ك** : تم الإفراج عنها بعد التحقيق ، فلم تثبت إدانتها فى العمل بالجاسوسية مع ووكر ، لكنها لم تستطع أن تحصل على عمل بسهولة ، بعد أن فُصلت من عملها السابق ، بسبب ما أعلنته عن صداقتها الحميمة بجونى ووكر ، لكنها استطاعت أن تكسب الكثير من المال ، بعد ذلك ، من وراء تلك الصداقة المشبوهة . فقد أعلنت لأصدقائها فى بادىء الأمر أنها ستقوم بكتابة كتاب عن علاقتها كصديقة لأخطر جاسوس أمريكى ، لكنها عدلت عن تلك الفكرة بعد ذلك ، واكتفت ببيع صورها الخاصة مع جونى ووكر لمجلة People مقابل مبلغ ١٠٠٠٠ دولار !.

واستقر بها الحال بعد ذلك كبائعة فى أحد المتاجر .

● ***أليكسى تكاشينكو*** : هو مساعد القنصل الروسى ، والذى كان ووكر يعمل لحسابه ، لكن لم يستطع أحد إدانته . شاهده رجال المخابرات بعد ثلاثة أيام من إلقاء القبض على جونى ووكر وهو يستقل الطائرة هو وعائلته عائداً إلى موسكو ؟!

● ***روبرت هنتر*** : جاءه جواب شُكر من رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالى ، ويليام وبستر ، يشيد فيه بالمجهود الرائع الذى بذله هنتر للقبض على ووكر . كما سلمه مكافأة مالية تقديراً لذلك العمل الرائع فى خدمة الوطن .

● ***مارجريت ووكر*** : بدأت فى كتابة كتاب عن قصة حياة والدها ، والذى ساعدها بنفسه فى إعداد ذلك الكتاب من داخل السجن .

● ***لورا مارجريت*** : بدأت هى الأخرى فى إعداد كتاب عن حياة والدها . وقد رأت أنه يجب على كل من أفراد عائلة ووكر أن يقوم بكتابة مثل ذلك الكتاب بطريقته الخاصة ، كما شجعت أمها باربرا على هذه الفكرة .

● ***راشيل*** : رفضت الطلاق من زوجها ميشيل ، وعادت للإقامة مع والديها .

● ***باربرا ووكر*** : ظلت فى وحدتها .. حزينة ...

متوترة مع صديقتها الوحيدة ــ زجاجة الفودكا ــ التى لم تعد تفارقها منذ ليلة القبض على زوجها السابق ، جونى ووكر ...!!

●○●○●○

سيدنى ريلى

الجاسوس الذى تفوّق على جيمس بوند

سيدنى ريلى

◄ من هو سيدنى ريلى ؟

قال عنه إيان فلمنج ، مساعد رئيس المخابرات البحرية الإنجليزية السابق ، ومبتدع شخصية « **جيمس بوند** » :

« إن جيمس بوند ، الذى تصورته على أنه أخطر شخصية بوليسية يمكن أن يصل إليها الخيال ، هو فقط جزء من سيدنى ريلى .. الشخصية الحقيقية » .

فسيدنى ريلى هو بالفعل من أبرز الشخصيات التى ظهرت على مسرح الجاسوسية ، لما اتصف به من شجاعة وذكاء وجاذبية لم تتوفر فى غيره من الجواسيس كما توفرت فيه ، ويكفى لتصوّر ذلك أن سيدنى ريلى هو ذلك الجاسوس الذى ذُكر عنه أنه كان يمتلك ١١ جواز سفر و ١١ زوجة !. حيث كان يقوم فى كل مرة يسافر فيها « لعملية جديدة » باصطحاب جواز سفر مختلف مع زوجة مختلفة ، إمعاناً فى التنكُّر !

فعلى الرغم من أن سيدنى ريلى كان مُطَارداً من السوفييت بعد ادانته بالتجسس لحساب انجلترا ، إلّا أنه استطاع أن يمر عبر حدودها عدة مرّات بجوازات سفر مختلفة وبزوجات مختلفات ،

وأن يعيش فى مدنها المختلفة فى امان ، دون ان يدرى به رجال المخابرات السوفيتية !.

◀ شخصية فى غاية الغموض !

وسيدنى ريلى هو شخصية فى غاية الغموض . فلا يعرف أحد قصة حياته بشكل واضح ، حتى اسمه الحقيقى وجنسيته الحقيقية لا يعرفهما أحد على وجه التحديد . فقد عُرف بعدة أسماء مختلفة مثل : جورجى ـ روزينبلم ـ بيدرو .. وغيرها من الأسماء . فكانت تسميته لنفسه هى شيء خاضع للظروف ؛ فاسم بيدرو ، على سبيل المثال ، هو الاسم « البرازيلى » الذى اختاره لنفسه حين كان يقيم فى البرازيل ، وبالمناسبة كان سيدنى يُجيد سبع لغات عالمية كان قد تعلّم معظمها أثناء دراسته فى روسيا !. لكن اسم سيدنى جورجى ريلى هو الاسم الشائع لذلك الرجل الغامض .

كذلك ، اختلفت الآراء حول جنسيته الأصلية ؛ فيذكر البعض أنه من أصل روسى ، ويذكر آخرون أنه يهودى الجنسية ، لكن الأغلبية تشير إلى أنه يجمع بين « اليهودية والروسية » فى شخصية واحدة ، بمعنى أن أمه روسية الجنسية وأبوه يهودى الجنسية ، لكنه فى النهاية يعتبر يهودى الجنسية بحكم جنسية والده .

◀ اليهودى البائس :

ومن الطريف فى قصة حياة سيدنى ريلى ، أنه لم يعرف ، هو نفسه ، جنسيته الحقيقية إلى أن بلغ سن التاسعة عشر !. فقد

كانت أمه على علاقة غير شرعية ، ولفترة طويلة ، مع الطبيب المعالج لها ، والذى كان بالفعل هو أباه الحقيقى . ولم يعلم ريلى بسر تلك العلاقة وبحقيقة جنسيته إلّا عندما أخبرته أمه المريضة بذلك قبل فترة قصيرة من رحيلها .

كانت تلك المفاجأة كفيلة بأن تغيّر الدنيا من حوله تماماً ، بعد أن أصبح أبوه ليس هو أبوه الحقيقى ، وبعد أن أصبحت أخته الصغيرة من دم آخر غير دمه .

ويُذكر أن ريلى ـ اليهودى البائس ـ قد رحل مباشرة عن روسيا بعد تلك المفاجأة ، وسافر على ظهر السفينة إلى بلاد عديدة اشتغل فيها بأشغال مختلفة وبأسماء مختلفة ، حتى وضع قدمه على طريق الجاسوسية ..

◀ *الداهيــة :*

ولم يكن سيدنى ريلى غامضاً للعامة فحسب ، لكنه كان أيضاً غامضاً للمخابرات الإنجليزية والتى عمل لحسابها لفترة طويلة لم يتمكن خلالها أحد من معرفة اسمه أو جنسيته على وجه التحديد .

أما أصدقاء ريلى ، فقد وصفوه « بالداهية » نسبة إلى الدهاء الشديد والمكر الذى اتصف به ، فلم يستطع أحد منهم ممن رافقه لفترة طويلة أن يُلّم بخفاياه أو أن ينفذ إلى قرارة نفسه .

◀ *سيدنى ريلى .. معبود النساء :*

أما عن السحر والجاذبية الذى اتصف بهما ريلى فكانا بلا حدود . فكان من الصعب أن تقاومه أى امرأة تقع فى طريقه ،

فكان وسيماً ، لبق الحديث ، يجيد معاملة النساء ، علاوة على شجاعته الفائقة التى كانت مصدر إعجاب الكثيرات به . لذلك كان من السهل على ريلى أن يغيّر من « النساء » كما كان يغير من ملابسه . وإن كانت زوجته الثالثة بيبيتا هى أقرب من عرفهم إلى قلبه ، وفى نفس الوقت كانت هى الأخرى أشد المتعلقات به وأوفاهن له عن غيرهن . ففى سنة ١٩٣١ ، أصدرت بيبيتا كتاباً من تأليفها عن سيدنى ريلى بعد رحيله ، كان يحمل عنوان « مغامرات سيدنى ريلى .. أخطر جاسوس لانجلترا » . كان واضحاً فى ذلك الكتاب حُب بيبيتا الجارف لريلى ، وتعلّقها الشديد به . أما ما ذكرته فى ذلك الكتاب من مغامرات قام بها زوجها ، فكانت مصدر دهشة لكثير من القراء ، فلم يكن من السهل تصديقها ، حتى أن الصحف فى ذلك الوقت قد أعربت عن دهشتها من ذلك الكتاب ، وشكّها فى صحة ما جاء فيه . وأمام ذلك الأمر ، قام أبو بيبيتا بكتابة تعليق فى الصحف عن كتاب ابنته ، ذكر فيه أن تلك المغامرات ما هى إلّا جزء متواضع مما قام به ريلى ، فلا يزال هناك الأغرب والأدهش من ذلك ..

◄ *رجل بسبعة أرواح !!*

وكما ظهر سيدنى ريلى على مسرح الجاسوسية من حيث لا يدرى أحد على وجه التحديد ، فقد اختفى أيضاً من مسرح الحياة بأكملها دون أن يدرى أحد أيضاً نهايته على وجه التحديد !

ولم يكن اختفاء سيدنى ريلى عن مسرح الحياة شيئاً غامضاً للعامة فحسب ، بل للدول نفسها . ففى سنة ١٩٢٥ ، أعلنت

الصحف عن مقتله على يد المخابرات الروسية ، وبالرغم من ذلك أعلنت التقارير الرسمية فيما بعد أن سيدنى ريلى لا يزال حياً على قيد الحياة حتى سنة ١٩٤٥ ، وهى السنة التى مات فيها بالفعل ! . كذلك ، أعلن بعض الصحفيين أن سيدنى ريلى قد شارك زوجته بيبيتا فى إعداد الكتاب الذى نُشر عنه فى سنة ١٩٣١ ، مما يشير إلى أنه كان لايزال على قيد الحياة فى تلك الفترة !

وفى الحقيقة أن عدم وجود تاريخ محدد لموت سيدنى ريلى هو شيء ليس غريباً بالنسبة لذلك الرجل الغريب ، فقد تعرّض ريلى للموت أكثر من مرة داخل الملاهى الليلية ، والمراقص ، وما إلى ذلك ، وهو فى صحبة واحدة من زو جاته أو صديقاته ، وبالرغم من أن تعرّضه للموت ، فى أغلب المرّات ، كان يوحى بنهايته الأخيرة ، إلّا أنه كان يظهر بعد ذلك مرة أخرى ؟!

◀ أخطر جاسوس لبريطانيا

على الرغم من أن معظم ما نُشر فى روسيا عن سيدنى ريلى كان بعيداً عن الحقيقة ، إلى حد ما ، حتى لا تهتز مكانة جهاز المخابرات السوفيتية ، بعد أن استطاع ريلى أن ينفذ خلاله بمهارة ليأتى بأدق الأسرار إلى الإنجليز ، بل إنه استطاع فى سنة ١٩١٨ أن يسقط حكومة بولشيفكسى ، فعلى الرغم من ذلك ظهر فى سنة ١٩٦٦ مقال فى إحدى الصحف الروسية للكاتبة نيديليا ، حيث تذكر فيه جزءاً مما ذكره سيدنى ريلى عن نفسه . ويدل ظهور ذلك المقال الذى جاء تحت عنوان « **المياه المُنْزَعِجَة** » ، بالترجمة

الحرفية ، أن مَلَف سيدنى ريلى لايزال متواجداً لدى الروس ، لكنهم لا يريدون التصريح بكل ما يحمله ذلك الملف من حقائق قد تقلل من شأن جهاز المخابرات السوفيتية ..

◀ **ماذا قال سيدنى ريلى عن نفسه ؟**

ذَكَرَ سيدنى ريلى عن نفسه فى ذلك المقال ، أنه وُلِدَ فى سنة ١٨٧٤ فى مدينة كونيمارا بايرلندا !!. وأن حياته العملية قد بدأت فى ميناء أرثر بالشرق الأقصى ، كعامل بشركة أخشاب « جرونبرج وريلى » . وفى نفس الميناء ، استطاع مع الوقت أن يصبح مديراً للشركة الدانمركية الأسيوية الشرقية لأخشاب السفن .

وعقب انتهاء الحرب الروسية ـ اليابانية ، اشتغل ريلى بشركة أخشاب « ميندروتشوفيتش وشوبرسكى » ، واستطاع من خلال عمله بتلك الشركة الروسية أن يساهم فى إمداد الجيش الروسى بالذخيرة . كما استطاع أن يتقاضى عمولات كبيرة فى نفس الوقت من الشركة الألمانية لأخشاب السفن « بلوهم وفوس » ، والتى كانت تساهم هى الأخرى فى إعادة بناء السفن الحربية الروسية .

كل ذلك النشاط التجارى الدولى « الغريب » الذى قام به سيدنى ريلى ، والذى بَرَزَ من خلاله إلمامه الواضح بالأسلحة والذخائر ، إلى جانب إتقانه لعدة لغات عالمية ، قد شد إليه انتباه المخابرات الإنجليزية ، والتى سعت إلى تجنيده لصفها ، ونجحت بالفعل فى ذلك .

وقد ظهر أكبر نشاط لريلى كجاسوس إنجليزى ، فى السنوات

الأخيرة من الحرب العالمية الأولى ، حيث استطاع أن ينضم بحِيَلِهِ الماكرة إلى صفوف البحرية الألمانية ، وأن يمد الإنجليز بأدق أسرار الجيش الألمانى .

وفى سنة ١٩١٨ ، كلفته المخابرات الإنجليزية بمهمة أخرى . ففى تلك الفترة أرادت انجلترا أن تستفيد من المؤامرات والمظاهرات التى ظهرت فى روسيا لتغيير نظام الحكم .

فكان سيدنى ريلى هو أحد المتآمرين البارزين ، الذى استطاع أن يُوجد مزيداً من العداء والكراهية ضد الحكومة الروسية ، بناء على تعليمات المخابرات الإنجليزية ، وأن يسقط حكومة بولشيفكسى المعادية للإنجليز فى تلك الفترة . هكذا ظهر لسيدنى ريلى دور فعّال فى مجرى السياسة العالمية ، من خلال عمله بالجاسوسية .

وفيما يبدو أن الصدمة القديمة التى واجهها ريلى ، حين اعترفت له أمه بحقيقة جنسيته ، قد ولّدت فى نفسه ، تلقائياً ، الرغبة فى الانتقام من روسيا بأكملها ..



لورنس العرب



الجاسوس الخائن لثقة العرب وصداقتهم

لورنس العرب

من أبرز جواسيس الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) هو ضابط المخابرات الإنجليزية توماس إدوارد لورنس ، ذلك الجاسوس الذى لا يمكن أن ينساه العرب ، وصاحب الأسطورة الشهيرة « لورنس العرب » .

ولورنس هو فى الأصل من دارسى الآثار ، وسافر أكثر من مرة ، بعد الانتهاء من دراسته الجامعية ، إلى البلاد العربية مثل العراق والشام والحجاز ، لإعداد دراسة عن الآثار العربية . وأحبّ لورنس الحياة العربية إلى حد كبير خاصة حياة البدو فى الصحراء ، فتعلق بالعرب أثناء سفرياته وعاش بينهم ، وتعلّم لغتهم ، وألمّ بعاداتهم وتقاليدهم ، وأصبح كأنه واحد منهم ، وكان الحب متبادلاً ، فأحبه العرب ووثقوا به .

أدت تلك الصداقة القائمة بين لورنس والعرب ، علاوة على إجادة لورنس للغة العربية ، إلى لفت أنظار رجال المخابرات البريطانية إلى لورنس ، ففكروا فى الاستفادة منه فى التجسس على العرب ، ونجحت المخابرات البريطانية فى تجنيد لورنس لصفوفها ويرجع الفضل الأكبر فى ذلك إلى أحد أصدقاء لورنس الذى كان عضواً سرياً فى جهاز المخابرات البريطانية . وفى الحقيقة أن لورنس كان هو الآخر يفكر فى خيانة العرب واستغلال صداقتهم له ، وإجادته للغة العربية ، فى التجسس عليهم والتدخل فى مصالحهم لصالح

بلاده ، فها هى الفرصة قد جاءته .. قام لورنس بعمليات كثيرة فى البلاد العربية لخدمة مصالح بلاده . كان منها انضمامه لإحدى المنظمات الإنجليزية السرية فى القاهرة التى كانت تهدف إلى تخريب مصر والبلاد العربية وإثارة السخط على الأتراك فى ذلك الوقت ، حتى تستطيع إنجلترا أن تتخلص من حكم الأتراك ، وتحكم قبضتها على البلاد العربية .

ولكن كانت أكبر مهمّة قام بها لورنس لخدمة مصالح إنجلترا ، والتى دلّت على خيانته الكبيرة لصداقة العرب وثقتهم به ، هى تلك المهمة التى قام بها فى أرض الحجاز (السعودية) بتكليف من المخابرات الإنجليزية ، وذلك فى سنة ١٩١٦ . ففى تلك الفترة كانت الجيوش الإنجليزية قد بدأت تزحف على الحجاز وبعض الدول العربية بشكل واضح ، وتحاول بشتى الطرق التخلص من حكم الأتراك ، حتى تفرض استعمارها على تلك المناطق . فاستعانت بلورنس لمساعدتها فى تحقيق ذلك الغرض .

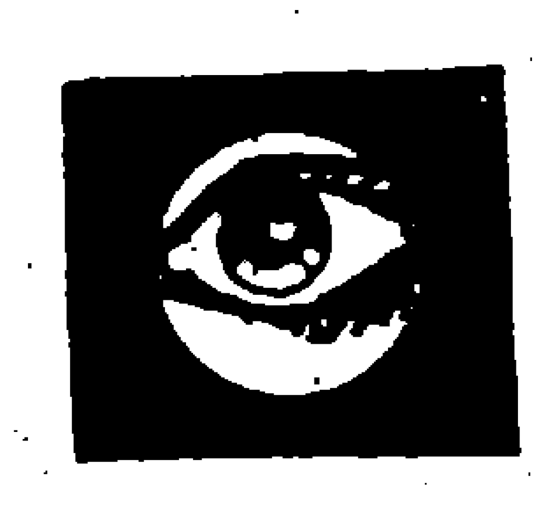
فسافر لورنس إلى الحجاز ، وأمضى هناك فترة طويلة من الوقت ، استطاع خلالها أن يتودد إلى القبائل العربية ، وأن يستعيد صداقتهم وثقتهم به ، ثم بدأ يحرّضهم على الثورة ضد الأتراك ، والتحالف مع الجيش الإنجليزى للتخلص من حكمهم ، مقابل أن يضمن لهم بعد التخلص من الحكم العثمانى إنشاء دولة عربية موحدة من الفرات إلى اليمن . فقبل العرب ذلك العرض الذى قدمه لورنس لهم نيابة عن الإنجليز ، وتم الاتفاق بين الطرفين فى معاهدة رسمية وقع عليها المندوب البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت .

وبعد أن نجح الإنجليز فى التخلص من الأتراك بفضل مساندة العرب لهم ، تنكّر الإنجليز تماماً لما اتفقوا عليه مع العرب ، فبدلاً من أن يضمنوا للعرب إنشاء تلك الدولة المزعومة ، قامت إنجلترا بالاشتراك مع فرنسا بتجزئة البلاد العربية واستعمارها . فكانت العراق والأردن وفلسطين من نصيب إنجلترا ، واستعمرت فرنسا سوريا ولبنان .. ذلك الاستعمار الذى امتد لسنوات طويلة والذى فرق شمل العرب ووحدتهم .

بعد انتهاء الحرب وعودة لورنس إلى إنجلترا ، كرمته الحكومة بمنحه وسام الحرب ، لكنه ظل يشعر بالأسف خلال أيامه الأخيرة على خيانته للعرب .. وقد أعرب عن ذلك فى مذكراته التى تضمنها كتابه الشهير أعمدة الحكمة السبعة .

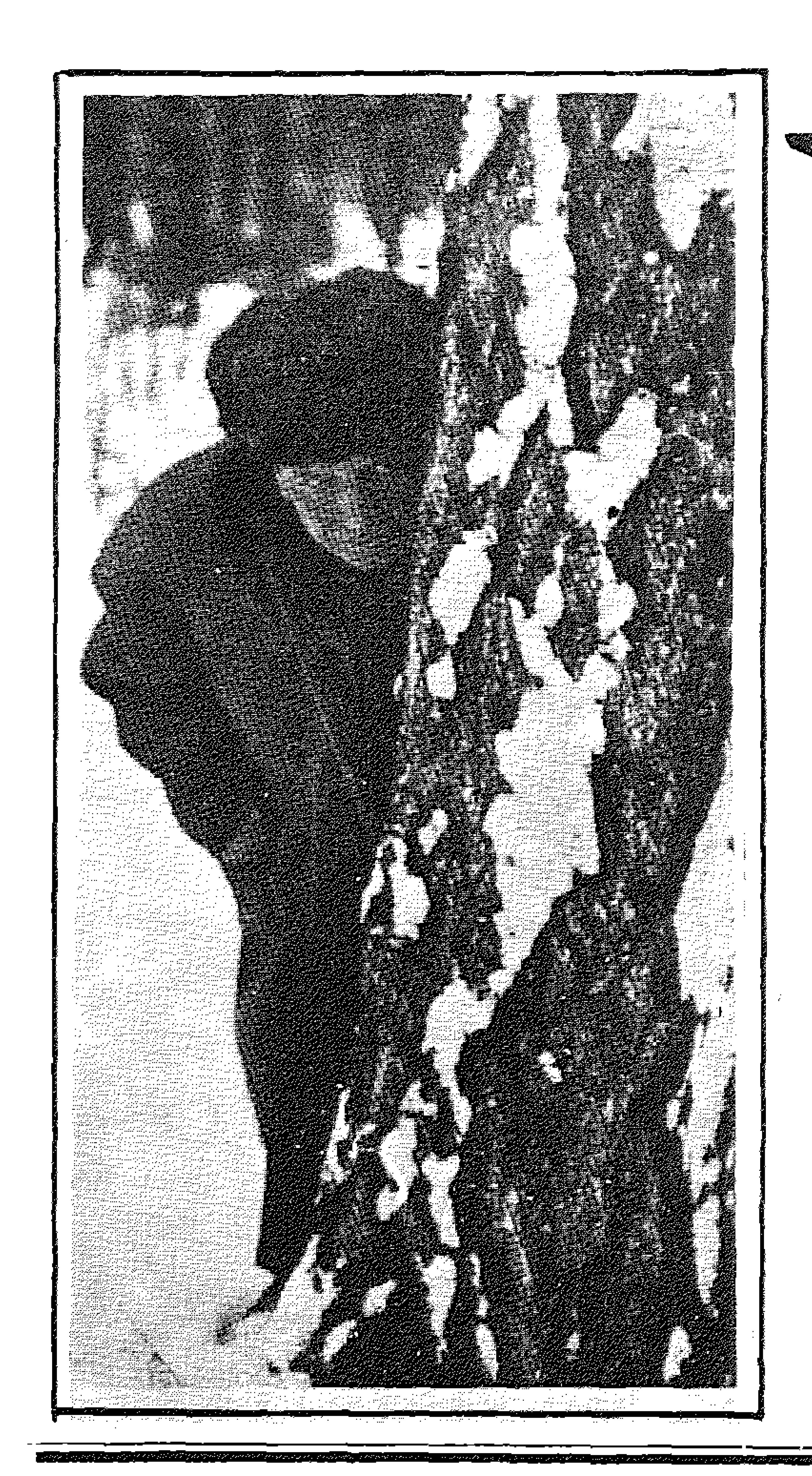
ولم يعش الخائن طويلاً بعد عودته إلى إنجلترا ، ونال جزاءه المحتوم ..

فمات بعد ثلاثة سنوات من انتهاء الحرب فى حادث سيارة !..



كيم فيلبى

اسم لا تنساه المخابرات البريطانية



صورة حديثة لكيم فيلبى ، التقطها له ابنه فى روسيا

كيم فيلبي

كيم فيلبي .. هو اسم لا يمكن أن تنساه مخابرات بريطانيا ؛ فقد كان عضواً بارزاً فى جهاز المخابرات البريطانية ، وموضع ثقة الجميع ، وبالرغم من ذلك استطاع أن يخدع الإنجليز لفترة طويلة من الزمان ، كان يقوم خلالها بنقل أسرارهم إلى روسيا . ولم تعرف المخابرات البريطانية حقيقة تلك الخيانة ، التى استمرت لأكثر من عشرين عاماً ، إلّا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .. فكانت وصمة عار فى حق جهاز المخابرات البريطانية ، لا يمكن أن تُنسى .. والذى حاول جاهداً تكتم أمر تلك الخيانة ، حتى يحتفظ بمكانته بين دول العالم .

◄ **من هو كيم فيلبى ؟**

كيم فيلبى هو انجليزى الجنسية ، ولد فى عام ١٩١٢ بالهند ، حيث كان يعمل والده فى الخارجية البريطانية بالهند .

ومن أهم العوامل النفسية التى أثرت فى شخصية فيلبى أثناء طفولته والتى ربمّا جعلته ينجذب للعمل بالجاسوسية ، هى معاملة أبيه القاسية له ؛ فربما كان اشتغال فيلبى بالجاسوسية ، بعد ذلك ، يحقق له الرغبة فى الانتقام مما لاقاه فى طفولته .

وعندما عاد فيلبى إلى انجلترا واستكمل دراسته ، بدأت ميوله

تتجه إلى العمل بالصحافة ، فالتحق بالجامعة فى هذا التخصص ، وتخرج ليعمل بالصحافة ، واستطاع أن يحقق نجاحاً وشهرة كبيرة من خلال ذلك العمل .

◀ ***ميوله الشيوعية :***

وفى الحقيقة أن فيلبى لم يكن محباً لوطنه انجلترا وسياستها على الإطلاق ، ربما لما تأثر به من والده ، لكنه كان يميل إلى النظام الشيوعى ويؤمن به إلى حد كبير ، مما دعاه إلى اعتناق الشيوعية . لكنه كان دائماً حريصاً على إخفاء ميوله الحقيقية ، والتظاهر بحب الوطن .

وكانت رحلة فيلبى التى قام بها إلى باريس مع زوجته فى سنة ١٩٣٥ ، هي المرحلة التى عبر خلالها فيلبى عن ميوله الشيوعية تعبيراً واضحاً ، ففى أثناء تلك الرحلة ، توطدت علاقته بالروس فى باريس ، وانضم فى خفاء إلى إحدى المنظمات الشيوعية ، إلى أن اجتذبته المخابرات السوفيتية للعمل لحسابها .

◀ ***الخيانة الخفية :***

وبعد عودة فيلبى من باريس ، استطاع أن يلتحق بوظيفة فى جهاز المخابرات البريطانية ، كانت تختص بمجال مكافحة التجسس الدولى . واستطاع فيلبى من خلال عمله بالمخابرات أن يقوم بنقل الكثير من المعلومات السرية إلى الروس . وبالرغم من تلك الخيانة الخفية ، كان فيلبى فى عمله موضع إعجاب وتقدير الجميع ، فاعتلى بسرعة عدة مناصب متلاحقة ، حتى كاد أن يصبح فى منصب رئيس المخابرات البريطانية !

وفى سنة ١٩٤٩ ، شغل فيلبى منصب سكرتيز أول السفارة البريطانية فى أمريكا . وبالرغم من حرصه الشديد على إخفاء ميوله الشيوعية ، إلّا أن تلك الفترة التى عمل بها فى أمريكا ، كانت البداية لانكشاف أمره فى التواطؤ مع الروس والعمل لحسابهم ، بعد أن شكت المخابرات الأمريكية فى أن فيلبى يقوم بنقل بعض أسرار البلاد للروس من خلال عمله .

وفى سنة ١٩٥١ ، طُرِدَ فيلبى من أمريكا ، وعاد إلى انجلترا . لكنه لم يتمكن من الالتحاق بعمله القديم فى انجلترا ، بعد أن فُصِلَ منه بسبب ما أُشيع عنه خلال عمله فى أمريكا . وبدأ التحقيق مع فيلبى لمعرفة حقيقة ما بداخله .

◄ مراقبة فيلبى :

بالرغم من التحقيق الذى أُجرى مع فيلبى فلم يتمكن المسؤلون من إدانته بالجاسوسية من خلال عمله بالمخابرات البريطانية ، ولم تسفر نتائج التحقيق إلّا عن مجرد الشك فى ذلك الأمر .

مما دعا رجال المخابرات إلى التفكير فى طريقة محكمة تمكنهم من حسم أمر ذلك الرجل .

فهيأوا الفيلبى وظيفة صحفية « حسّاسة » فى الشرق الأوسط ، حتى يتمكنوا من خلال متابعتهم له فى ذلك المنصب معرفة مدى علاقته بالروس . فاشتغل فيلبى كمراسل صحفى فى بيروت لإحدى الصحف البريطانية .

ومن خلال ذلك العمل ، استطاع فيلبى جمع معلومات هامة عديدة عن الحكومة والجيش البريطانى ، كان يقوم بتسليمها إلى

الروس . لكن لم يدم ذلك طويلاً بفضل المراقبة المستمرة التى خضع لها فيلبى أثناء تواجده فى بيروت ، والتى كانت كفيلة بانكشاف أمره وإدانته بالجاسوسية .

لكن لم يتم تسليم فيلبى إلى بريطانيا ، باعتباره على أرض أجنبية تعطى له الحق فى البقاء عليها .

◀ *الهروب إلى روسيا ..*

لكن أيضا لم تدم إقامة فيلبى فى بيروت لفترة طويلة ، بعد انكشاف أمره ، وبعد أن فقد دوره فى النضال من أجل مبادئه الشيوعية التى آمن بها . فَهَرَبَ فيلبى من بيروت إلى روسيا فى خفاء ، تاركاً وراءه غموضاً كبيراً حول أمر اختفائه ، حتى استطاعت المخابرات البريطانية أن تستدل بعد ذلك على وجوده فى روسيا .

وفى روسيا ، كان الترحيب بفيلبى ، الذى قدم للروس أجل الخدمات ، ترحيباً بالغاً . فمُنح فيلبى حق اللجوء السياسى ، ومنحته الحكومة منزلاً فاخراً للإقامة فى روسيا والتى استمرت على الدوام . وتزوج فيلبى فى روسيا من فتاة روسية صغيرة فى عمر بناته ، والتى تعتبر الزوجة الرابعة ، بعد طلاق زوجاته السابقات .

ويقال أن تلك الفتاة الروسية الساحرة الجمال كانت من ضمن ما كافأه الروس به على خدماته الجليلة لهم ؟!

ريتشارد سورج



الجاسوس الذى كرّمته روسيا فى سنة ١٩٦٥
بإصدار طابع تذكارى له .

ريتشارد سورج

كانت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) حرباً عالمية بمعنى الكلمة وقد فاقت فى أهوالها ومآسيها الحرب العالمية الأولى . فكانت أوسع نطاقاً وأكثر تحركاً . وساعدت الدبابات والطائرات و « الباراشتات » على انتقال الجيوش بخفة وسرعة من مكان إلى مكان . لذلك كان للحصول على معلومات مسبّقة عن نوايا العدو دور هام وفعّال فى تلك الحرب ، وكان ذلك عن طريق الجاسوسية .

ومن أبرز الجواسيس فى تلك الفترة هو ريتشارد سورج ، الذى عمل بالجاسوسية لفترة طويلة تمتد إلى ما قبل الحرب . وسورج هو صحفى ألمانى كان يعمل فى اليابان ، وهو شخصية اجتماعية إلى حد كبير ، وكان محبّاً لإقامة الحفلات والسهرات مما وطّد علاقته بمعظم المسئولين اليابانيين .

وفى نفس الوقت ، جذبت مقالاته فى الصحف أنظار القادة الألمان فى الشرق الأقصى ، فأعجبوا به ، ووثقوا فيه . لكنهم لم يدركوا حقيقة سورج ، فكان شيوعياً يتجسس لحساب الروس ، وكان رئيساً لشبكة سرية فى طوكيو مكونة من خمسة أعضاء من الشيوعيين .

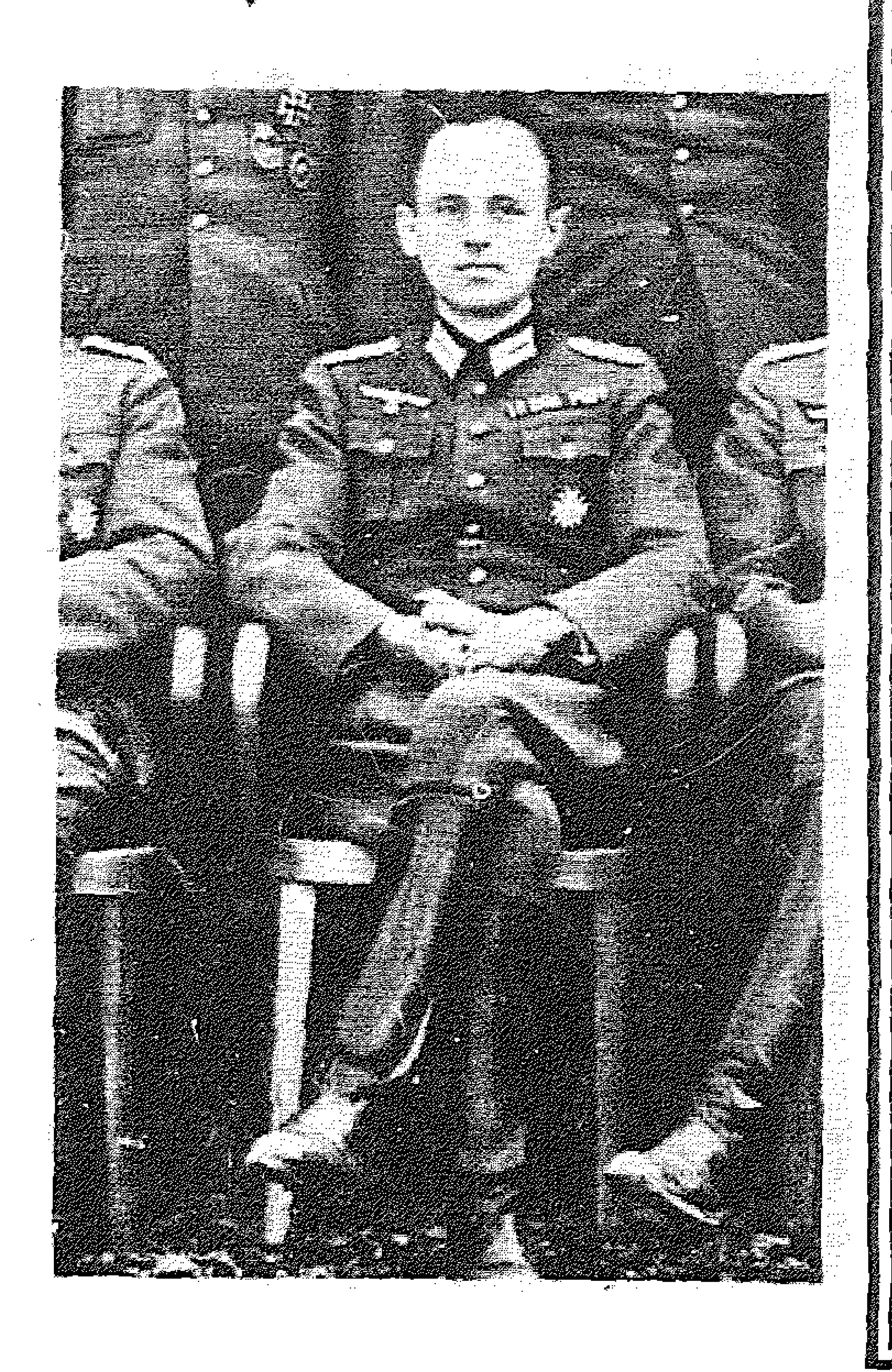
فمنذ سنة ١٩٣٥ وحتى إلقاء القبض عليه فى أكتوبر ١٩٤١ ، استمر سورج وأعضاء شبكته فى نقل الأسرار الحربية إلى موسكو

عن طريق مندوبين له ، وبواسطة جهاز إرسال زوّده به الروس .
كانت المعلومات التى نقلها سورج للروس تتعلق بنوايا كل من اليابان وألمانيا تجاه الروس ، ومدى إمكانية كل منهما فى الاستمرار فى الحرب ، من خلال وصف لأعداد وأنواع القطع الحربية التى يمتلكها كل من البلدين ومن خلال وصف للحالة الاقتصادية والروح المعنوية للشعب فى اليابان وألمانيا . كذلك كان لسورج دور فى الحرب القائمة فى المحيط الهادى بين أمريكا واليابان ، فاستطاع أن ينقل للروس بعض المعلومات عن القاعدة البحرية الأمريكية فى خليج بيرل فى المحيط الهادى ، والميعاد الذى حددته اليابان لمهاجمة تلك القاعدة .

وفى سنة ١٩٤١ ، ألقت السلطات اليابانية القبض على سورج وأعضاء شبكته ، بعد أن استطاعت التقاط بعض الإشارات اللاسلكية التى وجّهها أحد أفراد الشبكة للروس . وبعد ثلاثة سنوات من القبض على سورج نُفذ فيه الحكم بالإعدام .

وتقديراً للخدمات الجليلة التى قدمها سورج للروس أثناء الحرب ، قامت روسيا فى سنة ١٩٦٥ ، بإصدار طابع تذكارى لسورج تخليداً لذكراه وعرفاناً بالجميل لدوره فى مساندتها أثناء الحرب ... ذلك الدور الذى لا يمكن أن تنساه المخابرات السوفيتية حتى الآن ..

رينهارت جهلن



الجاسوس الذى رأسَ أكبر منظمة للتجسس فى ألمانيا

رينهارت جهلن

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قسّم الحلفاء ألمانيا إلى قسمين ـ الشرقية، والغربية ـ واستقر الحلفاء الروس فى الشرق ، بينما استقر الإنجليز والفرنسيون والأمريكيون فى الغرب . وبدأ الصراع من جديد بين تلك القوى فى حرب كانت تسمى « الحرب الباردة » ، فقد كانت حرباً بعيدة عن استخدام العنف والسلاح ، فكانت وسيلتها هى استخدام الجاسوسية واستغلال حصانة الدبلوماسيين .

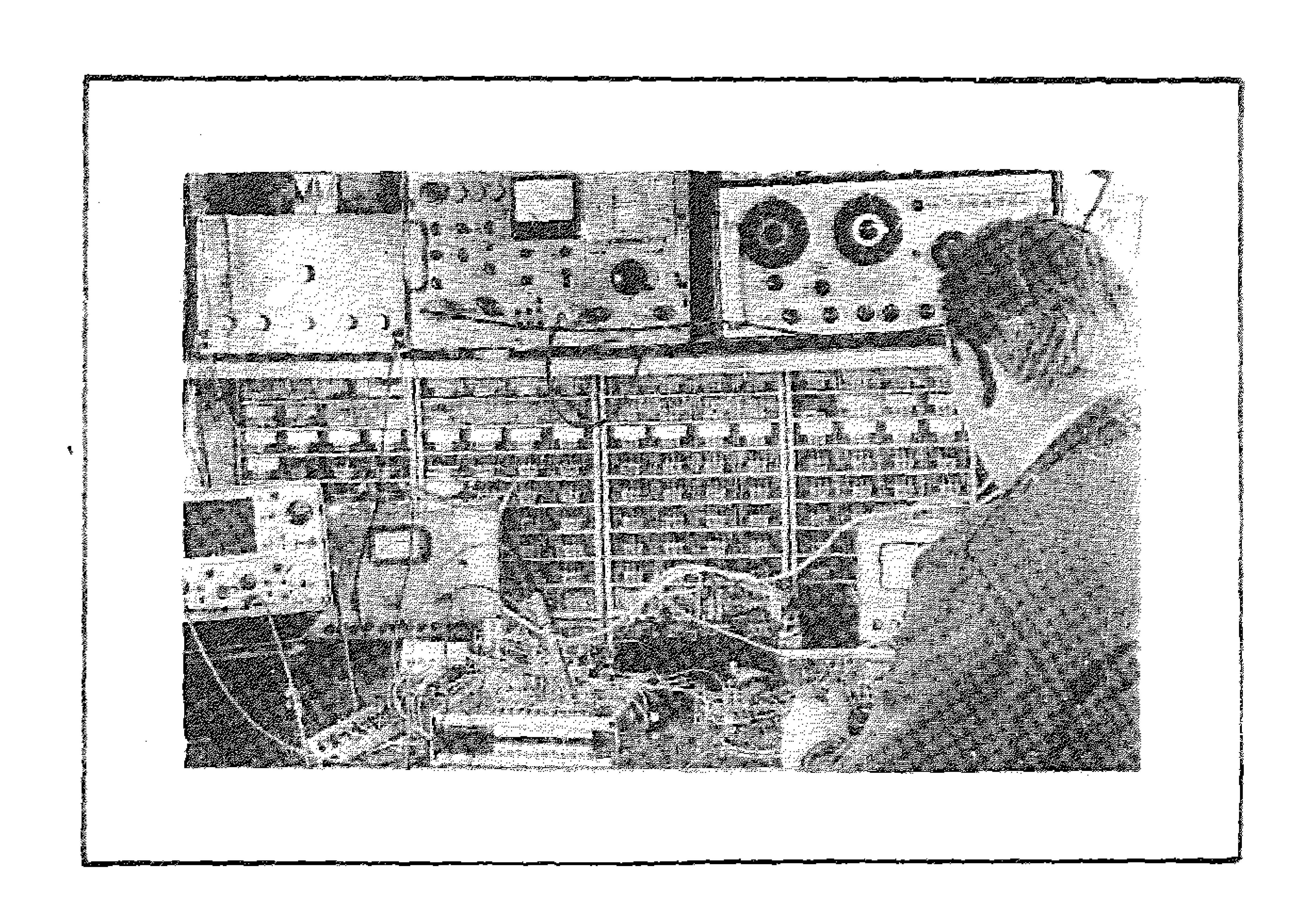
فسعى الألمان ، على الأخص ، بعد انتهاء الحرب إلى تجنيد أكبر عدد من الجواسيس من بلاد العالم المختلفة كان أغلبهم من السفاحين واللصوص الذين استخدمهم الألمان لجلب المعلومات السرية عن منافسيهم من الدول الأخرى .

وكان من أبرز جواسيس تلك الفترة هو الجاسوس رينهارت جهلن ..

وكان جهلن هو أحد الرجال البارزين أثناء الحرب العالمية الثانية فى مخابرات هتلر . وقد تخصص فى التجسس على روسيا وأوروبا الشرقية . وبعد انتهاء الحرب استطاع الأمريكيون اصطياد جهلن تمهيداً لمحاكمته ، ولكن تمت مقايضة بين جهلن والأمريكيين ، فأطلق الأمريكيون سراحه مقابل أن يمدهم بالوثائق السرية التى جمعها أثناء فترة عمله بالجاسوسية ، وأن ينضم للعمل لحسابهم .

وفى سنة ١٩٤٦ ، عاد جهلن إلى ألمانيا وبدأ نشاطه التجسسى ينمو بدرجة فائقة ، فاستطاع خلال عشرة سنوات أن يكون منظمة خاصة للجاسوسية بمساعدة جهاز المخابرات الأمريكية CIA ، الذى كان قد تم تكوينه حديثاً ، والذى أمد منظمة جهلن بمبالغ طائلة ، قدرت بحوالى ٢٠٠ بليون دولار !

وقد تمركزت منظمة جهلن فى بُلاخ بالقرب من ميونخ ، وكانت تُعد واحدة من أكبر منظمات التجسس ، فكانت تحتوى على ٤٥ قسماً لأعمال الجاسوسية ، وأدارت لحسابها عدداً كبيراً من الشركات الوهمية فى بلاد مختلفة لتخفى وراءها نشاطها التجسسى ، وكان من ضمن تلك الشركات شركة لإنتاج الشبابيك الحصيرة !.



حجرة اللاسلكى فى منظمة جهلن ، والتى استطاع من خلالها الاتصال بالآلاف من الشخصيات البارزة من عملائه فى دول الشرق الشيوعية .

وقد قامت المخابرات الأمريكية CIA بالتعاون مع منظمة جهلن بعمليات كثيرة للتجسس كانت على درجة فائقة من المهارة . وكان أبرز تلك العمليات هى عملية شبكة التليفونات .

ففى سنة ١٩٥٥ ، كان الأمريكيون يقومون ببناء محطة جديدة للرادار فى ضاحية رودو بألمانيا الشرقية . فقام رجال المخابرات الأمريكية بمساعدة خبراء من منظمة جهلن بحفر شبكة للتليفونات فى تلك المنطقة بلغ طولها ٦٠٠ متر ، لتكون على اتصال بخطوط التليفونات الرئيسية لألمانيا الشرقية .

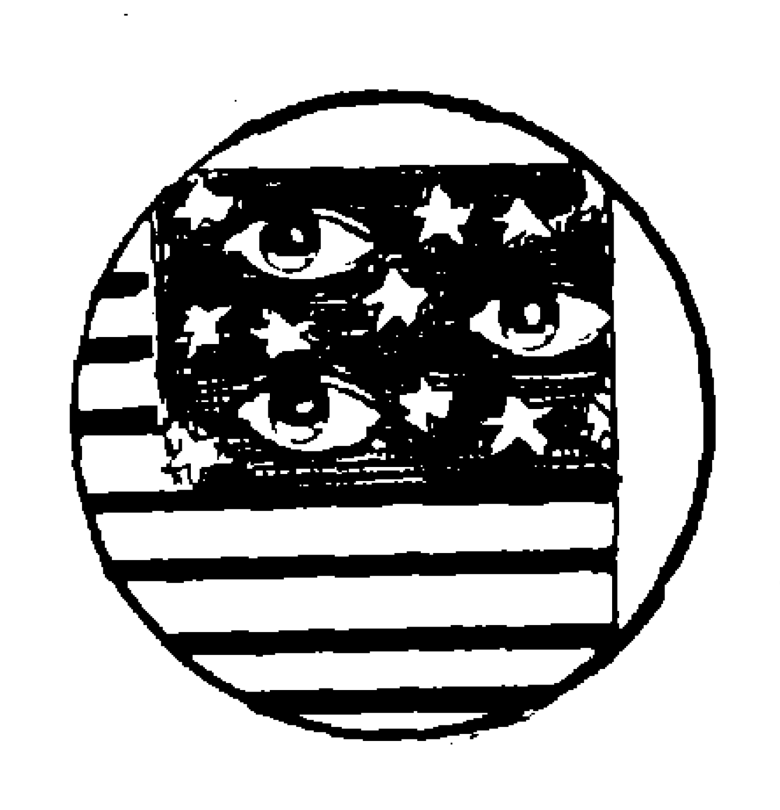
وأزيح أثناء الحفر ملايين الأطنان من التراب ، حملها رجال الجيش الأمريكى المتنكرون بالعربات الشاحنة بعيداً عن منطقة الحفر .. فكان حقاً عملاً غريباً وباهراً ..

وقد زُودت شبكة التليفونات بأجهزة حديثة للتسجيل وتكبير الصوت . فكان يمكن للسويتش أن يلتقط بوضوح ٤٣٢ محادثة فى وقت واحد .

ظلت « الشبكة » تعمل لتسعة أشهر ، استطاع خلالها الأمريكيون التقاط كل ما يدور من محادثات بالخطوط الرئيسية الدولية لتليفونات ألمانيا الشرقية ، وكان أهمها خطوط الاتصال مع الاتحاد السوفيتى .

لكن فى ٢٢ أبريل ١٩٥٦ ، استطاع الروس اكتشاف طرف الشبكة الموجود تحت الأرض وبمحض الصدفة ، بعد أن لاحظوا

أن الجليد فوق تلك المنطقة يذوب بسرعة ، وكان ذلك بفعل أنابيب التدفئة الموجودة داخل الشبكة . ويقال إن الجاسوس جورج بليك ، هو الذى أفشى سر تلك الشبكة إلى الروس . ومنذ ذلك الوقت انتهت مهمة الشبكة وكان عملاً مخجلاً تنكر له الأمريكيون .



كلارا بتاتشى
(عشيقة موسولينى المخلصة)

◄ موسولينى وكلارا ..

فى تلك الليلة لم يذق موسولينى طعم النوم ، بعد أن جاءته أنباء عن وصول قوات الحلفاء إلى صقلية واستعدادهم للانتقال إلى جنوب إيطاليا . فأصبح عليه أن يواجه الحلفاء بقواته المحدودة ، أو أن يساومهم ويخرج من الحرب قبل أن تضيع إيطاليا بأكملها .. لم يدر موسولينى ماذا يفعل ، أو كيف يتصرف بعد سماعه لذلك النبأ المفزع . وأخيراً قرر الذهاب إلى عشيقته كلارا بتاتشى وموضع أسراره ، ليشاورها فى الأمر ، لعلها تستطيع أن تخفف عنه شيئاً من توتره فى تلك الليلة ! ولا عجب فى ذلك ، فكانت كلارا بتاتشى ليست مجرد عشيقة لموسولينى ، لكنها كانت فى نفس الوقت الصدر الجنون الذى يلجأ إليه موسولينى بعظمته وهيمنته ، كالطفل الصغير كلما ضاقت به الأمور ..

ذهب موسولينى بسيارته إلى الفيلا الهادئة التى اشتراها لكلارا بتاتشى على بعد بضعة أميال من العاصمة . وما أن دخل الفيلا ورأى كلارا فى استقباله ، حتى أسرع نحوها فى شوق ولهفة ، ومضت دقائق ، أحس بعدها موسولينى بارتياح بالغ ، ثم بدأ يستغرق معها فى الحديث عن قدوم الحلفاء ، فقال لها : « إن إيطاليا لن تستطيع أن تواجه الحلفاء وحدها ، وأنه لا أمل فى أن

يصل المدد الألمانى فى الوقت الحالى ، وأن قواد هتلر يصرون على تولى الدفاع عن إيطاليا بدلاً من إمدادنا بالمدد السريع ، وقد رفضت هذا الاقتراح لأنه يصف الجيش الإيطالى بالضعف والعجز عن الدفاع عن بلاده » فقالت كلارا « إذن هى النهاية ؟ » .. فرد عليها موسولينى « يبدو ذلك .. » .

ومضت فترة من الصمت والأسف . استطردت بعدها كلارا الحديث قائلة « ولم لا تقابل هتلر وتوضح له كيد قواده ؟ » .

فرد موسولينى قائلاً « فكرة لا بأس بها » .. ثم خرج مسرعاً إلى سيارته .

◀ *اللقاء الحاسم .. بين هتلر وموسولينى ..*

اتصل موسولينى بهتلر ، وتم تحديد موعد اللقاء . وكان ذلك عند « مضيق برنر » .. وهو مكان عند الحدود بين إيطاليا وألمانيا . وتم اللقاء فى منزل بقمم الجبال .. كان الزعيمان قد اعتادا على اللقاء فيه أكثر من مرة لبحث قضاياهما المشتركة . طلب موسولينى من هتلر أن يسارع بإمداده بعشرة فرق ألمانية حتى تساعد الجيش الإيطالى فى التصدى لقوات الحلفاء . فى بادىء الأمر ، رفض هتلر طلب موسولينى قائلاً له : « مادمت غير قادر أنت وقواتك على الدفاع عن بلادك ، فلتترك هذه المهمة لنا ، وتتفرغ للشئون السياسة » .

لكن موسولينى رفض بشدة اقتراح هتلر الذى يضعف من شأنه هو وقواته . لكن بعد فترة من المناقشات ، وافق هتلر على أن يمد يد المساعدة لموسولينى ، ويرسل له عدداً من الفرق الألمانية فى

أقرب فرصة ، فقد خشى هتلر أن يضطر موسولينى إلى الاستسلام والتفاوض مع قوات الحلفاء .. وهى نفس رغبة الملك فيكتور عمانويل ورغبة معظم أبناء إيطاليا ..

◀ *العودة إلى روما ..*

أحس موسولينى بارتياح كبير بعد موافقة هتلر على إرسال المدد ، وتوجه إلى سيارته عائداً إلى روما . وكان برفقة موسولينى أثناء رحلته سائقه الخاص ، ومساعده « دانونزيو » ، وسيارة أخرى كانت ترافقه لحراسته أثناء الطريق .

سار موسولينى بسيارته وخلفه سيارة الحراسة ، وبعد بضعة أميال شاهد سائق السيارة مجموعة من الحجارة الضخمة فى منتصف الطريق ، فاضطر للوقوف بالسيارة ، بعد أن اعتقد أنه يجرى بعض الإصلاحات بالطريق . لكن الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق . فلم تمض سوى دقائق معدودة ، حتى ظهر أمام السيارتين مجموعة من الرجال يتزعمهم رجل أعور العين اليسرى ، وقد وضع على عينه غطاء أسود امتد من رأسه حتى أذنه . وراح الرجال يطلقون النيران على السيارتين ، فقتلوا كل الحراس بالسيارة الثانية ، أما موسولينى ومساعده « دانونزيو » ، فاستطاعا أن يهربا من السيارة ويختبئا خلف الأشجار .

حدث فى ذلك الوقت مفاجأة أخرى ، حين ظهرت عربة « خضار » يقودها بعض الفلاحين ، فذهب قائد العصابة الأعور هو وبعض رجاله ليتحرى أمر تلك العربة . لكنه لم يرجع مرة أخرى إلى مكان الحادث لا هو ولا رجاله ، فقد تشابك معه الفلاحون واستطاعوا قتله هو ورجاله .

وبعد أن انتهى القتال بين الفلاحين ورجال العصابة ، شاهد موسولينى عربة ألمانية تمضى بسرعة ويتدلى منها زعيم العصابة الذى قتله الفلاحون ..!

لم يفهم موسولينى أى شيء من كل ما جرى ، حتى توجّه إليه أحد الفلاحين يشرح له ما جرى ، وكان يتحدث باللغة الألمانية .. قال له الرجل « إن هتلر قد خشى أن تتربص بك عصابات المقاومة الشعبية أثناء عودتك ، فأرسلنا فى حراستك » ومضى موسولينى إلى سيارته لينطلق بها هو ومساعدة عائدان إلى روما ، وهو لايزال مندهشاً من كل ما جرى ، ويسأل نفسه ألف سؤال : فلو صَدَق ما ذكره الرجل له ، فكيف عرف هتلر أنه سيعود إلى روما من هذا الطريق ، مع أنه قد سلك طريقاً جانبياً غير الطريق الرئيسى ، حتى يتجنب عصابات المقاومة ، وحتى يضلل هتلر نفسه عن طريق عودته ؟!

◄ **هتلر يخدع موسولينى ..**

لم يصل موسولينى فى النهاية إلى إجابة مقنعة عن تساؤلاته ، ولم يحاول أن يفكر فى ذلك الموضوع أكثر من ذلك . لكنه بعد عودته إلى روما ، ذهب إلى عشيقته كلارا كعادته حين يشعر بالتوتر ، ليحكى لها ما جرى .

وأثناء حديث موسولينى مع كلارا ، جرت خادمتها إليها لتخبرها بقدوم رئيس البوليس السرى الذى يريد مقابلة موسولينى . ذهبت كلارا لاستقبال الضيف ، ثم انصرفت ، ليتحدث إلى موسولينى عما جاء إليه .

أسفر حديث رئيس البوليس السرى مع موسولينى عن مفاجآت أخرى حول الحادث الذى تعرض له ، والتى لم تخطر ببال موسولينى على الإطلاق . أولها ، أن زعيم العصابة الأعور ، لم يمت ، وأكّد ذلك لموسولينى، حين أخرج له من حقيبته صورة فوتوغرافية لذلك الرجل ، التقطت له بعد الحادث . ثانياً ، أن البوليس السرى استطاع أن يتوصل إلى السبب الحقيقى وراء تلك العصابة . فلم تكن العصابة تابعة للمقاومة الشعبية ، فأفراد العصابة هم رجال من منظمة الجستابو ، أرسلهم هتلر وراء موسولينى لقتله . وعندما فشل زعيمهم الأعور فى قتل موسولينى ، جاءت عربة الفلاحين ، وهم أيضاً من رجال المخابرات الألمانية ، للتخلص من زعيم العصابة ، قبل أن يتأزم الموقف وتظهر حقيقة تلك المؤامرة . لكن الألمان لم يقتلوا ذلك الرجل ، لكنهم ينوون ذلك عن قريب .

ولكن لم يستطع رئيس البوليس السرى ولا موسولينى نفسه أن يفسر الدافع لهذه المؤامرة .

لكن رئيس البوليس اعتقد أن هتلر قد رأى ضرورة التخلص من موسولينى خشية أن يسلّم للحلفاء ، بعد الحديث المتوتر الذى دار بينهما .

◄ *مفاجأة جديدة ..*

منذ ذلك اليوم ، لم يهدأ موسولينى فقد أدرك أن الخطر يتربص به ، وأن الألمان لم يثقوا به بعد ، وأنه مهدد بالقتل بين فترة وأخرى ، حتى ظهرت لموسولينى مفاجأة جديدة بعد عدة أسابيع من لقائه مع رئيس البوليس السرى .

فاتصلت به كلارا تليفونياً فى مقره برئاسة الوزارة ، وطلبت منه أن يرسل مساعده « دانونزيو » إلى الفيلا حتى يحمل إليه مفاجأة أعدتها له .

ذهب دانونزيو إلى كلارا ، وكان لقاء غير متوقع على الإطلاق . فاستقبلته كلارا بملابس مثيرة للغاية ، ثم قدمت له كأساً من الخمر وطلبت منه الجلوس إلى جوارها .

ثم قالت له : « لقد كرهت موسولينى .. كرهت أن أقضى حياتى مع ذلك العجوز البائس الذى اقتربت نهايته على يد الألمان . إنى أفكر جدياً أن أترك إيطاليا بأكملها ، وأهرب إلى ألمانيا . وأعيش حياتى مع شاب من سنى ، أحبه ويحبنى .. » .

لم يدر دانونزيو ماذا يفعل أو ماذا يقول ؟ وهو يواجه ذلك الموقف الذى لم يتوقعه على الإطلاق . فقد أدرك تماماً أن كلارا توجه حديثها له شخصياً ، وأنها تحاول إغرائه ، وتحفزه على الهرب معها إلي ألمانيا ، وقد صار ذلك واضحاً من نظراتها إليه ومن مقابلتها له فى هذه الليلة . فحاول دانونزيو أن يظل متماسكاً أمام إغرائها له ، حتى يحتفظ بعلاقته مع موسولينى ، لكنه لم يستطع أن يقاوم إغراء تلك المرأة ، التى كانت تُعدّ فى ذلك الوقت أجمل امرأة فى إيطاليا ، وخاصة بعد كاسات الخمر العديدة التى تناولها مع كلارا فى هذا الحديث الدافىء .. فبدأ يصرح لها بحقيقة نواياه ، فقال لها إنه هو الآخر يفكر فى الهرب إلى ألمانيا منذ زمن بعيد ، وترك إيطاليا التى بدأت تنهار فى الحرب ، وأنه من أشد المعجبين بشخصية هتلر وسياسته ، خاصة بعد موقفه الأخير مع موسولينى .

وما أن انتهى دانو نزيو من حديثه ، حتى عانقته كلارا ، وصرحت له بإعجابها الشديد به وبأنه ذلك الرجل الذى كانت تتمناه .

وتوالت كاسات الخمر كاساً بعد الآخر ، حتى بدأ دانونزيو يترنح بوضوح وهو يهذى بالكلام ، حتى غاب عن الوعى .

قامت كلارا بعد ذلك بتفتيش ملابس دانو نزيو ، فعثرت فى ملابسه على مسدس صغير ألمانى الصنع ، وعلى مفكرة صغيرة بها تواريخ سفر موسولينى والجهات التى سيقصدها وإلى جانب ذلك مجموعة أرقام تليفونية خاصة .

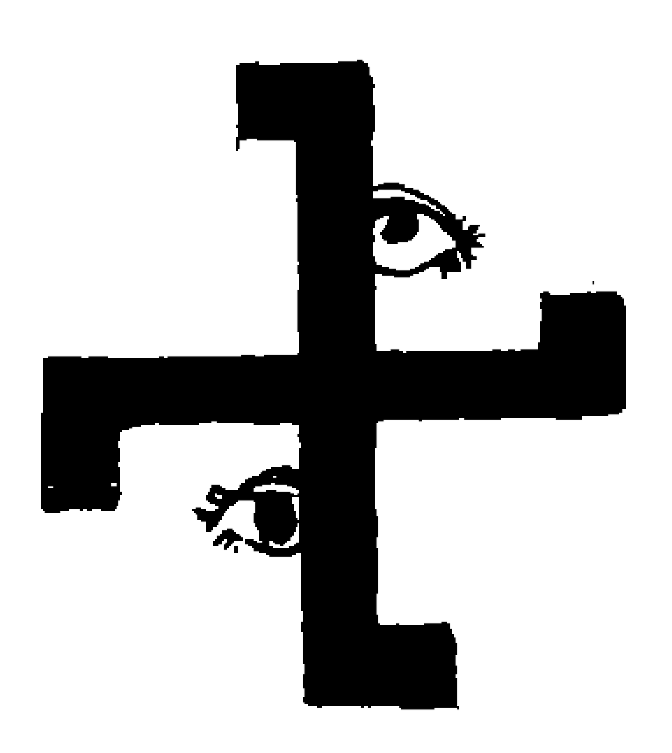
قامت كلارا بسرعة بنقل كل مواعيد المقابلات وأرقام التليفونات ، ثم أعادت المفكرة مرة أخرى إلى ملابس دانو نزيو . ثم قامت بالاتصال بموسولينى تليفونياً، وأخبرته بما صرح به مساعده ، وبما عثرت عليه معه .

ومضت فترة قصيرة ، جاء بعدها ضابطان إلى « الفيلا » من قبل موسولينى ، حيث قاما بالقبض على مساعده ، بعد أن صار واضحاً أنه عميل ألمانى . وفى نفس الليلة ، قام البوليس باقتحام جميع الأماكن التى وردت أرقام تليفوناتها بالمفكرة .

وأسفرت التحريات التى أجريت فى تلك الأماكن أن دانونزيو كان جاسوساً لهتلر وأنه أحد أعضاء منظمة كبيرة من الجواسيس ، والتى ظلت تعمل فى الخفاء لفترة طويلة لحساب الجستابو .

كان ذلك الكشف عن شبكة الجواسيس مفاجأة كبيرة أثّرت

بشدة فى نفسية موسولينى ، الذى أحس بعدها بالخيانة فى كل من حوله . لكنه لم يستطع أن يفعل الكثير .. فقام بخلع دانو نزيو من منصبه واستعان بمساعد آخر ، لكنه لم يستطع التخلص من باقى الجواسيس ، فبعد أن ألقى رجاله القبض عليهم ، اضطر للإفراج عنهم مرة أخرى بحجة حدوث خطأ من البوليس السياسى ، خشية إغضاب هتلر فى ذلك الوقت الحرج الذى بدأت فيه إيطاليا تنهار تدريجياً أمام الأعداء . وعاش موسولينى باقى أيامه فى أحضان هتلر وجواسيسه حتى لقى حتفه هو وعشيقته المخلصة .. كلارا بتاتشى .



الكولونيل كناريس

مدير مخابرات هتلر الذى تجسس على هتلر

تميزت حياة معظم الجواسيس بالغموض ، فلا يدرى أحد تفاصيلها على وجه التحديد ، ولكن ليس مثل حياة مدير المخابرات العسكرية الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، الكولونيل كناريس . فقد قال عنه الإنجليز إنه أمدّهم بأدق الأسرار أثناء الحرب ، بينما يدّعى آخرون أنه كان أخلص المخلصين ، وأنه قدم لألمانيا من خلال منصبه خدمات جليلة ، ويذكر هتلر عنه أنه كان خائناً ، واستحّق المصير الذى لاقاه . حتى نهاية ذلك الرجل لم يعرفها أحد على وجه التحديد ، فقد ذكر أن الألمان قد شنقوه لخيانته ، وذُكر أيضاً أنه قُتل فى أواخر الحرب ، بينما يدّعى آخرون أنه لم يمت ، وأنه ظل على قيد الحياة لفترة طويلة بعد انتهاء الحرب ..

لكن فيما يبدو أن كناريس كان مخلصاً وخائناً فى نفس الوقت ، فلا شك أن قدم خدمات جليلة لألمانيا ، وكان الصديق المخلص لهتلر والأمين على أسراره . لكنه بعد حركة التطهير التى قام بها هتلر ، حيث تخلّص من أبرز قواد الجيش ، بدأ كناريس يغير موقفه من هتلر بعد أن أحس بالدمار الذى ينتظر ألمانيا بسببه . فيذكر أن كناريس أرسل من قبله الجنرال « كليست » ليحرض الإنجليز على هتلر أثناء شروعه فى غزو تشيكوسلوفاكيا ،

فكانت مهمته أن يحفز الإنجليز على تهديد هتلر بالدخول فى الحرب إذا ما شرع فى هذا الغزو . لكن لم ينجح كليست فى مهمته ، ولم يستمع إليه الإنجليز .

ويذكر أيضاً أن كناريس زوّد الإنجليز أثناء الحرب بالكثير من المعلومات السرية مثل المعلومات التى كانت تتعلق بغزو النرويج ، وغارات السلاح الألمانى على بريطانيا .. لكنه يذكر أيضاً أن تلك المعلومات كانت زائفة حتى أن الإنجليز لم يأخذوا بها .

ويذكر أيضاً أنه كان لكناريس دور بارز فى تغيير مسار الحرب حين أخذ يتودد لصديقه الجنرال فرانكو ، ويحاول التأثير عليه حتى يظل على الحياد ، ويمتنع عن مساندة هتلر ، ذلك الدور الذى عزز من موقف الحلفاء بدرجة كبيرة . كذلك عندما بدأ هتلر يدبر لقتل الميجور فرانكو بعد ذلك ، رفض كناريس الاشتراك فى مهمة قتله ، مما أثار شكوك هتلر فيه .

ـ عزل كناريس ..

كانت الأشهر الأخيرة من خدمة كناريس كمدير للمخابرات العسكرية، هى الفترة التى بدأ هتلر يشك فيها فى سلوكه وفى أمانته . بدليل أنه عندما دعاه ليعرض عليه الموقف العسكرى فى الجبهة الروسية ، ذكر كناريس ما يعرفه ، لكن هتلر أحس من عرضه للموقف بشىء من المبالغة فى تقدير شأن القوات الروسية ، حتى يوحى له بضرورة التوقف عن الحرب .. فصاح فيه هتلر كالمجنون « هل تريد أن تقول إننى سأخسر الحرب ؟ » ، ثم قام بعد ذلك بعزله من الخدمة ، واختيار مدير آخر للمخابرات

العسكرية .. بعد أن أحس من حديثه بتواطئه مع الروس ، خاصة وأن هتلر قد جاءته أنباء قبل ذلك اللقاء عن اتصالات بعض رجال كناريس بالحلفاء وهروب بعضهم من الخدمة .

- *نهاية كناريس ..*

بعد محاولة الاغتيال الفاشلة التى تعرض لها هتلر ، حين وضعت قنبلة فى غرفة المؤتمرات ، ذلك الحادث الذى نجا منه هتلر ، بدأ الجستابو فى إلقاء القبض على المشتبه فيهم ، وكان من ضمنهم كناريس ، ولكن لم يكن هناك أى دليل على خيانته لهتلر أو تورطه فى ذلك الحادث .

لكن بعد انتحار أحد أصدقاء كناريس ، عثر رجال الجستابو فى خزانته عن بعض الأوراق من يوميات كناريس ، وكان فيها ما يدل على خيانته ، فبدأت محاكمته ..

وقد أكد « كلتنبرونر » - مدير المخابرات العسكرية الجديد - على خيانة كناريس ، حين ذكر أثناء استجوابه : « لقد توليت منصب مدير المخابرات العسكرية ، بعد أن اتجه الشك إلى أن كناريس كان يتعاون مع الأعداء لسنوات عديدة . وقد تأكدت بالفعل من خيانته » ، وكان يقصد عثوره على تلك الأوراق التى وجدت بالخز ة .

ويذكر أن كناريس شُنق بعد محاكمته وأحرقت جثته ، ولكن هناك إشاعات أنه تمكن من الهرب بدليل عدم العثور على جثته أو رمادها .

كذلك ذكرت المخابرات الفرنسية فى سنة ١٩٤٧ ، أن أحد

الجواسيس فى الأرجنتين قد عثر على كناريس يعيش متنكراً ، وأن قصة موته هى مجرد إشاعة قام هو نفسه باختلاقها .

ويذكر عن كناريس أنه قال أثناء تعذيبه فى السجن بعد محاكمته : «أموت فى سبيل بلادى ، مستريح الضمير .. فقد أديت واجبى نحو بلادى ، حين أردت أن أقاوم حمق هتلر الآثم ، الذى يقود ألمانيا إلى الدمار» ..



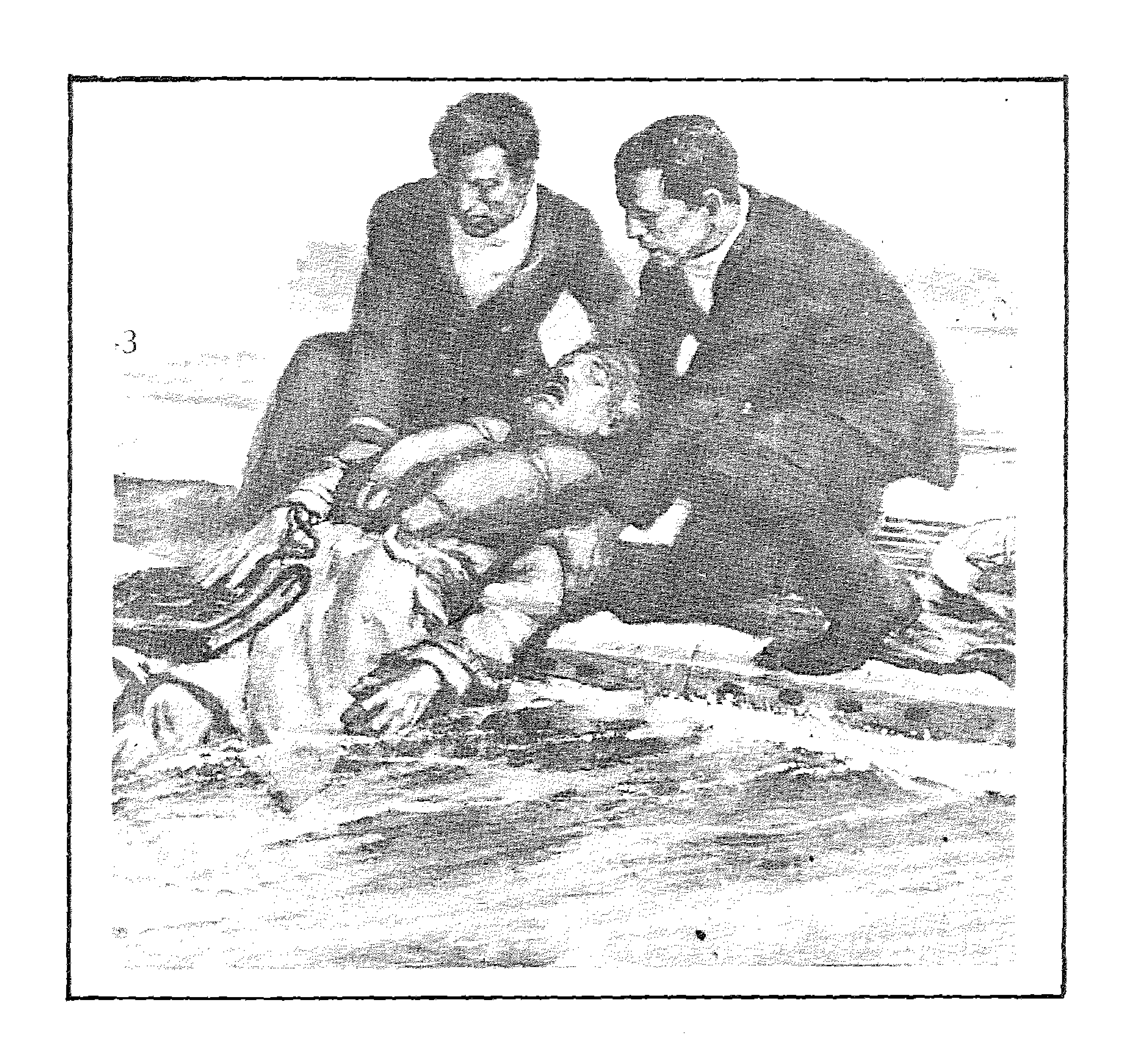
ميجور مارتن .. وعملية مينسيميت

فى سنة ١٩٤٣ ، كان الحلفاء قد استولوا على شمال أفريقيا ، وكانوا على استعداد لغزو أوروبا . وقرروا فى ذلك الوقت أن تكون جزيرة سيسيلى هى المكان الذى ستنزل به جيوشهم استعداداً لبداية غزوهم لأوروبا ، لكنهم كانوا يدركون فى نفس الوقت أن الألمان سيقومون بالدفاع عن هذه الجزيرة ، مما سيعرض خطتهم للفشل . لذلك فكروا فى خداع الألمان وتضليلهم عن مكان إنزال الجيوش فى سيسيلى . وتولّت المخابرات البريطانية أمر هذه المهمة ، التى أطلقت عليها عملية مينسيميت "Operation Mincemeat" ، وكان بطل هذه العملية هو « جُثّة » ! .

قام رجال المخابرات البريطانية باقتناء جُثة لرجل مات بالتهاب رئوى ، وألبسوا الجثة الملابس الرسمية لرجال البحرية الإنجليزية ، وأمسكوا الرجل الميت بعض الأوراق الرسمية والسرية التى تشير إلى أن مكان إنزال الجيوش لن يتم فى سيسيلى ، ولكن سيكون فى ساردينيا واليونان . كما زودوا الجثة بأوراق شخصية لتدل على هويتّها ، فكانت تشير إلى أن تلك الجثة هى للميجور مارتن ، أحد رجال البحرية الإنجليزية .

ونقلت جثة ميجور مارتن داخل غواصة ، ليتم إنزالها إلى المياه بالقرب من شاطىء أسبانيا عند منطقة « هويلفا » ، لتحملها الأمواج على سطح المياه .. وكأن ذلك الضابط قد غرق فى البحر بعد أن تحطمت طائرته فوق المياه . وكان الإنجليز على علم بأن

بعض عملاء الألمان يعملون فى تلك المنطقة على شاطىء أسبانيا ، فكانوا يأملون أن يعثر أحد من هؤلاء العملاء على جثة ميجور مارتن بعد أن تدفعها الأمواج وتستقر على الشاطىء ، ثم يقوم بتسليم المستندات التى يحملها ميجور مارتن إلى قادة الجيش الألمانى .



وإمعاناً فى خداع الألمان وحتى لا يشكوا على الإطلاق فى جثة ميجور مارتن وما يحمله من وثائق سرية ، زود رجال المخابرات الإنجليزية جثة مارتن بخطابات غرامية على أنها من صديقة له تُدعى « بام » ، وتدل على أنه كان يقضى ليلته السابقة معها قبل أن يتسلم أوراق هذه العملية . كذلك كان يحمل ميجور مارتن تذكرتين للسينما ، وخطاباً له من البنك يدل على رصيده الحالى .

بل والأكثر من ذلك أن قامت إحدى الصحف البريطانية (التايمز) بنشر خبر وفاة ميجور مارتن .

كان تقدير رجال المخابرات البريطانية فى محله ، فبالفعل فى ٣٠ أبريل ١٩٤٣ ، وصلت جثة ميجور مارتن إلى شاطىء أسبانيا فى نفس المنطقة التى توقعوا أن تطفو إليها الجثة . وعثر بعض رجال الألمان على الجثة ومعها المستندات السرية ، وأبلغوا قادة الجيش الألمانى ، الذين لم يشكوا على الإطلاق فى تلك الخدعة ، والذين قاموا بإعطاء الأوامر لإرسال وحدات من الجيوش إلى ساردينيا واليونان ، فى حين كانت القوات الإنجليزية تأخذ طريقها إلى سيسيلى لبداية غزو أوروبا .

لم يعرف الألمان أن الإنجليز قد خدعوهم بجثة ميجور مارتن إلّا بعد أن انتهت الحرب ...

جواسيس القنبلة الذرية

◀ أخطر شبكة تجسس شهدها العالم :

فى السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية ، توصّل الحلفاء الغربيون إلى اختراع القنبلة الذرية .. ذلك السلاح الذى هدّد العالم بأكمله .. حرص الحلفاء فى تلك الفترة كل الحرص على ألّا تتسرب أسرار ذلك الاختراع إلى روسيا . لكن روسيا كانت مصممة على التوصل إلى ما أخفاه عنها الحلفاء ، حتى تقوم هى الأخرى بتركيب القنبلة الذرية . من أجل ذلك ، كونت روسيا شبكة كبيرة من الجواسيس فى كندا وبريطانيا للتجسس على أسرار الطاقة الذرية ، وكان مركز تلك الشبكة هو السفارة السوفيتية فى أتاوا ـ بكندا !!

لم يعلم الحلفاء بأمر شبكة التجسس السوفيتية إلّا بعد أن تسربت معلومات كثيرة للروس عن أسرار الطاقة الذرية . وفى سنة ١٩٤٦ ، أعلنت الحكومة الكندية ، الكشف عن شبكة التجسس السوفيتية . وبدأت قصة تلك الشبكة تتوالى على صفحات الجرائد ، والتى وصفتها بأنها أخطر عملية للتجسس قد شهدها العالم .

وإليك فى العرض التالى ، تلك القصة المثيرة ، والتى تستند إلى ما نشرته لجنة التحقيق الملكية .

◄ *أتاوا ـ السفارة السوفيتية :*

لم تكن سفارة الاتحاد السوفيتى فى أتاوا بكندا سفارة عادية على وجه الإطلاق ، فإلى جانب وظائفها الدبلوماسية ، كان بالسفارة قسم آخر له وظيفة فى غاية السرية .. ذلك القسم هو قسم الشفرة السرية ، وفيه تكتب الرسائل السرية إلى موسكو ، والتى كانت تتضمن ما يحصل عليه الجواسيس الروس فى كندا وأمريكا من معلومات سرية تحتاجها بلادهم .

وكان إيجور جوزنكو هو المكلف بالحفاظ على دفاتر الشفرة فكانت تمر أمام عينيه كل ليلة ، حيث يقوم بحفظها فى خزانة كبيرة من الصلب .

وجوزنكو هو شاب روسى فى الخامسة والعشرين من عمره ، تخرج فى مدرسة مخابرات خاصة بروسيا قبل التحاقه بالعمل فى السفارة سنة ١٩٤٣ . وقد أجريت له اختبارات عديدة قبل التحاقه بتلك الوظيفة « الحساسة » ، للتأكد من أمانته واختبار مقدار الثقة به .

لكن فى سبتمبر ١٩٤٥ ، لم يحتمل جوزنكو المزيد ، فكره نفسه وكره حياته بأكملها بسبب تلك الوظيفة الوضيعة التى كُلِّف بها ..

فلم يحتمل أن يظل صامتاً أمام تلك الخيانة التى تجرى أمام عينيه كل ليلة ، وأن يظل الحارس الأمين على أسرار كندا ، التى تقوم سفارته بإرسالها إلى موسكو من فترة لأخرى .

◄ الشاب الروسى يكشف عن خيانة بلده :

ففى أحد أيام ذلك الشهر ، قرر جوزنكو إفشاء أمر تلك الخيانة التى تقوم بها بلاده ، فامتدت يده إلى بعض وثائق الشفرة والبرقيات السرية المتداولة بين أفراد الشبكة ، وأخفاها فى ملابسه ، واستطاع أن يمر بها بسلام خارج السفارة ، وذهب بها إلى دار صحيفة « أتاوا جورنال » ليكشف أمام الرأى العام عن تلك القاعدة الجاسوسية التى أنشأتها بلاده فى كندا للتجسس على أسرارها ، والتى امتد نشاطها أيضاً للتجسس على الولايات المتحدة وبريطانيا !. وكان يدرك جيداً مدى خطورة ذلك العمل الذى يقوم به ، لكنه كان واثقاً أن الحكومة الكندية تستطيع حمايته هو وزوجته من براثن الروس ، حتى لو لم تستطع ذلك ، فكان أفضل له أن يتعرض للقتل من أن يستمر فى التستر على تلك الخيانة القذرة ..

وفى دار الصحيفة ، استمر الحديث بين جوزنكو ورئيس التحرير لفترة طويلة ، حكى خلالها جوزنكو كل ما لديه ، مؤكداً ذلك بما يحمله من وثائق .

لم يصدق رئيس التحرير رواية جوزنكو لما فيها من غرابة شديدة ، واعتقد أن الوثائق مزورة ، لكنه قال له فى النهاية « من الأفضل أن يتدخل رجال البوليس لبحث هذا الموضوع ، فهم المختصون بالنظر فيه ، وليس رجال الصحافة » .

فى اليوم التالى ، ذهب جوزنكو ومعه الوثائق إلى وزارة العدل .. وطلب من سكرتيرة الوزير عرض الأمر عليه ، قائلاً لها

« هذه المستندات تؤكد روايتى ، فيجب إبلاغ الحكومة بهذا » .

وتصاعد الموقف بعد ذلك ، حتى وصل إلى رئيس الوزارة الكندية ، ماكنزى كنج ، الذى كرس لذلك الموضوع كل اهتمامه ، وأمر بالتحفظ على الوثائق لإثبات صحتها ، والتحقق من رواية جوزنكو وإثبات إخلاصه وصدقه .

فى بادىء الأمر ، اعتقد ماكنزى كنج إلى حد كبير ، أن الوثائق مزورة ، وأن ما يدعيه جوزنكو هو خدعة يقوم بها ، ربما بتكليف من المخابرات الروسية ، أو ربما لإصابته باضطراب عقلى ..

لكن أسفرت نتائج التحقيق عكس ذلك ، فتأكد المحققون من صدق جوزنكو ومن صحة الوثائق .

◄ الادعاءات الكاذبة ..

كان أول شىء أراد المحققون معرفته من جوزنكو بعد التأكد من صحة روايته ومن صحة الوثائق ، هو الدافع الذى جعله يقوم بإفشاء سر بلاده ، وتعريض حياته للخطر . فكان رد جوزنكو رداً بليغاً يدل بوضوح على حُسن خلقه وحبه للخير والسلام .. فقال جوزنكو : « من خلال إقامتى فى كندا لمدة عامين ، رأيت أن كل الادعاءات التى روجتها روسيا عن البلاد الديمقراطية ، هى مجرد أباطيل كاذبة ، فالحياة فى كندا تكفل الحرية لكل فرد ، وهو ما لا يتوافر للشعب فى روسيا » .

« من ناحية أخرى ، رأيت أن حكومة كندا تحاول مساعدة الروس ، فكانت تقوم بإرسال المؤن إلى روسيا وجمع المال

لمساعدتها ، وعرّضت حياة أبنائها للخطر لإرسال هذه المؤن إلى روسيا فى عرض البحار .. فتنكرت الحكومة السوفيتية لكل هذا وبدلاً من أن تحاول رد الجميل ، شرعت فى التجسس على الكنديين » .

« ومن المؤسف أن سياسة روسيا هى فى الحقيقة سياسة ملتوية ، ذات وجهين ، فبينما تدعو للسلام والأمن فى المؤتمرات الدولية ، إذا بها تحاول فى الخفاء الاستعداد لحرب عالمية ثالثة ، راحت تدبر لها بإرسال الجواسيس فى البلاد الديمقراطية وعلى رأسها كندا ... » .

وقال جوزنكو فى نهاية حديثه « كل ذلك دعانى ، كإنسان محب للخير والسلام العالمى ، أن أتبرأ من سياسة بلدى ، وأن أفشى خيانتها أمام الجميع » .

◀ ***ماذا كانت تحمل الوثائق ؟***

أما عن الوثائق التى تم فحصها ، فكانت تحتوى على معلومات غاية فى السرية ، وكانت تتعلق أساساً بالقنبلة الذرية وبيان تركيبها والعمليات الفنية المتعلقة بها . إلى جانب معلومات أخرى عن الرادار والمفرقعات السرية ومادة اليورانيوم ٢٣٥ والتفاصيل الخاصة بمكان إنتاجها . كما ضمت معلومات عن مجلس الأبحاث القومى وتنقلات جنود الولايات المتحدة .

◀ ***بيان إلى رئيس الوزراء عن عملية التجسس :***

بعد أن انتهى التحقيق مع جوزنكو ، والتأكد من صحة الوثائق ، قدّم الضابط المحقّق بياناً إلى رئيس مجلس الوزراء

« ماكنزى كنج » .. الذى سأله بعد الاستماع إلى البيان : « هل أفهم من هذا أن بعض تفاصيل السلاح الذرى قد عُرف ؟ » .

فتقدم الضابط وقال : « فى البرقية رقم ٢٤١ المرسلة إلى موسكو فى التاسع من أغسطس ، نجد الجواب على هذا السؤال » .

« إلى المدير : بيانات مقدمة من أليك .. إنتاج اليورانيوم ٢٣٥ يبلغ أربعمائة جرام فى اليوم فى مصنع الفصل المغناطيسى فى كلنتون . وإنتاج الـ « ٤٩ » يحتمل أن يكون ضعف ذلك . وتعد بعض وحدات « الجرافيت » لإنتاج ٢٥٠ جراماً كل يوم .. سلم إلينا أليك بلاتين مع ١٦٢ ميكروجرام من يورانيوم ٢٣٣ ـ جرانت » .

فسأل رئيس الوزراء : « من يكون أليك هذا ؟ » .

فهز الضابط المقرر كتفيه وقال : « لم تعرف شخصيته بعد ياسيدى . والظاهر أنه عالم وثيق الاتصال بمركز هذا العمل . ويستفاد من البرقيتين رقم ٢٤٤ و ١١٩٥٥ إن أليك ينبغى أن يكون فى لندن فى السابع من أكتوبر ليحاول الاتصال بممثل السوفيت هناك ، وأظن أنك ستجد فى هذه البرقيات قرائن لها دلالتها » .

وكانت البرقية رقم ٢٤٤ مؤرخة قبل بضعة أسابيع وهى مرسلة من « جرانت » إلى موسكو وفيها :

« إلى المدير : وضعنا تفاصيل الاجتماع بأليك فى لندن . وسيعمل أليك فى كلية الملك شارع ستراند .

الاجتماعات ـ ٧ و ١٧ و ٢٧ أكتوبر فى الشارع أمام المتحف البريطانى . الوقت الساعة ١١ مساءً ، علامة التعرف : جريدة تحت الإبط الأيسر ، كلمة السر : تحياتى إلى مايكل . وفى أول سبتمبر يجب أن يطير أليك إلى لندن ، وقبل سفره يقصد إلى مصنع اليورانيوم فى منطقة بتاواوا . وقد قال إنه لابد أن يعود فى العام القادم ليقضى شهراً فى كندا . أعطيناه خمسمائة ريال . جرانت » .

أما البرقية رقم ١١٩٥٥ فكانت رداً على هذه ، وهذا نصها : « إلى جرانت : الترتيبات الموضوعة للاجتماع غير مرضية ، وأنا أبعث إليك بترتيبات أخرى :

١ ـ ***المكان*** : أمام المتحف البريطانى على شارع جريت رسل على الجانب المقابل له من الشارع . ويقبل أليك من شارع توتنهام كورت ، ويقبل رجل الاتصال من سوثمبتن رو .

٢ ـ ***الوقت*** : الساعة الثامنة .

إشارة التعارف : يتأبط أليك تحت ذراعه اليسرى جريدة التيمس ، ويحمل رجل الاتصال فى يده اليسرى مجلة بكتشر بوست .

٤ ـ ***كلمة السر*** : رجل الاتصال « ما هو أقصر طريق إلى ستراند ؟ » أليك : « تعال معى فإن ذاهب إلى هناك . المدير » .

وكان من الجلى لرئيس الوزراء ومن معه أن معرفة «أليك» مسألة على أعظم جانب من الاستعجال ، وإلا فإن كل تدبير اتخذ للاطمئنان على سرية القنبلة الذرية وتحسينها وصناعتها قد يصبح عديم القيمة ، غير أن ماكنزى كنج رئيس الوزراء رأى أن المسألة من الدقة بحيث لا يمكن أن تعالج إلا بالتشاور الشخصى بينه وبين الرئيس ترومان ورئيس الوزارة البريطانية أتلى .

وقد قال فيما بعد على سبيل الإيضاح لمجلس العموم الكندى : «لقد كانت مسألة لا يمكن ائتمان البرقيات عليها» .

◀ ***تعاون الحلفاء على كشف شبكة التجسس :***

وفى ٢٨ من سبتمبر غادر ماكنزى كنج أتاوا ، وفى اليوم التالى عقد مؤتمراً مع الرئيس ترومان فى واشنطن بسط فيه الخطة العامة لمؤامرة التجسس السوفيتى ، ثم استقل الرئيس الكندى الباخرة كوين مارى من ميناء نيويورك .

وكان المستر أتلى رئيس الوزارة البريطانية فى قصر شيكرز مقره الرسمى ، وكان قد أبلغ الغرض من رحلة كنج وعرف وجه الاستعجال فيها ، فدعا كنج إلى الحضور على الفور ، وقبل أن تمضى بضع ساعات دعى كبير رجال اسكتلنديارد إلى قصر شيكرز .

ووكل إلى الليفتننت كولونيل لينارد برت من رجال الفرع الخاص باسكتلنديارد مهمة الاهتداء إلى شخصية أليك ، والإشراف على مراقبة الاجتماع السرى الذى سيعقد فى مساء اليوم التالى السابع من أكتوبر . فبعث الكولونيل برت فى طلب مفتش

البوليس السرى وليم وايتهيد ، ودرسا معاً القرائن التى تضمنتها برقيات موسكو .

وكان من الأنباء البالغة القيمة أن أليك سيعمل فى كلية الملك بشارع ستراند .

« وإذا كان يعرف أى شيء عن النشاط الذرى فالأرجح أنه من علماء الطبيعة . فلنبحث هل سافر إلى كندا أخيراً أى واحد من رجال هذه الكلية » .

◀ البحث عن المدعو « أليك » :

وقصد برت ووايتهيد إلى كلية الملك ، فقال لهما رئيس قسم الطبيعة على الفور : « إنه الدكتور ماى ، فقد كان يعمل فى مشروع الطاقة الذرية فى مونتريال » .

فبحث برت فى صفحات سجل الكلية فوجد فيه هذه النبذة : « الدكتور ألن نان ماى ، معيد بالجامعة . ستافورد تيراس كنجستن . أقدم الأعضاء فى قسم الطبيعة الذرية فى شركة الصناعات الكيميائية » .

فهل هذا هو أليك الذى ورد ذكره فى برقيات موسكو ؟ وظهر من صورته أنه رجل قصير أصلع ضيق العينين ، وله شاربان ، ويتخذ نظارات لها إطار معدنى . وكاد يكون مما لا يصدق أن يكون هذا الرجل الوديع المظهر فى مقام يهدد أمن العالم .

على أن الخطوة التالية كانت مع ذلك واضحة ، فأرسل لفيفاً

من الرجال إلى ستافورد تيراس ، وهو شارع هادىء فيه صفوف من المساكن ، وسرعان ما صارت العيون المختبئة بحيث تستطيع أن ترقب العالم الطبيعى ، ووضعت ترتيبات أخرى لمراقبة منطقة المتحف البريطانى .

ولما دنا موعد الاجتماع ، كان الذى يراقب الدكتور ماى يراه على كرسى يدخن وقدماه فى نعلين ، أمام نافذة بيته فى الدور الأرضى ، وإذا كان مشغولاً بشىء آخر أهم من الكتاب الذى يقرأ فيه ، فإن ذلك لم يبد عليه ، فما تحرك بعد أن جاوزت الساعة الثامنة ، ولم يحدث شىء حول المتحف أيضاً .

وتلقى الكولونيل برت التقارير من فريقى المراقبة ، فأدرك أن الأمور ـ على الأقل فى الوقت الحاضر ـ لا متقدَّم فيها ولا متأخَّر .

وأرسلت من اسكتلنديارد رسالة إلى الشرطة الكندية لتستقصى مبلغ انطباق رحلات الدكتور ماى على ما ورد عن أليك فى برقية « جرانت » رقم ٢٤١ إلى المدير فى موسكو .

وكان رئيس مشروع الطاقة الذرية فى مونتريال وتشوك ريفر حيث مصنع بتاواوا هو الدكتور دوجلاس كوكروفت وهو عالم ذو شهرة دولية . وقد أظهرت سجلات الدكتور كوكروفت ، أن الدكتور ماى زار مصنع بتاواوا مرتين ، وكانت الثانية فى الثالث من ديسمبر ، وأنه قام بعدة رحلات أيضاً إلى معامل الأبحاث الذرية فى مدينة شيكاغو حيث اشترك فى تجارب مع علماء الولايات المتحدة . وقد سافر إلى إنجلترا بعد بضعة أيام من

زيارته لمصنع بتاواوا فى الثالث من سبتمبر ، والمقرر ــ كما ورد فى البرقية ــ أن يعود فى العام المقبل ليقضى شهراً هناك .

ولم يكن ثمة عالم آخر جرى على نفس هذا المنهج ، أو ينوى أن يعود فى العام القادم ! فالأمر واضح إذن .

وأرسلت المعلومات الخاصة بالدكتور ماى إلى مركز الأبحاث الذرية بواشنطن حيث عرضت على الفور على الجنرال ليزلى جروفز .

ومن المبادىء الأساسية فى قلم المخابرات العسكرية للولايات المتحدة ، أن الذين يعملون فى المشروعات السرية لا يجوز أن يطلعوا على أكثر مما يحتاجون إليه لمباشرة عملهم . وهكذا حدث قبل شهور ، أنه لما اقترح مجلس الأبحاث القومى فى كندا أن يسمح للدكتور ماى بزيارة الولايات المتحدة لمدة شهر ، عرض الطلب على الجنرال جروفز نفسه .

فبعث الجنرال جروفز يطلب الملف الخاص بالدكتور ماى ، فوجد فيه أن الدكتور ماى سبق له أن زار معامل الأبحاث الذرية بشيكاغو ثلاث مرات ، «وأن زيارته الثالثة وقعت بين ٢٥ من سبتمبر و ٣٠ من أكتوبر ١٩٤٤ . وقد قام بعمل واسع النطاق بالتعاون مع غيره من العلماء فى ميدان سرى جداً وعلى جانب عظيم من الخطر . وأسفرت رحلته عن رسالة علمية شاركه فيها عالم أمريكى» .

وبدا للجنرال جروفز أن زيارة رابعة يقوم بها الدكتور ماى تجىء مناقضة للمبادىء التى يتطلبها الاطمئنان والأمن ، لأنها

تسمح له بأن يطلع على أكثر مما يجب مما يجرى فى أجزاء شتى من مشروع الطاقة الذرية ، ومن أجل ذلك كان ردّه ـ بلطف ولكن بحزم : « كلا ! » .

وإذا كانت أسرار خطيرة فى ميدان الطاقة الذرية لاتزال فى أمان ، فإن فضلاً كبيراً يرجع إلى ما قرره الجنرال جروفز من إقصاء الدكتور ماى . فقد قالت لجنة التحقيق الكندية الملكية : « لقد أخفق السوفيت فى الحصول على تفاصيل صنع القنبلة الذرية .. لأنه لم يكن فى كندا أحد يستطيع أن يطلعهم على ذلك » .

وفى أثناء ذلك كان الدكتور ماى فى لندن تحت المراقبة الدائمة ، فأحصيت عليه وسجلت كل حركة فى وقتها . ومرت الأسابيع فصار من الجلىّ أن الأمر لا يخرج عن احتمالين : أنه لا يبذل مجهوداً للاستجابة لبرقية موسكو ، أو أنه تلقى تحذيراً فسكن . ولكن إذا كان رؤساء الجواسيس لا يستعجلون ، فإن اسكتلنديارد تستطيع أن تقابل صبرهم بمثله ، مضافاً إلى ذلك دأبها وصدق عزمها .

◄ ولازال التحقيق مستمراً :

وواصل رئيس الوزارة الكندية ماكنزى كنج فحص هذه الوثائق وما لها من شأن سياسى خطير ، مع المستر أتلى رئيس وزارة بريطانيا والمستر بيفن وزير الخارجية . ولما كان مقرراً أن يجتمع ممثلو الدول الكبرى الأربع فى ديسمبر ، فقد أدركوا أن أى كشف قبل الأوان عن مؤامرة التجسس ، قد يقضى على كل أمل

فى الاتفاق . وبلغ من تعقد المسألة أن قرر كنج وأتلى أن يعبرا المحيط ويباحثا الرئيس ترومان .

ويبدو الآن أن رد الفعل فى موسكو للاجتماع الذى دام ثلاثة أيام ، كان لا يخلو من دلالة فبينما كان ترومان وأتلى وكنج مجتمعين على ظهر اليخت سيكويا الراسى فى مياه نهر البوتوماك ، كان السوفيت يحتفلون بالعيد الثامن والعشرين للثورة ، وخطب مولوتوف ثمانين دقيقة فقال بصراحة :

« ليس من الممكن فى الوقت الحاضر أن يظل أى سر فنى ذى قيمة كبيرة ملكاً مقصوراً على دولة واحدة أو أية دائرة ضيقة من الدول ، وسوف نظفر بالطاقة الذرية وعدة أشياء أخرى أيضاً » .

ولما عاد كنج إلى أتاوا صحبه أتلى ليطلع بنفسه على كل ما جد فى هذا الموضوع .

وكان أول هم للمحققين أن يتقوا إزعاج الكولونيل زابوتين ، إلى حد يدفعه إلى تنبيه المتآمرين فى كندا وتحذيرهم . ومع إن الملحق العسكرى الروسى عرف أن بعض الوثائق فقدت ، إلا أنه كان من المعتقد أن الملحق لا يدرى أن جوزنكو جاء بملف البرقيات التى سلمت إليه قبل شهور ليحرقها . وكان مما يعتمد عليه المحققون أيضاً خوف زابوتين من عقاب موسكو له . وعلى هذا فإن من الممكن أن يكون الكولونيل زابوتين ـ خوفاً منه على حياته ـ قد هوّن من أمر الوثائق الضائعة ، وأنه كتب فى تقريره أن الحادثة كانت « اختلاس أموال » ، كما دلت على ذلك البرقيات الدبلوماسية المتبادلة .

ومهما يكن من ذلك فإن الواقع أنه فى شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر كان الكولونيل زابوتين وأعوانه يتصرفون كأنه لم يحدث شيء .

◄ الاهتداء إلى باقى أفراد الشبكة :

وفى خريف ١٩٤٥ حدث تقدُّم عظيم فى الاهتداء إلى رؤساء فى جماعة التجسس .

وكان بين الوثائق سجل للرسائل رتب فيه زابوتين كل ما بعث به إلى موسكو فى الخامس من يناير ١٩٤٥ ، وقد أدرك المفتش ليوبولد أن هذا هو مفتاح السر كله ، لأنه كشف عن نوع المعلومات المرسلة ، وذكر المصادر أيضاً .

وكانت الرسالة رقم ١٧٥ باسم « نورا » وهى تشتمل على برقيات رقم ١٠ واستفهامات رقم ٣ وصور شمسية رقم ١١ . وتذكر جوزنكو أنه كتب البرقيات بالشفرة ، وكان قد أمر بأن يحرق الأصول ولكنه أخذها من الخزانة ، وهى الآن فى يد الحكومة الكندية .

وكانت الأصول عبارة عن نسخ من برقيات سرية واردة من إنجلترا ، ولاتزال محتوياتها إلى اليوم من الأسرار التى لا يمكن إذاعتها . وفيها أمور لا تتعلق بكندا وحدها ، وإنما ائتمنت عليها كندا من حكومات أخرى . فما لم تسدّ هذه الثغرة ، فإن الضرر قد يصيب العلاقات بين كندا والدول الصديقة . ومن أجل هذا كان الاهتداء إلى « نورا » مسألة لها المقام الأول .

◀ من هى « نورا » ؟

وكان من حسن الحظ أن جوزنكو عرف اسمها ـ « إمّا وويكن » وقد شهد فى هذا بما يأتى :

جـ ـ كل ما أعرفه عن إمّا وويكن أنها تعرفت بالميجور سوكولوف ، فاقترح عليه الكولونيل زابوتين أن ينتفع بها (جاسوسة) .

س ـ هل كنت حاضراً ؟

جـ ـ نعم ، كنت فى الغرفة واقترح سوكولوف أن يعرض عليها أن تعمل جاسوسة فى أكتوبر ١٩٤٤ ، على أنه استخدمها قبل ذلك بكثير . وقد قالت إنها قد تستطيع أن تعمل كاتبة اختزال أو كاتبة فى مكتب المستشار التجارى ، وإنها تحب روسيا وتودّ أن تساعدها .

وفى وزارة الشئون الخارجية الكندية أخرج كاتب فى قسم المستخدمين ملف إما وويكن ، فإذا فيه أنها موظفة فى قسم الشفرة منذ فبراير ١٩٤٤ ، ويشهد رؤساؤها بأنها موظفة هادئة مجتهدة .

وظهر من سيرة حياتها أنها ولدت فى ١٩٢٠ فى ولاية ساسكتشوان بكندا من أبوين روسيين . وفى سنة ١٩٤٣ اجتازت امتحان خدمة الحكومة فى الاختزال ، وهى تتكلم الروسية والإنجليزية . وقد عينت فى مصلحة الجوازات ، ثم نقلت فيما بعد إلى قسم الشفرة ، حيث كانت تطلع على جميع البرقيات الدبلوماسية وعلى نظام الشفرة أيضاً .

وفى اليوم التالى حين حضرت إمّا إلى مكتبها وجدت أنها أعيدت إلى قسم الجوازات . فسألت : « ماذا حدث ؟ أليس يرضيهم عملى ؟ » .

« لا لا . لا شيء من ذلك ـ أظن أن الموظفين قليلون فى مصلحة الجوازات ، وهم هناك مفتقرون إلى فتاة مجربة مثلك » .

وبهذه الطريقة طمع أولو الأمر فى سد الثغرة ، وفى أن يخفوا فى الوقت نفسه مبلغ ما وقفوا عليه وعرفوه . وكان هناك وكلاء كثيرون لاتزال شخصياتهم مجهولة ، فليس من الحكمة المخاطرة بعمل يحملهم على المبادرة إلى التستر .

◀ *الاهتداء إلى عضو آخر فى الشبكة :*

وبعد الانتهاء من أمر « نورا » راجع المفتش ليوبولد مرة أخرى مفتاح لغز الجاسوسية ـ سجل الرسائل فى يوم ٥ فبراير ١٩٤٥ ـ وفيه مذكرة رقم ١٠٩ ، وأخرى رقم ١١٠ مكتوب عليهما أنهما « صورة » و « صورة مختصرة » من رسائل سرية من السفير الكندى فى موسكو إلى رئيس الوزارة ماكنزى كنج ، وأن « إيلى » هو المصدر .

وكان جوزنكو وقد حمل معه فضلاً عن ذلك برقية من المدير فى موسكو إلى الكولونيل زابوتين يشير فيها إلى « إيلى » .

فسأله المفتش ليوبولد : « من كانت إيلى هذه ؟ » .

فقال : « قبل أن أترك السفارة ، ألقيت نظرة على الملف الخاص بها ـ اسمها ويلشر ، وهى تعمل فى مكتب المندوب السامى لبريطانيا هنا فى أتاوا » .

وكان المندوب السامى البريطانى فى كندا هو مالكوم ماكدونالد ابن رئيس الوزارة البريطانية الأسبق رامزى ماكدونالد ، وقد راعه أن يكون أحد موظفيه محل ارتياب .

وكانت الموظفة الوحيدة عنده التى تعرف باسم ويلشر ، هى كاثلين مارى ويلشر ، وكانت تطلع على كل رسالة واردة أو صادرة ، وعلى البرقيات ، والملفات السرية . وكانت فوق الأربعين بقليل ، وهى هادئة رقيقة الكلام ، وعملها متقن ، وكان مظهرها أقرب إلى مدرّسة حسنة الوجه منه إلى الجاسوسة .

ولما كانت الحاجة إلى التكتم لاتزال شديدة بحيث لا يمكن حتى أن تستجوب . فقد كانت الوسيلة الوحيدة الباقية أمام أولى الأمر هى أن يضعوها تحت المراقبة ، وأن يغيروا عملها تدريجياً حتى لا يتيسر لها بعد ذلك الحصول على معلومات مهمة .

أما وقد عرف « أليك » و « نورا » و « إيلى » وصاروا تحت المراقبة ، فقد راجع ليوبولد طائفة من الأسماء الأخرى ـ « باك » و « باجلى » و « وبادو » . وكان فريق « ب » قد تغلغل إلى مجلس الأبحاث القومية ـ حارس أسرار القنبلة الذرية .

◀ ***وثيقة التعليمات السرية :***

ومن حسن الحظ أن جوزنكو كان قد نقل معه من السفارة وثيقة فيها بيان لنشاط هذا الفريق ، وورقة مكتوبة باللغة الإنجليزية على الآلة الكاتبة ، فى أسفلها هذا التحذير : « احرقها بعد درسها » ، وهى تحوى التعليمات السرية الصادرة إلى « باك » ، رئيس فريق « ب » ، من مساعد الكولونيل زابوتين ، الليفتننت

كولونيل روجوف . وفيها ما يلى :

« رموز فريقك ستكون :

« جان (روجوف) .

« باك (اسم مستعار) ـ ج . لونان بادو ـ دوْر نفورث سميث باجلى ـ نيد مازيرول .

«وأنت وحدك الذى يعرفنى باسم (جان) ولا يعرفه غيرك » .

ولم يحتج المفتش ليوبولد أن يراجع دفتر تليفونات أتاوا من أجل لونان ، فقد كان فى الملف المأخوذ من السفارة الروسية عنوانه وصناعته ـ مراسل للجريدة العسكرية « الشئون الكندية » . وجاء فى أحد السطور « مدة العمل فى الشبكة من مارس ١٩٤٥ » .

ولكى يكون الملف أوفى ، كان فيه تقرير من « باك » إلى روجوف مؤرخ فى ٢٨ مارس بعد أسابيع قليلة من دخوله فى الشبكة ، ويستفاد منه أن السوفيت ، قبل إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما بشهور ، تنبهوا إلى جهود كندا والولايات المتحدة لحل مشكلات الطاقة الذرية .

« فهمنا تعليماتك المكتوبة ، وقد تم عمل تمهيدى فى المهمات الخاصة المعينة وقد أخبرنى بادو أن هذا العمل السرى يجرى فى الوقت الحاضر فى طبيعة نواة الذرة ـ قذف المواد ذات النشاط الإشعاعى لتوليد الطاقة ـ والتكتم فى هذا أشد منه فيما يتعلق بالرادار ، والعمل يجرى فى جامعة مونتريال وجامعة ماك ماستر .

وسنوافيكم فيما بعد بتفاصيل أوفى . باك . » .

◀ **الوثائق الأخرى :**

وكانت هناك وثائق أخرى ، اثنتان منها تبرزان بروزاً قوياً ، الأولى بخط روجوف عن بادو وفيها :

يطلب بادو الإذن فى التحول إلى العمل الخاص باليورانيوم .

والثانية برقية من برقيات « جرانت » إلى المدير ، وقد جاء فيها :

« تلقينا من بادو ١٧ وثيقة من الوثائق البالغة السرية ، وهى إنجليزية وأمريكية وكندية ، وتبلغ فى جملتها نحو ٧٠٠ صفحة ، واستطعنا فى خلال اليوم أن نصور كل الوثائق ، وفى الأيام التالية القليلة سنتلقى مثل هذا القدر من الوثائق تقريباً لمدة تتراوح بين ثلاث ساعات وخمس ساعات . وأرى من الجوهرى أن نفحص كل ما فى مكتبة الأبحاث . جرانت » .

وقد أدهش عظم نطاق هذا السعى المفتش ليوبولد نفسه .

◀ **البحث عن : « باك » و « بادو » و « باجلى » :**

عين المفتش رجالاً ليعرفوا المقر الراهن لكل من « باك » و « بادو » و « باجلى » ومراقبتهم . وقد ظهر أن لونان (باك) لايزال يعمل محرراً فى صحيفة « الشئون الكندية » . ولما كان رجل اتصال وحسب ، وليس له سبيل إلى الوقوف على معلومات سرية فى ميدان عمله ، فقد رؤى أنه ليس من الضرورى السعى إلى نقله من عمله بأوامر من الجهات العليا .

ولم يكن أحد فى مجلس الأبحاث القومى يعرف باسم دور نفورث سميث (بادو) ، ولكن كان هناك من يدعى درنفورد سميث وهو متخرج فى جامعة ماك جيل فى الرياضيات والطبيعة ، وقد عمل خمس سنوات فى شركة بل للتليفونات بمونتريال ، قبل أن يلتحق بمجلس الأبحاث . ولما كان عمله يسمح له بالاطلاع على السجلات السرية ، فقد اتخذت التدابير لنقله إلى مكان آخر .

وكان الذى أقصى بعد ذلك هو « باجلى » ـ نيد مازيرول ، الذى ظهر أنه إدوارد ولفريد مازيرول ، وهو يحمل درجة بكالوريوس علوم فى الهندسة الكهربائية ، وعضو فى المعهد الأمريكى للمهندسين الكهربائيين ، وقد اشتغل بشركة وستنجهاوس الكندية وهيئة الإذاعة الكندية ، وفى سنة ١٩٤٢ التحق بمجلس الأبحاث القومى فى القسم الخاص بالرادار . وهو رجل طويل عريض الكتفين كبير الرأس منفوش الشعر ، وقد تزوج موسيقية كندية مشهورة بعزفها على البيانو .

وقد وجدت فى مذكرات شتى كتبها الكولونيل روجوف ، عبارات تدل على أنه فى الرابع من أبريل دفع المبالغ الآتية : « باك » مائة ريال ، « بادو » خمسين ريالاً ، « باجلى » ثلاثين ريالاً . وفى الثانى من مايو مذكرة أخرى تدل على أن مائة ريال دفعت إلى « باك » .

وكانت المبالغ من الضآلة بحيث كان من الجلى أن المال نفسه لم يكن هو الذى أغرى الوكلاء السريين بأن يفعلوا ما فعلوا فهناك باعث على الخيانة أسوأ من الرشوة .

وقد يسر دفتر البريد الخاص بزابوتين الوسيلة إلى معرفته أحد الرؤوس وراء المؤامرة كلها . فقد كان فيه هذه المذكرة : « ١٠٨ ـ ديبوز ـ مذكرات ـ قرارات الجلسات السرية للبرلمان ـ صفحة ١ » .

وكان البرلمان قد عقد جلسة سرية فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٤ بحث فيها موضوع توزيع القوات الكندية على وجه جديد بعد انهيار ألمانيا .

وكان قد وضع نظام فهرس دقيق معقد لتعقب الأسماء الرمزية العديدة التى ظهرت فى القضية ، وقد تطلب هذا أخذ عدة صور من كل وثيقة بحيث صارت القرائن الخاصة بكل اسم مجتمعة فى ملف واحد ، وكان بعض الملفات يبدو خالياً ، والبعض يكاد يحطم ما يمسكه من غلاف معدنى ، وبين هذه ملف « ديبوز » .

وقد شعر المفتش ليوبولد بالعطف على الصناع القدماء الذين كانوا يصوغون الفسيفساء من قطع كثيرة ملونة من الحجر والزجاج ، فإنه هو أيضاً يجمع القطع الصغيرة من الأخبار ويحاول أن يرسم صورة « لديبوز » ، وكان من بين القطع النقط الآتية التى كانت أبعث من سواها على الأمل . والأولى هى :

« إلى المدير ..

« أعيد انتخاب ديبوز للمرة الثانية عضواً فى برلمان الاتحاد الكندى ، وهكذا صار لنا هناك عضو من الأعوان . جرانت » .

والثانية سطر واحد من مفكرة للكولونيل روجوف ، وهو :

« فريد ديبوز ـ تكلم بصفة عامة » والثالثة فى صحيفة ممزقة

من المفكرة التى سلمها الكولونيل زابوتين لجوزنكو ليحرقها وهى :

« فريد ــ مدير الاتحاد . كان يشتغل قبل ذلك عند الجيران » .

والرابعة إشارة أخرى من المفكرة الممزقة :

« الاتصال فى واشنطن بشخص ديبوز ، لوضع ترتيبات للاجتماع ، صرف ٦٠٠ ريال » .

والخامسة أيضاً من الصفحات الممزقة :

« عمل فريد ــ الجماعة فى مونتريال (العاملين) » .

فما معنى كل هذا الكلام المختلط ؟ وجه المفتش ليوبولد السؤال إلى جوزنكو ، فقال إن كلمة « الأعوان » التى وردت فى العبارة الأولى هى الكلمة الرمزية للحزب الشيوعى ، وظهر من العبارة الثانية أن « ديبوز » كان يعرف أيضاً باسم « فريد » ، والعبارة الثالثة التى وردت فيها كلمة « الجيران » دلت على أن « فريد » كان يعمل من قبل للبوليس السرى ، وكشفت الرابعة عن أن « ديبوز » وكل إليه أن يتصل فى الولايات المتحدة بوكيل فى واشنطن ، وأظهرت العبارة الخامسة أن « فريد » رئيس الجماعة من العاملين فى مونتريال .

وبهذه التفسيرات أصبح فى وسع القارىء العادى للصحف الكندية أن يحل لغز شخصية « ديبوز ــ فريد » فما كان هناك سوى عضو شيوعى واحد فى البرلمان هو فريد روز من مونتريال .

وروز هذا رجل قصير حادّ الطبع جاء إلى كندا من لوبلن فى

بولندا ، مع أبويه ، وكان يومئذ فى الثالثة عشرة ، واكتسب الجنسية الكندية فى ١٩٢٦ ، وانضم إلى عصبة الشباب الشيوعى ، وصار السكرتير العام فى ١٩٢٩ ، وزار روسيا فى ١٩٣٠ ، وفى ١٩٣١ حكم عليه فى قضية فتنة وسجن سنة .

وكان فى أول الأمر كزملائه الشيوعيين يعترض أشد اعتراض على الحرب مع ألمانيا ، فصدر الأمر باعتقاله ، ولكنه ظل مختبئاً إلى سبتمبر ١٩٤٢ حين سلم نفسه ، وعينت لجنة استشارية من كبار الكنديين لإعادة النظر فى أمره فجاء فى تقريرها :

« ومع أن اللجنة لم تتأثر برأيه وما يقدّره لنفسه من خطر الشأن ، إلا أنها ترى أنه سيتبع نهج الحزب فى تأييد مجهود كندا الحربى ، وأن إطلاق سراحه صار لا يسىء إلى سلامة الدولة » .

وإذا روعى ما حدث بعد ذلك تبين أن ما ذهبت إليه اللجنة كان إسرافاً فى التفاؤل .

وفى السادس من أكتوبر ١٩٤٢ وقّع روز عهداً بأن لا يشترك فى نشاط الحزب الشيوعى فى كندا أو أية هيئة يسيطر عليها الحزب ، وأقسم أن يحرص على اجتناب الحزب ، وأقسم أن يحرص على اجتناب الإفضاء بأى معلومات تتعلق بالحرب ، ووعد أيضاً بأن لا يأتى « أى عمل من شأنه أن يسىء إلى كندا أو إلى حلفائها » .

وما كاد حبر توقيعه يجفّ حتى نكث عهده ، لفظاً ومعنى ، فلم يكتف بالقيام بدور رئيس فى تنظيم جماعة « ب » من الوكلاء فى مجلس الأبحاث القومى ، بل كان على صلة بأربع عشرة جماعة

أخرى كان يزوّدها بالتعليمات والمشورة .

ولم يتخذ أى تدبير من شأنه أن ينبه فريد روز عضو البرلمان إلى أن دوره المزدوج قد انكشف ، فظل يظهر فى مجلس العموم ، ويشغل مكتبه فى دار البرلمان ، ويقيم فى مسكنه الأنيق مع زوجته وابنته ، ولكن اتصالاته صارت تحت المراقبة ، ولم تكن تمضى لحظة من الليل أو النهار لا يعرف فيها أحد المخبرين أين هو ، وماذا يصنع .

وفى هذا الدور اتضحت شخصيات عضوين من الأعضاء الرئيسيين فى جماعة روز التى كانت تسمى « فريق مونتريال » .

ويجب أن يعرف القارىء أن جوزنكو وإن كان قد انتقى وثائق السفارة ببراعة مدهشة وحكمة عظيمة ، لم ير قط أحداً من الوكلاء الكنديين ، فلم يكن يستطيع أن يشير إلى شخص ما ، ويقول هذا هو الذى يسمى كذا أو كذا فى التقرير الفلانى ، فكان على الذين يقومون بالتحرى أن يبحثوا بأنفسهم عن القرائن فى الوثائق ، وكان معوَّلهم على الاجتهاد فى البحث .

وكان الذى هداهم إلى الأثر الدال على أول الوكلاء بمونتريال ، فقرة من مفكرة الكولونيل زابوتين :

« فريق مونتريال (العاملين)

« جراى : رئيس قسم الإدارة الخاصة بتوفير مواد الحرب للحلفاء . يحسن العمل . يقدم معلومات عن القذائف والمدافع » .

وبقية الملف الخاص بجراى غاصّ ، وهو يدل على أنه مصدر

فياض بالتقارير السرية عن القذائف والمدافع والمفرقعات . وقد عثر المفتش ليوبولد على خير القرائن فى وثيقتين : الأولى برقية يتناول فيها الكولونيل زابوتين إمكان اتخاذ جراى وكيلاً سرياً فيما بعد الحرب ، وقد دلت البرقية على أن « جراى » مهندس جيولوجى وأن مرتبه من وظيفته ٤٢٠٠ ريال .

وقد دون المفتش ليوبولد على رقعة صغيرة ما يأتى : « مهندس جيولوجى ــ المرتب ٤٢٠٠ ريال ــ ربما كان رئيس فرع فى قسم الذخائر والمؤن » ، وشبك هذه الرقعة بالوثيقة الثانية ، وهى صفحة منتزعة من المفكرة المفككة ، ومكتوبة باليد باللغة الإنجليزية ، وفيها بيان « للإجراءات السرية فى مكتب المهمات » وكتب المفتش على رقعته « يراجع خط اليد » .

◀ ***الكشف عن باقى أفراد الشبكة :***

ثم تولى محقق مدنى الثياب من رجال الشرطة الكندية بحث ملفات فرع الذخائر فى قسم الذخائر والمؤن ، فعثر على أصل الوثيقة ، وكانت رقم ٣١,٧١٩ فى ملف سرى لمكتب المهمات . وظهر من السجلات أن هذه الوثيقة أعطيت لمن يدعى هارولد س . جيرسون ، وهو رئيس قسم ، وكان توقيعه مطابقاً للخط الذى كتبت به الصفحات التى جاء بها جوزنكو من السفارة الروسية .

وجيرسون هذا من مواليد كندا ومن أبوين روسيين ، وكان مهندساً جيولوجياً ناجحاً فى عدة شركات للتعدين قبل الحرب ، وهو الآن رئيس قسم فى مصلحة الذخائر والتموين كما خمّن المفتش

ليوبولد ، ويتقاضى ٤٢٠٠ ريال فى العام .

ولما ذهب رجال التحرى ليراقبوه ألفوه رجلاً رَبْعة مدمناً تدخين الغليون ، وشعره أصفر جعد ، وعلى عينيه نظارة ذات إطار معدنى ، وهو فى هيئته أشبه بمدرس رقيق القلب فى جامعة . وكان من العسير ـ كما هو الشأن فى غيره من أفراد العصابة ـ أن يقرن الإنسان شخصية هذا الرجل الظريف الذكى الركين بشخصية جراى الذى سجلت وثائق السفارة نصيبه من المؤامرة ، وقد وضع كغيره تحت المراقبة إلى أن يحين الوقت للانقضاض عليهم .

وعاد المحققون إلى مذكرة الكولونيل زابوتين فراعهم ، وهم ماضون فى العمل ، أن يجدوا كل هذا العدد الكبير من ذوى الشهرة العالية على صلة بالمؤامرة . وكان أسوأ وجه للأمر كله فيما يرى المعنيّون بسلامة الدولة ، أن وكلاء السوفيت استطاعوا أن يجدوا أشخاصاً أذكياء موهوبين مستعدين لخيانة بلادهم .

وبلغ من عمق وقع هذه الظاهرة أن اضطر ونستن تشرشل أن يصرح فى مجلس العموم بقوله : « إن بلاداً كثيرة تسعى للحصول على معلومات عن شئون البلاد الأخرى ـ ولا شىء فى هذا ، ولكن الفرق بين النظام السوفيتى وغيره من النظم ، وهو أن الجماعة الشيوعية ترى أن من الأمور التى ترتفع إلى منزلة العقيدة الدينية أن يضحى الإنسان بوطنه فى سبيل الغاية الشيوعية » .

وإلى هنا كان الباحثون يسيرون سيراً رُخاءً إلى حدّ ما ، فقد استطاعوا أن يهتدو إلى كل واحد من أصحاب الأسماء المستعارة

وأن يراقبوه ، أما الآن فقد شرعوا يعالجون ما هو أشقُّ وأعوص .

مثال ذلك أنه كان هناك وكلاء فى «فرقة مونتريال» التابعة لفريد روز تبدأ أسماؤهم بحرف « ج » ، وأحدهم يعمل فى مصنع للدبابات ، ومنهم صاحب صيدلية ، ومنهم أيضاً سيدة هى زوجة بدال ، وإلى اليوم لم يتيسر الاهتداء إليهم .

وقضى رجال الشرطة الكندية ثلاثة شهور يرتادون تيه القرائن المتعلقة بعصبة التجسس ، وكشفوا عن مقدار من الأدلة لا يكاد يصدقه العقل . وكان ماكنزى كنج رئيس الوزارة ، وهو يرى دلائل الإثبات تتضخم بين أيدى المحققين ، ويجعل باله إلى الحالة الدولية العاصفة ، يتساءل حتى متى يستطيع أن يرجىء القيام بعمل حاسم ؟

وجاء أول نذير بالمتاعب فى الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩٤٥ ، إذ غادر الكولونيل زابوتين كندا فجأة ، ولم يبلغ الحكومة الكندية التى يمثل دولته لديها ، وقد ظلت الباخرة السوفيتية (ألكسندرسوفوروف) راسية فى ميناء نيويورك حتى صعد إليها ، وكان حرس الجمرك فى الولايات المتحدة هم آخر من عُرف أنهم رأوه حيًّا ، فقد شاع بعد ذلك أنه أصيب « بأزمة فى القلب » قضت عليه بعد أن عاد إلى موسكو بقليل .

وبعد بضعة أيام طاف ج . ن . زاروبين السفير الروسى بمكاتب الحكومة الكندية ، وقال إنه عائد إلى موسكو لاستشارات عادية ، وإنه لا يقول « وداعاً » بل « إلى الملتقى » ، ولكنه لم يعد بعدها .

وكان من الجلى أن موظفى السوفييت أدركوا الآن فى أى شىء تستخدم وثائق جوزنكو ، وفى مستهل ١٩٤٦ صار من الواضح أن الحوادث صائرة إلى أزمة ، فقد أخفق مؤتمر وزراء الخارجية بموسكو ، وفى الخامس من فبراير صدر مرسوم رقم ٤١١ عهد بقضية التجسس إلى لجنة تحقيق ملكية يرأسها اثنان من قضاة المحكمة العليا بكندا ، هما القاضى روبرت تاشيرو ، والقاضى ر . ل . كيلوك .

واللجنة الملكية ـ مادامت منعقدة ـ تعد هيئة مستقلة تمام الاستقلال ، وقرارتها لا يعاد فيها النظر ، ولا تراجع ولا تستأنف . ووظيفتها أن تقوم بالتحقيق وأن تقدم تقريرها إلى الحاكم العام فى مجلسه ، وهى صاحبة الرأى ـ على خلاف المحكمة ـ فى الإجراءات التى تتبعها ، ولها أن تتلقى أى شهادة أو دليل تشاء ، وهى من هذه الوجهة أقدر على تبين الحقائق من المحكمة المقيدة بقواعد صارمة فيما يتعلق بجواز قبول الإثبات . غير أن اللجنة لا تستطيع تنفيذ ما تنتهى إليه من النتائج ، فإذا أدى تقريرها إلى إقامة الدعوى كان بها ، لأن المحاكم وحدها هى التى لها الحق فى توقيع العقوبات .

وكان التكتم لايزال مرعياً ، لأن تسرب أى خبر قد يحبط الأمر كله ، على أنه فى صباح اليوم الرابع عشر من فبراير أوفد مستشار اللجنة الملكية رسولاً إلى وزارة العدل يطلب القبض على إثنى عشر رجلاً من الذين تعقب نشاطهم رجال المباحث ، ومع أن أوامر القبض وأسماء المقبوض عليهم ستظل سرية ، إلا أن رئيس الوزارة

أدرك أن مثل هذه الغارة الواسعة النطاق لن تمر دون أن يفطن لها أحد ، فلا مفرّ من الإفضاء ببيان .

◀ عيب .. ياروسيا !

وأراد رئيس الوزارة أن يجعل مسلكه لا غبار عليه من وجهة النظر الدولية وقواعد البروتوكول ، فقرر أن يتحدث إلى القائم بأعمال السفارة الروسية فى أتاوا ، وهو نيقولاى بيلوخفوستيكوف الذى ناب عن السفير زاروبين فى أثناء غيابه .

وهذه رواية ماكنزى كنج لما دار من الحديث : « قلت إنى سأفضى إلى مجلس العموم بأن دولة أجنبية لا أسميها تتجسس ، وتتلقى معلومات ، ولكنى أريد منه أن يعلم أن الدولة التى أشير إليها هى اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية ، وإنى من ناحيتى على أتم استعداد للقيام بزيارة شخصية للمارشال ستالين للحصول على تفسير لهذه الحوادث المدهشة » .

◀ زوّار الفجر ..

وبينما كانا يتداولان ، كان رجال الشرطة الكندية يتهيأون ، وفى الصباح الباكر من يوم ١٥ من فبراير ضربوا ضربتهم ، وانقضوا على جامعة ماك جيل ، وجامعة مونتريال ، وجامعة تورنتو ، ومكتب الرقابة على القطع الأجنبى ، ومجلس الأبحاث القومى ، ولم يكن أحد ممن اعتقلوا فى ذلك اليوم يدرى أنه كان مراقباً منذ شهور .

ووقف رئيس الوزارة فى مجلس العموم يلقى على الأعضاء المشرئبين إليه بياناً موجزاً عما يجرى : « إن لدى هذه الحكومة

معلومات لا شك فى صحتها تثبت أن أسراراً أفشيت إلى أشخاص لا صفة لهم ولا حق لهم فى الاطلاع عليها ، وفى جملتهم بعض أعضاء بعثة أجنبية فى كندا » .

وفيما وراء المحيط الأطلسى ـ بلندن ـ قرر الكولونيل لينارد برت من رجال الفرع الخاص باسكتلنديارد أن يتحدث إلى الدكتور ألن نان ماى ـ الذى يدعى « أليك » فى برقيات موسكو ـ والذى زود السوفيت بنماذج من اليورانيوم ومعلومات عن القنبلة الذرية :

« هل تعلم يادكتور ماى أن معلومات تسرَّبت من كندا عن الطاقة الذرية ؟ » .

فنظر إليه الدكتور ماى بثبات وقال بهدوء : « هذه أول مرة أسمع فيها هذا » .

« وهل تعلم أننا نعلم أنه كان بينك وبين بعضهم فى لندن موعد فى هذا الصدد ، وأنك أخلفته ؟ » .

فلم يجب الدكتور ماى بشىء .

وكان الكولونيل برت ورجال اسكتلنديارد لا يرون المبادرة إلى القبض عليه ، لأنهم كانوا يرجون أن يهتدوا عن طرّيقه إلى جاسوس آخر ، ولهذا لم يفعلوا شيئاً فى ذلك الوقت .

وفى أتاوا ، كانت لباقة الشرطة الكندية وكفايتها تخفيان نشاطاً محموماً ، أو كما قالت اللجنة الملكية : « إن مدى تشعب هيئة الجاسوسية ، وشخصية جميع وكلائها ، لم يكونوا معروفين إلى

اليوم الرابع عشر من فبراير ، فقد كان هناك عدد من الوكلاء مذكورين فى سجلات السفارة بأسماء مستعارة فقط ، ولم يستطع جوزنكو أن يرشد إليهم ، وكان من أهم الأمور أن يعرف أكبر عدد ممكن منهم ، والطريقة التى يتبعها كل واحد » .

وكان أهم طور فى البحث الذى كان يدور نهاراً وليلاً فى روكليف ، هو الذى يتناول بواعث الوكلاء المتهمين . وكان المحققون لا يملون السعى للكشف عن السبب .

وكان معظم المشتبه فيهم من المتعلمين تعليماً عالياً ، ومن ذوى الاقتدار الملحوظ والذكاء العظيم . وللبواعث التى كشف عنها التحقيق دلالتها وخطرها ، لا لكندا وحدها بل للعالم أجمع .

◄ ***الشيوعية .. هى السبب !***

ولم يكن ثم دليل على أن المال كان له دخل كبير فى إغراء هؤلاء الناس ، وكان كل شىء يثبت أن الباعث الأول هو ثمرة فكرة سياسية عززها التدريب والتعليم فى « فرق الدراسة » أو الخلايا الشيوعية . وقد وجدت اللجنة الملكية « أنه فى معظم الحالات كان الباعث متصلاً أوثق الاتصال بمناهج التربية النفسية التى يتولاها فريق سرى فى جماعة هى فى الظاهر جماعة سياسية كندية ــ حزب العمال التقدمى (الحزب الشيوعى فى كندا)ــ ومناهج هذه التربية النفسية السرية أوسع انتشاراً من شبكة الجاسوسية نفسها » .

« ويبدو أن السياسة العامة للحزب الشيوعى تقضى بصرف لفيف معين ممن يعطفون على الحزب ، عن الانضمام إليه علناً ،

وهؤلاء يدعون إلى الانضمام إلى الخلايا السرية ، أو إلى فرق الدراسة . ويؤخذ هؤلاء الأعضاء السريون من طوائف شتى من الأمة من الطلبة والمشتغلين بالعلوم والمدرسين ، والموظفين ، والعمال فى الصناعة والتجارة ، والمشتغلين بأى نشاط إدارى ، أو أية طائفة يحتمل أن تحصل على وظيفة حكومية » .

« والغرض هو تعويد الشبان تدريجياً جو التآمر وأخلاقه . ومن السهل أن يتصور الإنسان التأثير العام الذى تحدثه فى نفس الشاب أو الفتاة ، تلك الاجتماعات السرية ، والمعارف السريّون ، والأغراض والخطط السرية . ويظهر أن هذا الأسلوب يراد به أن يتدرب الإنسان على أن تكون له حياة ذات وجهين ، ومقاييس من نوعين مختلفين » .

ولا سبيل إلى تقدير هذا الضرب من التجسس ومغزاه إلا على ضوء الفقرات السابقة ، وإلا فإن ظهور مثقفين موهوبين فجأة ، يعبثون بأسرار الدولة لا يكون مفهوماً .

وكان سلوك هارولد . س . جيرسون الأستاذ الذى لا يكف عن التدخين ، مثالاً لموقف هذا الفريق عند الاستجواب . وقد عرضوا عليه وثائق بخطه مأخوذة من ملفات السوفيت ، وأمامنا شهادة المفتش هارفسون عما حدث ، قال :

« سألت المستر جيرسون هل يعرف هذا الخط ، فقال إنه يشبه خطه جداً . فسألته هل كان يدون مذكرات عن الوثائق ، وهل كان عمله يقتضى أن يدون هذه المذكرات ؟ فقال إن من الصعب تحديد واجباته ، ولكنه دوَّن مذكرات » .

« فقلت للمستر جيرسون : إنى سأوقف الاستجواب مدة أربع وعشرين ساعة ، وفى خلال هذه الفترة أريد منه أن يتروّى ويفكر فى هل هو مستعدّ بوصف كونه مواطناً كندياً ، أن يساعد حكومته ويزودها بأى معلومات تكون عنده عن التجسس السوفيتى ؟ » .

« وفى اليوم التالى سألت المستر جيرسون عن قراره ، فقال إن هناك عدة مسائل شخصية مرتبطة بالقرار يراها فى غاية الصعوبة ، وسألنى هل أسمح له بالتأجيل إلى ظهر يوم السبت ليصل إلى قرار ؟ » .

« وفى ظهر السبت قال إنه وصل إلى قرار ، وإنه يدرك أن الصورة حالكة فيما يتعلق به ، وإنه ارتكب أخطاء ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش عيش المطمئن إذا باح بمعلومات مثل أن فلاناً فعل كذا وكذا ـ وإذا أشار إلى هذا الرجل أو ذاك الرجل » .

◄ *تنكّر الروس للوثائق السرية ..*

هذا ، وقد حدث فى موسكو فى ٢٠ من فبراير أن أمر نائب وزير الشئون الخارجية سولومون لوزوفسكى بأن يستدعى القائم بأعمال السفارة الكندية ليون ميراند ، وشرع من توّه فى تلاوة بيان من صفحتين . ويحسن عند قراءة الفقرات التالية أن نكون على ذكر من وثائق السفارة التى أخذها جوزنكو :

« علمت الهيئات السوفيتية أن بعض رجال الملحق العسكرى السوفيتى فى كندا تلقوا من بعض الرعايا الكنديين معلومات ذات

صبغة سرية ، لم تبد مع ذلك ذات شأن كبير للهيئات السوفيتية . وهذه الأخبار تشير إلى معلومات فنية لا حاجة بالهيئات السوفيتية إليها ، لأن التقدم الفنى جاوز مداها فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية . وهذه المعلومات يمكن الاطلاع عليها فى كتب منشورة عن الرادار .. إلخ ، وكذلك فى الرسالة المشهورة التى وضعها ج . د . سمايذ الأمريكى عن « الطاقة الذرية » ، ولذلك فإن من السخف أن يقال إن إعطاء معلومات سرية تافهة من هذا القبيل يمكن أن يهدد أمن كندا وسلامتها .

« على أن حكومة السوفيت بمجرد علمها بالأعمال السابقة الذكر ، استدعت من كندا الملحق العسكرى السوفيتى لعدم جواز القيام بهذه الأعمال » .

وقد كان طريفاً أن يحاول البيان السوفيتى التهوين من شأن المعلومات . وبغض النظر عن كون التقدم الفنى فى الاتحاد السوفيتى قد جاوز مدى هذه المعلومات ، وهى مسألة تحتمل الخلاف ، فإن الواقع هو أن هيئة دقيقة النظام قد أقيمت للحصول على هذه المعلومات .

وعلى الرغم من الزعم بأن المعلومات الخاصة بالطاقة الذرية يمكن الاطلاع عليها فى كتب منشورة ، تبينت اللجنة الملكية أن هذه المعلومات السرية لم يكن قد طبع منها شىء فى الوقت الذى أخذت فيه . ولو أنها كانت طبعت ، لما كانت سرية . والذى يدل دلالة صادقة على قيمتها أن يكون رؤساء الجاسوسية السوفيتية قد عدّوها ذات خطر عظيم .

◀ سرّى جداً ...

لم يسمح بنشر كثير من الوثائق فى هذه القضية لأن اللجنة الملكية تبينت أن « بعض المعلومات سرى جداً حتى أنه لا يمكن الإشارة إليها إلا من بعيد وبأعظم حذر » .

وكان أعظم عمل خطير الشأن وفق فيه الحلفاء الغربيون فى الميدان الفنى ، بعد القنبلة الذرية ، هو الرادار . ولايزال بعض التحسين الذى تم فيه يعد من أخفى الأسرار . وقد حصل الوكلاء السوفيت على معلومات فى هذا الميدان على أعظم جانب من خطر الشأن . ومن المسائل المهمة الأخرى ما يسمى « أسديك » وهو جهاز مضادّ للغواصات يعين على الاهتداء إليها . وقد قالت اللجنة الملكية : « إن كثيراً من المعلومات التى يمكن الحصول عليها فى كندا فى هذا الموضوع قد تسرب ، وربما كانت قد تسربت كلها » .

وثم موضوع آخر هو « فتيل ف . ت » وهو فتيل مدهش لإحكام رماية المدفعية ، ولاتزال التفاصيل الخاصة بترتيب أسلاكه وصناعته من الأسرار المحجوبة . ومع أن هذا الفتيل صنع أولاً فى كندا سنة ١٩٤٣ إلا أن تفاصيل صناعته لا تعرف فى غير الولايات المتحدة . وهذا الفتيل هو « القنبلة الكهيربية » التى ورد ذكرها فى بعض الوثائق السوفيتية ، وقد حصل أحد الوكلاء على رسمها ، وجانب كبير من المعلومات التى كان الوكلاء يسعون للحصول عليها ، متعلق بتدابير الدفاع فيما بعد الحرب عن كندا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة . وكانت المعلومات التى سلمها إلى السوفيت أمثال جيرسون من هذا القبيل ـ بيانات عن الإنتاج ،

وأماكن الصناعات ، والنقل ، والمشروعات ، والشئون المالية .
وفى هذا تقول اللجنة الملكية : « إن جانباً من هذه المعلومات يمكن الانتفاع به فى أعمال التخريب الممكنة » .

◄ إلقاء القبض على الدكتور ماى :

وفى الثانى من مارس ١٩٤٦ أصدرت اللجنة الملكية تقريرها المبدئى الأول ، الذى رفع ستار السرية إلى حد يسمح بوصف بعض الأعمال التى قام بها الكولونيل زابوتين ، وإمّا وويكن ، وكاثلين ويلشر ، وجوردن لونان ، وإدوارد مازيرول . وقبل ذلك ببضعة أيام كان المفتش وايتهيد من رجال اسكتلند يارد بلندن قد قصد كلية الملك ووصل إليها حين كان الدكتور ألان نان ماى يختم محاضرة له عن نظرية نواة الذرّة ، فلما أتمها أومأ إليه المفتش الذى كان ينتظر عند الباب .

وقال : « معى أمر بالقبض عليك ، وسأتلوه عليك حالاً » .

فزمَّ الدكتور ماى شفتيه وقال : « حسن لقد كنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل » .

وكان التحرّى فى خلال الشهور التى مضت منذ ظهرت علاقة اسم « أليك » المستعار بالتجسس على أسرار القنبلة الذرية ــ قد كشف عن حقائق أخرى فيما يتعلق بنشاطه . فلما واجهوه بهذه الوثائق ، كان من العسير عليه أن يفسر أعماله ، وبواعثه أيضاً . وأخيراً قبل أن يكتب بياناً قال فيه :

« منذ نحو سنة ، بينما كنت فى كندا ، اتصل بى شخص لا أرى أن أبوح باسمه ، وطلب منى معلومات عن الأبحاث الذرية .

وكنت قد فكرت بعناية فى صواب الاستيثاق من أن التقدم فى باب الطاقة الذرية غير مقصور على الولايات المتحدة ، وانتهيت إلى قرار مؤلم هو أن من الضرورى الإفضاء بمعلومات عامة عن الطاقة الذرية والتثبت من أنها تؤخذ مأخذ الجد . ولهذا السبب قررت أن أقبل ما عرض علىّ » .

« وفى اجتماع لنا أعطيت الرجل مقادير ميكروسكوبية من يورانيوم ٢٣٣ ويورانيوم ٢٣٥ ، وأعطيته أيضاً تقريراً مكتوباً عن الأبحاث الذرية بقد ما أعلم منها » .

« وطلب الرجل منى كذلك معلومات عن القنبلة المسيرة بالكهيربات التى تضعها الولايات المتحدة ، ولم أكن أعلم عنها إلا القليل ، فلم أعطه شيئاً يذكر » .

« وأعطانى الرجل بعض الريالات (وقد نسيت عددها) فى زجاجة ويسكى ، وقد قبلتها على غير إرادتى » .

« وقبل أن أغادر كندا ، اتفقنا على أن أقابل عند عودتى إلى لندن رجلاً لا أعرفه ، وقد أخلفت الموعد لأنى رأيت أن هذا النهج الخفى لم يعد لائقاً ، نظراً لما أذيع رسمياً من المعلومات ، ولإمكان الاتفاق على نظام الرقابة الدولية على الطاقة الذرية » .

« وكان الأمر كله مبعث ألم لى ، وما دخلت فيه إلا لأنى شعرت بأن هذه قد تكون مساهمة منى فى سبيل أمن البشر وسلامتهم . ولم أفعل ذلك طلباً للربح » .

وقد علق القاضى أوليفر على بواعث الدكتور ماى الإنسانية بما يأتى :

« لقد أصغيت إليك ياألن نان ماى بشيء من الدهشة وأنت ترسم صورة رجل شريف لم يفعل إلا ما يعتقد أنه صواب . وأنا لا أرى فيك ما تراه أنت فى نفسك . فكيف بلغ من قحة رجل فى مثل مركزك وغروره فضلاً عن لؤمه ، أن ينتحل لنفسه الحق فى تقرير أمر من هذا الضرب ، مع أنك قد أعطيت على نفسك موثقاً مكتوباً أن لا تفعل ذلك ، وكنت تعلم أن هذا السرّ من أعظم أسرار بلادك ـ إنه لأمر شنيع أن تكون قد فعلت هذا » .

وبعد الساعة الحادية عشرة ببضع دقائق فى ليلة ١٤ مارس . دق الجاويش رينيه ج . نويل من رجال الشرطة الكندية ، باب فريد روز فى أتاوا .

وكان روز على التليفون يحادث مراسلاً لجريدة فى تورنتو طلبه ليسأله هل قبض عليه فقال روز : « كلا ، لم يقبض على » ووضع السماعة ، وفتح الباب فاعتقل على الفور .

ومع أن الوثائق والشهود تثبت علاقة فريد روز بكثير من جماعة التجسس ، إلا أنه رفض أن يدلى بأقواله أمام اللجنة الملكية ، أو أن يفسر علاقته بالقضية .

◀ ***نتائج المحاكمة :***

وقد ظلت اللجنة الملكية منعقدة من فبراير إلى يونيه ١٩٤٦ . وفى السابع والعشرين من يونيه ، بعد أن سمعت عشرات من الشهود وراجعت آلافاً من الصفحات ، أذيعت قراراتها المزعجة . وقد قالت فى ختام تقريرها : « لم نطلع إلا على القليل الذى استطاع جوزنكو أن يجمعه قبل مغادرته للسفارة من وثائق زابوتين

الخاصة بالجاسوسية ، وهذه الوثائق لا تكشف إلا عن عمل نظام الجاسوسية الخاص بالكولونيل زابوتين ، وإن كانت الأدلة تكشف عن وجود شبكات أخرى مازال بعضها يعمل منذ عدة سنوات».

وقد ترك أمر العقوبة لمحاكم الدولة ، ونظراً لتعقد أدلة الإثبات ضد كل فرد ، رؤى أن الأوفق عقد محاكمات مستقلّ بعضها عن بعض .

وقد بُرّىء بعض الذين تعقبهم رجال الشرطة الكندية لعدم كفاية الأدلة ، واعترف البعض بأنهم مذنبون ، وثبتت إدانة آخرين ، ولا تزال المحاكمات مستمرة . وهذا ما انتهى إليه الأمر فى بعض المحاكمات الرئيسية إلى الوقت الذى كتب فيه هذا :

الاسـم	الاسم المستعار	المحاكمة	الحكم
الدكتور ألن نان ماى	أليك	اعترف	١٠ سنوات
فريدروز	ديبوز	أدين	٦ سنوات
إما وويكن	نورا	اعترفت	٣ سنوات
كاثلين ويلشر	إيلى	اعترفت	٣ سنوات
هـ . س . جيرسون	جراى	أدين	٥ سنوات
د . ج . لونان	باك	أدين	٥ سنوات
إ . و . مازيرول	باجلى	أدين	٤ سنوات
درنفورد سميث	بادو	أدين	٣ سنوات

◄ *ويبقى سؤال ..*

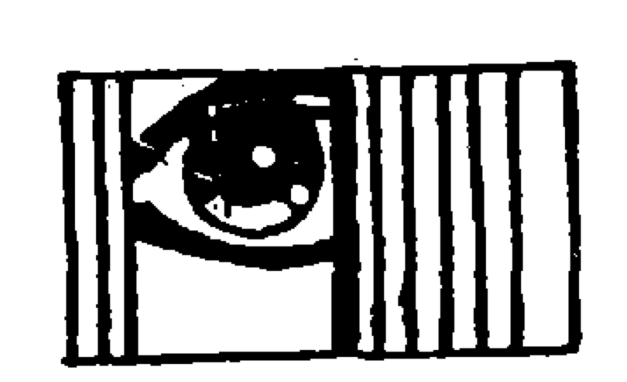
هل أدت «وثائق جوزنكو» إلى تغيير سلوك الروس ..

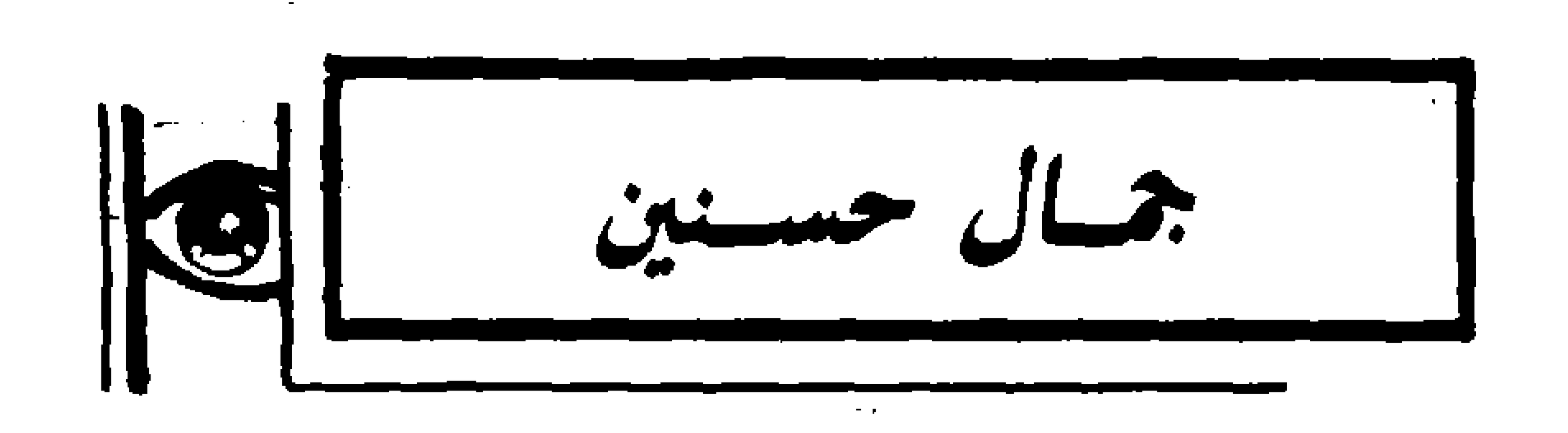
فيكفّوا عن إرسال جواسيس لهم إلى الدول الصديقة من خلال الهيئات الدبلوماسية ؟

يجيب التاريخ على هذا السؤال بالنفى . فرغم أخبار تلك الفضيحة التى امتلأت بها الصحف العالمية فى ذلك الوقت ، لم يكف الروس عن التجسس على الدول الصديقة ، ولازال الكثير من الدبلوماسيين الروس يعملون فى الخفاء على نقل أسرار الدول المضيفة مستغلّين حصانتهم الدبلوماسية ، فكانت الحقيبة الدبلوماسية ، المعفاة من الفحص ، هى الممر السحرى لمرور الوثائق السرية خارج البلاد ، ويؤكد ذلك وقائع كثيرة جاء بعضها فى هذا الكتاب .

◀ لماذا .. كندا ؟

يهتم الروس على الأخص بالتجسس على كندا .. وهم فى الحقيقة يتجسسون على أمريكا ولكن بطريق غير مباشر . فمن وجهة النظر الحربية العالمية ، يعتبر موقع كندا ذو أهمية كبيرة للاتحاد السوفيتى فى حالة نشوب حرب بين القوتين العظميين ، حيث تقع كندا على الخط الأمامى الجوى القطبى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ..





جمـال حسـنين

◀ شاب مصرى يقع ضحية للمخابرات الإسرائيلية :

جمال حسنين .. شاب ضعيف النفس من الشباب الذين استطاعت المخابرات الإسرائيلية أن تجندهم للعمل لحسابها .

وجمال حسنين هو شاب مصرى من مواليد سنة ١٩٤١ ، وكان يعمل بمصلحة المساحة بالقاهرة .

لم يقنع جمال أبداً بعمله بتلك المصلحة ، وبقيمة دخله الشهرى ، فقدم استقالته من العمل ، وسافر إلى اليونان للبحث عن عمل أفضل .

لكن للأسف ، لم يتمكن جمال من إيجاد ذلك العمل الأفضل لتحقيق طموحه وأحلامه ، كما كان يتوقع ، بل إنه لم يتمكن من العمل بأى وظيفة إلّا بعد فترة طويلة قضاها فى اليونان حتى نفدت نقوده ، وكانت تلك الوظيفة هى عامل بناء بأجر ٧٥ قرشاً يومياً لمدة شهر ، بينما كان دخله الشهرى فى القاهرة هو ١٦ جنيهاً .

تعرّف جمال من خلال ذلك العمل على شاب فلسطينى اسمه سمعان ، وبدأت تجمعهما الصداقة ، وبدأ جمال يحكى لصديقه عن همومه ومتاعبه فى العمل . فوعده سمعان بمساعدته فى الحصول على عمل أفضل ، واصطحبه إلى القنصلية الإسرائيلية فى « بيريه » ،

بحجة وجود صديق له هناك ، حيث استقبله أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية . وفعلاً وعده الضابط بإيجاد عمل جيد ، وأقنعه ببيع جواز سفره المصرى مقابل ٢٠٠ دولار . فلم يتردد جمال وسلمه الجواز وقبض القيمة . ثم طلب منه الضابط بعد ذلك ملء استمارة خاصة بالوظائف كانت تتضمن الإجابة على أسئلة عديدة عن حياته وأسرته وأصدقائه ووظائفهم .. وما إلى ذلك ، ثم وعده الضابط أن يتصل به بعد أسبوع .

◄ ***تعليــق :***

أحب أن أشير إلى أن ما فعله الضابط أثناء لقائه مع جمال هو من أخطر ما يكون . فالهدف من شراء جواز السفر من جمال هو استخدام المخابرات الإسرائيلية له بإيفاد عميل لها إلى مصر لتنفيذ أية مهمة تجسسية طالما أنهم متأكدون أن صاحب الجواز الأصلى بقربهم .. كذلك ، بالنسبة لاستمارة البيانات « الطويلة » التى قام جمال بملئها ، فهى وسيلة مجانية تحصل بها المخابرات الإسرائيلية على معلومات إضافية .

فلا يستغرب من يجد أنهم يعرفون كل شيء عنه بدون علمه .

ومضى أسبوع وجمال يقيم فى فندق محترم ، يصرف مما قبضه ثمناً لجواز سفره ، حتى حضر إليه شخص فى الفندق ، قدّم نفسه باسم إبراهيم وأنه زميل سمعان . وأخبره إبراهيم بأنه قد وفّر له عملاً مناسباً من خلال الاستمارة التى قام بملئها ، وأن ذلك العمل سيكون مجاله فى القاهرة . فوافق جمال على الفور ، وقام إبراهيم بتسليمه مبلغ ٢٠٠ دولار ، وطلب منه الانتقال إلى فندق درجة أولى فى « بيريه » ، لأنه سيلحق بدورة تدريبية على التجسس .

وفى خلال أسبوعين ، تم تدريب جمال على كل فنون التجسس ، فتدرب على استخدام الحبر السرى ، وطريقة وصف المنشآت والشخصيات الهامة التى يقابلها ، وكيفية تمييز الأسلحة ، وما إلى ذلك .

وانتهت فترة التدريب بنجاح ، وجاءت التعليمات لجمال بالعودة إلى القاهرة لبدء نشاطه ، وأن مهمته ستكون الحصول على معلومات عسكرية وسياسية واقتصادية عن مصر ، وأن راتبه الشهرى سيكون ٢٠٠ دولار ومكافأة ٤٠ دولار عن كل رسالة فيها معلومات مفيدة . وأن عليه أن يبعث برسالة بالحبر السرى إلى عنوان :

روما ـ ص. ب ١١٧

ـ الصديق كستالا يوستالى .

ووصل جمال القاهرة ، وبدأ يمارس نشاطه التجسسى لجمع المعلومات المطلوبة . فاتصل بأقربائه وأصدقائه من عسكريين ومدنيين سائلاً كلاً منهم على حدة عن أحواله وأعماله . ثم أخذ يتجول فى جميع أنحاء البلاد للاستماع إلى مختلف الآراء ، ومشاهدة ما يمكن مشاهدته من التحركات العسكرية . واستطاع بتلك الطريقة أن يحصل على قدر كبير من المعلومات العسكرية والاقتصادية والسياسية ، والتى بدأ فى إرسالها ، بالحبر السرى ، إلى العنوان المتفق عليه .

ولكن لم يكن جمال يتوقع أن رسائله كانت فى طريقها إلى جهاز المخابرات المصرية ، بعد أن اكتشفوا الكتابة بالحبر السرى فيها .

وفى سنة ١٩٧٢ ، تم القبض على جمال ، واعترف بالتفصيل بما كان يقوم به وكيف تم تجنيده .

وانتهى التحقيق معه ، وكان حكم المحكمة هو السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة .

وفى الحقيقة كان حكم المحكمة فيه شيء من الرحمة بذلك الشاب ، نتيجة لظروفه القاسية التى مر بها أثناء وقبل تجنيده للعمل بالجاسوسية ، فلولا تلك الظروف، لكان نصيبه الإعدام .



فاضل عبد الله يهوذا

جاسوس صهيونى من اليمن

فاضل عبد الله يهوذا هو جاسوس صهيونى .. يمنى الجنسية . هاجر إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث نجح اليهود فى إغرائه وتجنيده لحسابهم .. وتدرب على فنون الجاسوسية فى إحدى مدارسهم بتل أبيب .

زاول فاضل نشاطه التجسسى من وراء ستار الدين ، فكان ملماً إلى حد كبير بنواحى الدين الإسلامى ، حافظاً لأجزاء كبيرة من القرآن الكريم .

وفى جامع خان يونس ، كان يقضى فاضل معظم أوقاته .. يرتل القرآن .. ويقيم الصلاة .. ويعظ الناس ويشرح لهم أمور دينهم ودنياهم .. فأحبه الناس ووثقوا فيه ، والتفوا حوله تيمناً ببركاته ..

من ناحية أخرى ، أظهر فاضل تأييداً قوياً لقوات المجاهدين فى فلسطين ، فكان يحفزهم ويدعو لهم بالنصر . وقد أعرب عن نفاقه المحكم حين دخلت قوات الشهيد أحمد عبد العزيز إلى خان يونس فى سنة ١٩٤٨ ، فراح يرتل القرآن ، ويدعو لهم بالنصر ، وراح يهلل : الله أكبر .. الله أكبر ..

وثق الجميع فى إخلاص فاضل وطهارته ، إلّا واحداً كان يشك

فى أمره ، ذلك هو ضابط مخابرات سينا ، الذى اعتقد أنه عميل لليهود بعد أن رآه يتسلل أكثر من مرة فى جنح الظلام ناحية المستعمرات اليهودية ، وقد زاد شكه فى أمره بعد أن تكررت غارات اليهود على قوات المتطوعين فى مدرسة خان يونس الابتدائية التى كانوا يقيمون بها ، وكأن شخصاً ما كان يبلغهم أولاً بأول عن أخبار قوات المتطوعين . كذلك كان لمبالغة فاضل فى إظهار شعوره المتحمس نحو المجاهدين المصريين سبباً آخر فى إثارة شكوك الضابط نحوه .

عقد ضابط المخابرات العزم على توطيد صداقته بفاضل ، فظل يزوره كل ليلة فى المسجد بعد صلاة العشاء ويتحدث معه فى أمور الدين وعن الحالة الراهنة فى فلسطين لعله يكشف من خلال حديثه ما يؤكد ظنونه .

وفى إحدى الأمسيات طلب ضابط المخابرات من فاضل أن يدعو للقوات المصرية بالتوفيق فى هجومهم الكبير على مستعمرة « كفار داروم » بعد يومين .

وطبعاً كان ذلك الخبر مختلقاً ، فأراد ضابط المخابرات أن يختبر فاضل ويتأكد من خيانته . فقام فاضل إلى « القبلة » ليصلى ويدعو لنصر القوات المصرية ، وهو لا يدرى بالشرك الذى أعده له الضابط . ففى أثناء الليل كان فاضل تحت مراقبة ضابط المخابرات ، الذى رآه يتسلل إلى ناحية ربوة عالية تطل على مستعمرة « كفار داروم » وأصدر عدة إشارات ضوئية تمهيداً لقدومه إلى المستعمرة .

تأكد ضابط المخابرات من خيانة فاضل ، وتوقّع بعد أن أبلغ فاضل المستعمرة بأمر الهجوم ، أن تطلب مدداً استعداداً للهجوم بعد يومين . وكان ظنه فى محله ، ففى مساء اليوم التالى كانت قوات المدد فى طريقها إلى المستعمرة ، لكنها لم تصل بسلام ، إذ كانت قوات أحمد عبد العزيز تتربص بها ، واستطاعت أن تهاجمها وتستولى على عدد من العربات ، ودمرت عدداً آخر .

تعمّد الضابط مقابلة فاضل بعد هذا الحادث ، ليخبره بأن الهجوم قد تأجل عن موعده ، وأنهم ينوون القيام بعملية أفضل بعد قدوم بعض القوات المصرية .

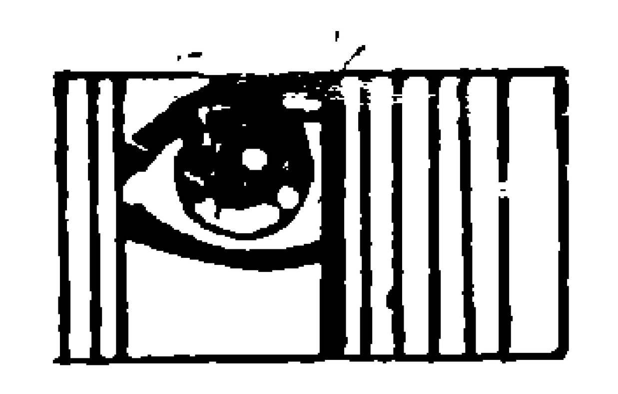
وفى نفس الليلة ، تسلل فاضل إلى المستعمرة ليخبرهم بالأنباء الجديدة ، فطلبوا منه باللغة العبرية أن يتحرى جيداً عن ذلك النبأ خشية أن يكون قد وقع فى شرك ، لكنه أصر على صحة ما ذكره .

وعند قدوم القوات المصرية ، استقبلها فاضل بكل الترحيب ، وظل ينقل أخبارها كل ليلة لليهود .

وفى أثناء الهدنة بين الطرفين ، أرسلت القوات المصرية مواد طبية مع ضابط المخابرات لمستعمرة « كفار داروم » لمعالجة الجرحى اليهود بناء على طلبهم بواسطة مندوب هيئة الأمم ، وبعد موافقة القائد على ذلك وأثناء تسليم هذه الأدوات بواسطة ضابط المخابرات لقائد المستعمرة قرب أسوارها ، لمح ضابط المخابرات فاضل داخل المستعمرة ، لكنه تجاهله تماماً ، كأنه لم يره . وفى نفس تلك الليلة ذهب الضابط للمسجد وجلس فاضل ولم يظهر له أنه قد رآه داخل المستعمرة .

وفى آخر أيام الهدنة ، تلقى فاضل إشارة من المستعمرة بالعودة إليها ، تمهيداً لإخلاء المستعمرة من سكانها ، بعد أن أحس اليهود أن القوات المصرية ستهاجمها فى أول يوم من انتهاء الهدنة . أراد ضابط المخابرات أن يعد شركاً لفاضل أثناء انسحابه مع سكان المستعمرة فى الليل . فخرج فاضل إلى الربوة فى الليل ، وأعطى الإشارة بقدومه ، لكن ضابط المخابرات ورجاله كانوا يرقبونه ، فبمجرد أن أعطى فاضل إشارته ، فاجأه ضابط المخابرات وشهر عليه سلاحه ، فعرف فاضل فى الحال أن أمره قد انكشف ، وأنه قد وقع فى الشرك .

وبعد محاكمة فاضل ، صدر الحكم بإعدامه شنقاً وعرف اليهود منذ ذلك اليوم كفاءة رجال المخابرات المصرية ، فعملوا لهم ألف حساب ...



الجاسوسات الفاتنات

◀ الإغراء ... أقوى أسلحة التجسس ..

على مسرح الجاسوسية ، كان للمرأة دور كبير ، فاستطاعت أن تطلع على أدق الأسرار ، وتغير الكثير من مجريات الأمور ، بعد أن صار جمالها وجاذبيتها هو وسيلتها الأولى للتجسس ، وصار « الفراش » هو ساحة نضالها .

ومن أمثلة هؤلاء السيدات « ماتا هارى » ، و « كريستين كيلر » ، التى كانت السبب فى استقالة وزير حربية بريطانيا .. وأتحدث عنهما فيما بعد .

وأيضاً « لويز كيرواى » عشيقة لويس الرابع عشر والذى منحها لقب « دوقة أوبيتى » تقديراً لخدماتها التجسسية على الملك شارل الثانى ملك بريطانيا بعد أن صارت عشيقة له من بعد لويس الرابع عشر ، والذى لقّبها هو الآخر بلقب « دوقة بورتسموت » تقديراً لجاذبيتها وخدماتها الغرامية .

◀ كنت عشيقة موسولينى :

ومن الأسماء الأخرى الشهيرة هو اسم « ماجدا فونتانى » وهى فرنسية كانت تتجسس لحساب الجستابو بعد أن صارت عشيقة لموسولينى . تعرفت ماجدا على موسولينى فى أحد الفنادق الفخمة

بروما ، وادعت أنها صحفية ، ودار بينهما حوار طويل ، سريعاً ما انقلب إلى حب وهيام . وأصبحت ماجدا منذ ذلك الحين هى سيدة إيطاليا الأولى ، التى كانت تأمر وتنهى ، والتى قال لها موسولينى ذات مرة « إن ساعة غرام واحدة أقضيها معك ، تجعل الحبشة لا قيمة لها عندى » .

لكن موسولينى ضاق بها وحاول التخلص منها حين باعت للصحف الأمريكية قصة غرامها له ، والتى نشرتها تحت عنوان « كنت عشيقة موسولينى » . وحتى يتجنب موسولينى مزيداً من الشوشرة ، اشترى سكوتها بوظيفة فى الجستابو بفرنسا ، وكانت مهمتها التجسس على الحلفاء وقوات المقاومة السرية فى مرسيليا .

وألقى القبض على ماجدا فونتانى ، وحوكمت فى فرنسا عام ١٩٤٧ ، وحكم عليها بالسجن خمسة عشر عاماً ، وبالمنع من الدخول فى أرض فرنسية لمدة عشرين عاماً .

◄ *المرأة الجاسوسة فى الوقت الحالى :*

لكن فى العصر الحديث ، لم تعد تصلح المرأة للجاسوسية كما كانت من قبل . فيرى الكثير من الخبراء فى فن الجاسوسية أن سلاح الجمال والإغراء أصبح سلاحاً واهياً فى الوقت الحالى ، وأن العمل الجاسوسى أصبح يتطلب من الجاسوس ثقافة عالية كأن يكون مهندساً أو كيميائياً ... كما يرون أن المرأة بصفة عامة كثيرة الكلام ، وهى صفة لا تتفق مع العمل بالجاسوسية . كما أنها قد تندفع فى ميولها العاطفية مما يورطها فى التخلى عن مهمتها . كذلك

فالمجتمع لا يحترم المرأة الجاسوسة ولا يغفر لها انحرافها .

فمثلاً حين أُجبرت الجاسوسة « مارتا » على أن تكون عشيقة لضابط ألمانى أثناء الحرب العالمية ، لتؤدى مهمة جاسوسية كلفتها بها الحكومة ، فلما أدت مهمتها بنجاح ومنحتها الحكومة وسام عظيم عقب الحرب ، ثار الناس وسخطوا ولم يغفروا لها خطيئتها بالرغم من خدماتها الجليلة .



ماتـا هـارى

ماتا هارى .. هى أشهر جاسوسة ظهرت أثناء الحرب العالمية الأولى ، وتُعدُّ أخطر وأدهى جاسوسة عُرفت فى التاريخ ..

◀ **نجمة الصباح .. الحزينة :**

ماتا هارى هو اسم اندونيسى ويعنى « نجمة الصباح » .. حيث ولدت ماتا هارى فى جزيرة « جاوه » من أم « أندونيسية » وأب « هولندى » ، وقضت دراستها فى معبد « هندى » ، تدربت فيه على الرقص الهندوسى . وتزوجت ماتا هارى من ضابط فى الجيش الهولندى ، ولاقت منه الأمرين فى فترة شبابها ؛ فقد كان قاسياً ، سكيراً ، يعاملها بمنتهى العنف ، وعندما طلبت منه الطلاق .. رفض أن يطلقها ، ثم أخذ ابنتها ورحل عنها ليختفى عن حياتها إلى الأبد .

رحلت ماتا هارى هى الأخرى عن بلدها ، وسافرت إلى باريس وهى فى الثامنة والعشرين من عمرها ، بعد أن يأست أن يعود لها زوجها وابنتها ، وبعد أن انصرف عنها والدها ، ورفض أن يساعدها لتبدأ حياتها من جديد .

◀ **نجمة الجماهير :**

وهناك .. فى باريس .. تغيّرت حياتها تماماً ، فتركت الرقص الهندوسى ، واحترفت الرقص الخليع فى ملاهى باريس ؛

وازداد عدد المعجبين بها يوماً بعد يوم ، ومضت فترة قصيرة أصبحت بعدها ماتا هارى « نجمة الجماهير » .. الذين افتتنوا بجمالها ورقصها ، وتهافتوا على حضور كل حفلاتها ، فعلى الرغم من أن ماتا هارى لم تكن تتمتع بمقاييس الجمال المألوفة للغربيين ، لكن جمالها الشرقى كان له سحرٌ من نوع خاص ، وجاذبية لا تقاوم .

وسريعاً ما وصلت ماتا هارى إلى القمة ، وأصبحت أشهر راقصة فى ذلك الوقت ، وتعددت سفرياتها إلى روما وبرلين وامستردام وڤيينا ولندن ، وغيرها من عواصم الغرب لتعرض رقصاتها فى أفخم الملاهى ـ وتوطدت علاقتها بالأثرياء وذوى النفوذ فى هذه العواصم ، الذين تنافسوا على حبّها ورضاها ، وساروا أسرى لغرامها .. من تلك الشخصيات البارزة رئيس وزراء هولنده و « ولى العهد » فى ألمانيا ، الذى أحبها بشدة ، واصطحبها معه فى كثير من جولاته ، فأصبحت ماتا هارى على علم بكثير مما يدور بين الساسة وقادة الجيوش الألمان .

◀ *هذه السيدة الغامضة ...*

وعندما عادت ماتا هارى إلى باريس مرة أخرى بعد رحلاتها لعواصم الغرب ، بدأ البوليس الفرنسى يشك فى أمرها ، واعتقد أن لها دوراً آخر خفيا تقوم به مستغلة علاقتها بالشخصيات البارزة فى تلك الدول ، خاصة علاقتها بالمسئولين الألمان ، لكن البوليس لم يستطع فى ذلك الوقت أن يؤكد اشتغالها بالجاسوسية ، فوضعها تحت المراقبة منذ عودتها إلى باريس ولفترة طويلة من الوقت ، لكن

لم يظهر للمراقبين أى شيء يستطيعون به إدانة ماتا هارى ، لكن الغموض كان لايزال يحيط بها ، خاصة وأن بعض الأسرار العسكرية عن الجيش الفرنسى قد بدأت تتسرب إلى الألمان ، دون أن يتوصّل المسئولون إلى كيفية تسرب تلك المعلومات أو كيفية الحصول عليها !.

لكن لم تدم الحيرة طويلاً . ففكر المسئولون فى طريقة أخرى قد تساعدهم فى الكشف عن حقيقة ماتا هارى ، وكيفية تسرب المعلومات السرية خارج بلادهم . فنتيجة لتوطد علاقة ماتا هارى مع بعض الشخصيات من رجال السلك الدبلوماسى ، رأى المسئولون أنه من المحتمل أن ماتا هارى تقوم بنقل أسرارهم إلى ألمانيا وربما لدول أخرى داخل الحقيبة الدبلوماسية ، فهى الوسيلة المألوفة لنقل المحظورات عموماً ، حيث أن الحقيبة الدبلوماسية لا تخضع لأى فحص أو تفتيش .

وبالفعل ، تأكد رجال مكافحة الجاسوسية من ظنهم حين عثروا على خطابات باسم ماتا هارى داخل الحقيبة الدبلوماسية . ولكنهم رغم ذلك لم يستدلوا على أى شيء فى تلك الخطابات يمكن أن يدين ماتا هارى بالجاسوسية ؛ فقد كتبت الخطابات بأسلوب لم يتمكن أحد من فهمه تماماً ، فاعتقدوا أن ماتا هارى كانت تستخدم رموزاً شفرية فى مراسلة وكلائها فى الدول الأخرى .

وتم القبض على ماتا هارى ، والتحقيق معها ، وكان ذلك فى سنة ١٩١٦ . ولما واجهها المحققون بتهمة الجاسوسية ، كانت

إجابتها إجابة ممثلة بارعة ، فاستطاعت أن تنفى فى مشهد تمثيلى خيانتها لفرنسا ، وفى نفس الوقت أبدت للمحققين ولاءها الكبير لفرنسا ، وعرضت عليهم استعدادها للعمل فى خدمة فرنسا والحصول على أية معلومات سرية يريدونها عن الدول الأخرى ، بعد أن أظهرت لهم علاقتها القوية بالكثير من الزعماء الألمان وغيرهم .

◀ الجولة الأخيرة :

احتار رجال مكافحة الجاسوسية فى أمر تلك السيدة الغريبة ، الغامضة .. ماتا هارى . ففكروا فى نفيها عن البلاد . لكنهم فضلوا أن يتظاهروا بالموافقة على اقتراحها ، وأن تحصل لهم على بعض المعلومات السرية المطلوبة عن الألمان ، لعلهم يتوصلون بهذه التجربة إلى النوايا الحقيقية لها .

وبالفعل سافرت ماتا هارى فى مهمة سرية لبلجيكا للاتصال ببعض العملاء السريين لفرنسا .

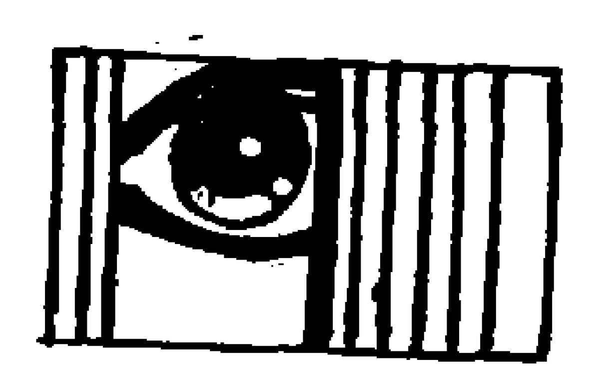
لكن فيما يبدو أن الألمان قد أحسو بتشديد الرقابة على ماتا هارى ، وأن أمرها قد انكشف للفرنسيين ، فأرادوا أن يزجوا بها إلى براثن المخابرات الفرنسية ، ويتخلصوا منها .

فيذكر أن الألمان قد تعمدوا مراسلتها بعد عودتها إلى باريس برسائل شفرية مفهومة للفرنسيين ، حتى يفضحوا أمرها . كما عثر فى منزلها على شيك بمبلغ ٦٠ ألف مارك . فادعت ماتا هارى بأن ذلك المبلغ هو ثمنها الذى تقاضته عن ليالى الغرام مع أحد الأثرياء الألمان .

لكن فى تلك المرة ، لم تنجح ماتا هارى فى الفرار من قبضة الفرنسيين . فتمت محاكمتها ، وصدر الحكم بإعدامها رمياً بالرصاص .

وحتى الآن ، لا يدرى أحد على وجه التحديد حقيقة ماتا هارى . فيدعى البعض أنها بريئة وأنها لم تعمل بالجاسوسية على الإطلاق ، وأن صدور الحكم بإعدامها كان لأغراض أخرى ، إذ كانت ماتا هارى على علاقة ببعض كبار المسئولين الفرنسيين ، وبعد انكشاف أمر تلك العلاقة ، لفقوا لها تهمة الجاسوسية حتى يتخلصوا منها ، ويتجنبوا حدوث أزمة سياسية .

لكن يدعى الأغلبية أن ماتا هارى كانت أذكى وأدهى جاسوسة عرفها التاريخ ، على الرغم من عدم ثبوت إدانتها بشكل قاطع !



كريستين كيلر

◀ أشهر جاسوسة فى التاريخ :

كريستين كيلر .. هى أشهر جاسوسة فى التاريخ ، لما تركته وراءها من فضيحة كبرى فى بريطانيا ، فقد كانت السبب فى استقالة وزير حربية بريطانيا جون بروفوميو فى سنة١٩٦١ .

ففى القصر الفاخر الذى امتلكه اللورد آستور فى كلايفدن بلندن ، كان آستور يقيم من وقت لآخر حفلات لتكريم ضيوفه . لكنها لم تكن أبداً كالحفلات المعتادة ، بل كانت نوعاً خاصاً جداً من الحفلات ، فكان آستور يطلب من بعض صديقاته أن يسبحن عاريات فى حمام سباحة القصر ، معتبراً ذلك نوعاً من حُسن الضيافة لزوّاره من الرجال فى تلك الحفلات ، والتى كانت تقام بعيداً عن أعين الرقباء .

وكان وزير حربية بريطانيا ، جون بروفوميو ، هو من أهم المدعوين الذين حرص دائماً آستور على استضافتهم لحضور حفلاته الشاذة .

وفى إحدى تلك الحفلات ، شاهد بروفوميو كريستين كيلر وهى تسبح عارية فى الماء ، فأعجب بها ، وتعرّف عليها ، وتعددت لقاءاتهما بعد ذلك .

وكريستين كيلر هى واحدة من النساء المحترفات لكافة أنواع البغاء ، وكانت تتمتع بقدر كبير من الجمال والأنوثة والتى قال عنها الوزير بعد ذلك إنها امرأة لا تُنسى ..

وكان ستيفان وارد هو ذلك القوّاد الذى ينظّم عمل كريستين ، ويسهّل لها اللقاءات مع رجال السياسة ورجال الأعمال والدبلوماسيين الأجانب .

ومن الغريب أن ستيفان كان فى نفس الوقت يعمل بالمخابرات البريطانية .

فكان يقوم بجمع ما يحصل عليه من أسرار من خلال تواجده فى القصر وأيضاً من خلال عمله بأحد نوادى الدعارة ، وتسليم تلك الأسرار إلى المخابرات البريطانية .

وفى أحد الأيام أثناء تواجد كريستين بذلك النادى ، أعجب بها شخص آخر كان ذلك الشخص هو يوجين إيفانوف ، وهو الملحق العسكرى السوفيتى ، والذى كان فى نفس الوقت رئيساً لقسم المخابرات السوفيتية فى السفارة السوفيتية بلندن .

فطلب إيفانوف من ستيفان وارد أن ينظّم له أحد اللقاءات مع كريستين .

وتمّ بالفعل ذلك اللقاء ، والذى كان بداية لعلاقة غرامية طويلة المدى . ولما عرف إيفانوف أن كريستين على علاقة بوزير الحربية البريطانى ، طلب من ستيفان ، الذى كان يفرض إرادته على كريستين ، أن يقنعها بالحصول على بعض المعلومات السرية من

بروفوميو ، أثناء لحظات المتعة . أى أن تعمل مع إيفانوف كجاسوسة للاتحاد السوفيتى .

وكان أهم ما يريد إيفانوف معرفته من المعلومات السرية ، هو موعد إقدام أمريكا على تزويد ألمانيا الغربية بالأسلحة الذرية .

قام ستيفان بإبلاغ جهاز المخابرات عن طلب إيفانوف . فجاءته التعليمات بأن يستمر معه أطول مدة ممكنة حتى يمكن تسجيل الأدلة ضده وإدانته بالتجسس .

لكن ، لسوء حظ الوزير . قامت كريستين بفضح ذلك الأمر ونقله إلى الصحف البريطانية . وبالرغم مما حاوله المسئولون بالحكومة البريطانية لوقف نشر ذلك الخبر الذى يسىء إلى سمعة البلاد ويؤثر على سلامتها وأمنها ، استمرت الصحف فى نشر وقائع تلك القضية .

وكانت النتيجة ، كما سبق ، هى استقالة وزير الحربية من الوزارة ، إلى جانب تعرّض الحكومة كلها للانتقاد من مجلس العموم البريطانى . كذلك أُجبرَ إيفانوف على مغادرة البلاد والعودة إلى روسيا .

كذلك قدّم مدير الفرع المختص بتلك القضية استقالته من المخابرات البريطانية .

أما ستيفان فانتحر مباشرة بعد تلك الفضيحة .

لكن ، كريستين كيلر ، كانت أسعد من كل هؤلاء ، فاكتسبت شهرة كبيرة بفضل ذلك الحادث ، حتى أن قصتها قدمت كفيلم سينمائى ...

جواسيس الأقمار الصناعية

دولتن لى و كريس بويسى

◀ الصديقان الخائنان :

دولتن لى وكريس بويسى هما الصديقان الجاسوسان اللذان دفعهما طموحهما الزائد إلى خيانة وطنهما ــ أمريكا ــ ليحققا حلمهما القديم المشترك ، الذى طالما راودهما منذ عهد الصبا ، وهو الخروج من حياتهما الفقيرة إلى دنيا المال والثروة ..

وكَبُرَ الصديقان فى بلدتهما الصغيرة فى ولاية إلينوى ، وانتهيا من دراستهما بالمدرسة العليا ، ولم يشأ كل منهما استكمال دراسته عن ذلك الحد ، وبدأ كل منهما يبحث عن عمل يحقق له شيئاً من طموحه .

تعددت الأشغال التى التحق بها كل من الشابين لى وبويسى ، حتى جاءت الفرصة لبويسى ، بمساعدة أحد أقاربه ، للالتحاق بعمل أفضل فى مبنى ضخم يسمى TRW ، وكان ذلك فى سنة ١٩٧٤ .

فالتحق بويسى للعمل فى وظيفة عامل « بيتزا » بالمطعم ، ثم تمكن بعد ذلك من إلحاق صديقه لى للعمل بنفس المبنى فى وظيفة بالاستعلامات . وقد مرّ كل من بويسى ولى قبل التحاقه بالعمل بذلك المبنى « الخطير » ، بعدة اختبارات لدواعى الأمن والسريّة .

◀ ما هو TRW ؟

TRW هو مجموعة من الأبنية المتجاورة على شاطىء ريدوندو ، وهو جزء على ساحل المحيط .

هذا المبنى الضخم ، هو إحدى الشركات الأمريكية التى تقوم بتصنيع الأقمار الصناعية التى يستخدمها جهاز المخابرات الأمريكى (CIA) فى جمع المعلومات من الفضاء الخارجى ، أو بمعنى أصح ، فى التجسس على دول العالم !

ففى TRW ، يتم تصنيع الأقمار الصناعية ، وإطلاقها فى الفضاء لالتقاط مايدور داخل الدول وبين بعضها البعض ، ثم يتم جمع ما تم الوصول إليه من معلومات فى ملفات خاصة بذلك ، يتم حفظها تحت أقصى درجات الأمن والحراسة .

◀ *اللعبة المفضّلة للدولتين العظميين ..*

قد تكون مهمة TRW هى مهمة غريبة بعض الشىء . لكن فى الحقيقة ، أن استخدام جهاز المخابرات الأمريكية للأقمار الصناعية هو أحد وسائله المألوفة والأساسية فى جمع المعلومات منذ عدة سنوات ، وخاصة مع التقدم الكبير الذى أدخل فى صناعة الأقمار الصناعية ليؤهلها لأداء هذه المهمة بجدارة .

فيمكن للأقمار الصناعية الأمريكية الحديثة التقاط معظم الرسائل التى تدور فى الفضاء الخارجى ، بل يمكن أيضاً أن يصل مجال استقبالها إلى الاتحاد السوفيتى نفسه ، فتلتقط بعضاً مما يدور بداخله !

وفى الحقيقة أن كلاً من أمريكا وروسيا تقوم بهذه « اللعبة » منذ سنين وحتى الآن ، فيتجسس كل منهما على الآخر بأقماره الصناعية .

وبالرغم من أن كلاً من الدولتين العظميين يدرك جيداً حقيقة ما يفعله الآخر ، إلّا أن كلاً منهما يتجاهل تماماً استخدام أقماره الصناعية فى التجسس على الآخر ، بل إن كلاً من الحكومتين الأمريكية والسوفيتية ، تصرح من وقت لآخر باستيائها من استخدام الأقمار الصناعية كوسيلة للتجسس على الآخرين !!

◀ *بداية النشاط :*

بعد فترة من العمل فى TRW ، استطاع كل من لى وبويسى أن يتعرف على الكثير من الأمور التى تجرى داخل ذلك المبنى ، فاستطاعا أن يُلمّا ، إلى حد ما ، بوظيفة الأقمار الصناعية ، وأماكن حفظ المعلومات ، والوسائل الأمنية المختلفة ، وما إلى ذلك .

وكان مبنى TRW ، ولا يزال ، هو أحد الأهداف التى تسعى إليها المخابرات السوفيتية باجتهاد ، للكشف عن أسراره وخباياه .

وكان كل من لى وبويسى هو الشخصية المثالية التى يبحث عنها عملاء المخابرات السوفيتية لتجنيدها للعمل لحسابها ، من أجل الوصول إلى ذلك الهدف .

وبالفعل ، تم اللقاء خلال سنة ١٩٧٧ بين بويسى وأحد عملاء المخابرات السوفيتية ، والذى نجح فى تجنيده للعمل لحساب روسيا .

وبالطبع ، سريعاً ما قام بويسى بجذب صديقه الحميم لى للعمل معه فى ذلك المجال ...

وفى فيينا ، كان اللقاء الحاسم الذى تم بين الروس ولى وبويسى ، والذى تلقى فيه الصديقان من الروس كل ما يعينهما فى الحصول على المعلومات السرية التى تمتلىء بها الملفات داخل ذلك المبنى ، فتدربا على كيفية مفاداة أجهزة الحراسة الحديثة التى يمتلىء بها TRW ، كما تدربا على استخدام كاميرات التصوير الخفية ، التى يستخدمها رجال المخابرات فى عملهم لتصوير تلك الملفات ، وتدربا كذلك على استخدام أجهزة الإرسال بالشفرة ، واستخدام الحبر السرى ، وما إلى ذلك ..

كما حدد الروس معهما كيفية الالتقاء بهم فى فيينا فى المرات التالية ، فى خفاء تام ، لتسليم المعلومات واستلام الثمن .

وبالرغم من الحراسة المشددة داخل ذلك المبنى ، إلّا أن الصديقين استطاعا ، من خلال عملهما بالمبنى لفترة طويلة وبفضل إرشادات الروس لهما ، أن يتمكنا من مفاداة الكاميرات التليفزيونية ، وشد انتباه الحراس بعيداً عن مكان حفظ الملفات ، حتى استطاعا أن يتسللا فى خفاء إلى أماكن حفظ المستندات ، وتصويرها ، والخروج مرة أخرى فى سلام . وقد تمت تلك العملية أكثر من مرة ، حتى استطاع كل من لى وبويسى الحصول على قدر كبير من المعلومات ، وتسليمها للروس .

◀ نهاية الصداقة والخيانة :

لكن ، لم يدم ذلك طويلاً ، ففى خلال نفس السنة التى بدأ فيها الصديقان نشاطهما ، سنة ١٩٧٧ ، استطاع أحد الحراس كشف أمرهما .

وتم القبض على الصديقين ، وتقديمهما للمحاكمة ، وكانت مفاجأة كبيرة للجميع حين صرّح الصديقان أنهما استطاعا خلال تلك الفترة القصيرة الحصول على صور لآلاف المستندات !!.

وانتهت المحاكمة ، وحُكم على الصديقين بالسجن مدى الحياة ، وتم ترحيل كل منهما إلى سجن منفصل عن الآخر ، ليعيش كل منهما فى عزلة عن صديقه ، ولتنتهى بذلك رحلتهما مع الصداقة والخيانة ..

المراجع والصّور

- ***Family Treason*** — ***Jack Kneece***
- ***Reilly: Ace Of Spies*** — ***Robin B. Lockhart***
- ***The Falcon And The Snowman*** — ***Robert Lindsey***
- ***Time. People. Newsweek***
- ***Time Span-Spies. Tim Healey***

- المخابرات والعالم : الأستاذ سعيد الجزائرى
- أسرار الجواسيس : عبد الرحمن بك
- جواسيس وفدائيون : إبراهيم موسى
- عن كتاب رتشارد هيرش : (مجلة المختار ـ العدد ٤٧)

الفهـــرس

أشهر الجواسيس

- عائلة من الجواسيس على طريقة المافيا !!
- كمين فى فندق رامادا للجاسوس جونى ووكر ..
- باميلا كارول : « جونى ووكر هو حُبّى الأول والأخير » .
- سر الغواصات النووية ، والصراع الدائم بين روسيا وأمريكا .
- الأقمار الصناعية .. هى اللعبة المفضلة للدولتين العظميين للتجسس على العالم !
- هذا الرجل يبيع « أمّه » من أجل المال !!
- سيدنى ريلى .. الجاسوس الذى تفوّق على جيمس بوند !!
- الجواسيس يفضّلون « سفن أب » !!
- كريستين كيلر .. أشهر جاسوسة فى التاريخ .
- الجاسوس الذى استخدم فى سفرياته (١١) جواز سفر و (١١) زوجة !!
- جمال حسنين .. شاب مصرى يقع ضحية للمخابرات الإسرائيلية .
- كيم فيلبى .. جاسوس لا تنساه مخابرات بريطانيا ..